دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

العدد التاسع والعاشر — السنة العاشرة — ربيع 2 ، جمادى 1 — 1387 — يوليوز ، غشت 1967

في هـــذا العـــدد :

تصدرها وزارة عموم الأوقاف والشؤون الاسلامية بالمملكة المغربية

ثمن العدد درهم واحد

مجلة تصدرها وزارة
عموم الأوقاف والشؤون
الإسلامية بالمملكة المغربية

دعوة الحق

العدد التاسع والعاشر
السنة العاشرة
ربيع 2 جمادى 1 - 1387
يوليوز - غشت - 1967
ثمن العدد
درهم واحد

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالـي :
مجلة « دعوة الحق » ـ قسم التحرير ـ وزارة عموم الاوقاف
الرباط ـ المغرب . الهاتف 10 ـ 308

الاشتراك العادي عن سـنـة 10 دراهم ، والشرفي 30 درهما فأكثر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك فى حســاب :
مجلة « **دعوة الحق** » رقم الحسـاب البريدي 55 ـ 485 ـ الرباط

Daowat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

او تبعث رأسا فى حوالة بالعنوان التالي :
مجلة « **دعوة الحق** » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط ـ المغــرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
فى كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :
« **دعوة الحق** » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط
تليفــون 308.10 ـ 327.03 ـ الرباط

كلمة العدد



لمعالي وزير عموم الأوقاف
والشؤون الاسلامية الأستاذ
الحاج احمد بركاش

« .. ويسرنا ان تتولى وزارة الاوقاف اصدار مجلة جامعة تعنى بصفة خاصة بناحية الاصلاح الديني ، كما تعالج مختلف الشؤون الاجتماعية والثقافية ، ولنا وطيد الامل فى أن يلتف حولها دعاة الفكر والثقافة والاصلاح فى هذه البلاد وغيرها لتؤدي مهمتها خير أداء ...

وعسى ان تسلك مجله « دعوة الحق » سبل النجاح والتوفيق والسلام ..»

تلك هي الكلمة الخالدة الهادية التي تفضل بها صاحب الجلالة المرحوم مولانا محمد الخامس — سقى الله بالرحمة ثراه — فحلى صدر أول عدد من مجلة دعوة الحق منذ عشر سنوات ، داعيا فيها رجال الفكر والادب الى بذل العناية بالناحية الروحية والفكرية ، وتحرير العقول من الخرافات والاهام ، نافخا من روحه ، رحمه الله ، جذوة النهضة العلمية والادبية والحركات الفكرية فى وطن حر ، قوي الشوكة ، صريح الاستقلال ...

وبهذا العدد يكون قد مر على صدور مجلة « دعوة الحق » عقد كامل من حياتها العامر المثمر ، وهي تبني شخصية المغرب الثقافية ، وتوقظ رواقد العبقرية فى الاذهان الخصبة ، والقرائح الموهوبة ، وتعمل على توزيع المعرفة ، واشاعة روح التفكير العلمي ، وترسم طريقا قويما فى تربية الشعب وترقية عقله وخلقه ولغته وأدبه وعلمه ...

فمنذ عشر سنوات .. وحينما تقلص ظل الاحتلال الاجنبي ، وانشق عمود فجر الاستقلال ، اضطلعت « دعوة الحق » فى عزم مصمم بدور مهم ازاء الثقافات العربية بما قدمته على صفحاتها من روائع الفكر ، لاعلام العلماء وأقطاب الادباء الذين امدوها بوقود من عصارة اذهانهم ، وخلاصة دراساتهم ، وانعشوها بفيض قرائحهم التي لم يجمدها صقيع الكسل والاهمال ، ما قد سدوا به ثغرات فى شتى المجالات الفكرية ...

لقد واجهت ((دعوة الحق)) منذ نشاتها في ميدان الفكر والثقافة خلاء فشغلته ، وخللا في اجهزة التعليم فسدته ، ثم اصبحت حرما آمنا تجبى اليه ثمرات الفكر ، وتحتشد حوله القوة المفكرة في هذه البلاد ، وتلتقي عنده اقلام الصفوة الراقية ، والتابعين لهم باحسان ، من المثقفين الذين نذروا حياتهم في سبيل شرف الكلمة ، وضحوا براحتهم وعافيتهم لانهاض الادب ، وعملوا - في اخلاص - على تحريك ساكن الشوق في الانتاج ، وتخريج طبقة على يدها من الادباء والفهماء ، كانوا كالنيازك تحترق لتنير ظلمة الحياة ..

وقد وثقت بين البلاد العربية والاقطار الاسلامية ، اسباب المودة والصداقة ، وروابط الاخوة والتضامن ، وأسبغت على العلم والثقافة آلاء جديدة من روافد الحضارة الانسانية ، وشتى غلال الفكر والادب .

نهض معنا بهذا العبء الفادح ، رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، من حملة مشاعل الثقافة الناضجة ، وزملاء الكلمة النظيفة ، والفكرة الشريفة ، والذوق المصفى ، واليقين الصادق ، والعمل الصالح ، فظلت روح هذه المجلة التي رسمها لها المغفور له محمد الخامس في طريق الازل والبقاء ، نامية هادية ، ثابتة الاصول ، باسقة الفروع ...

وستعيش ، باذن الله ، جنديا صادق الباس ، خالص العقيدة تؤدي رسالتها الدينية والفكرية ، دائمة التطلع الى افق ارحب ، وغد اسعد مستنيرة بهدي وتوجيهات سيد البلاد وعاهلها المفدى امير المؤمنين جلالة الحسن الثاني حفظه الله ، ونصره، وبما يتوفر لهامن عقيدة راسخة، وعون قوي وسندمتين من قادة الفكر الاسلامي وسدنته وجنوده الاوفياء ..

وقد حملت ((دعوة الحق)) ، منذ حداثتها عقيدة نقية خالصة ، وسفرت لبلادنا في كل قطر من اقطار الدنيا للقيام بالتعريف بما قطعته المملكة المغربية من شاو بعيد في مضمار المعرفة والثقافة والفكر ، فغشيت كل مكان من المعمور راضية مطمئنة تتلقى ترحيبا وتشجيعا ورضى ، غير متوانية في تعميم الثقافة الاسلامية ، وبعث الروح العلمية ، واحياء العقيدة السليمة التي لا غنى عنها لكل تقدم مرجو ، ونجاح مأمول ...

فالحياة لا مندوحة لها عن الايمان ...

ولا ايمان بدون عقيدة ...

والعقيدة ، اساسا، كالامل الحلو، ان لم يبلغك الغاية ، فقد يؤنسك ويسليك، وتعيش به زمنا رغدا ، فهي عند تفاقم الخطب ، واشتداد الباس ، واحمرار الحدق ، واغبرار الاحداث ، اقوى ركن تطمئن اليه ان وهنت الاركان كلها .

ثم ان ((دعوة الحق)) تفاعلت - طوال هذا العقد - مع مشاكل الحياة المتجددة ، والتطور الدائم ، فحدثت قراءها ، بحروف من نور عن الاماني الخيرة المرتبطة بكل ما له صلة بالحضارة الانسانية ، واسهمت بقدر كبير بموضوعاتها الاسلامية في ابراز معالم ديننا الحنيف ، فصدت اعداء الدين ، وشفت صدور قوم مومنين ، وأذهبت غيظ قلوبهم .

ولعل السر في بقائها واستمرارها طيلة العشر سنوات ، يعود الى أنها لبت اشواق القارىء الجاد ، وصرفته عن الثقافة الضحلة ، والدراسة السطحية السهلة الرخوة ، وحرصت على أن لا تجعل صفحاتها مضمارا للتنابز بالالقاب ، والتصدي

للسباب ، لان غايتها ــ كانت وما تزال ــ حصر الافكار فى حدود المناظرة المهذبة ، والمناقشة الهادئة

من أجل ذلك استطاعت ((دعوة الحق)) ان تحيط نفسها بسياج مكين من التقدير والاحترام لدى مختلف الفئات والطبقات ، وحصنت نفسها بالتزام علمي بقيت معه محافظة على سمعتها الفكرية والعلمية طوال هذا العقد الكامل الذي امتازت فيه بجلد ومصابرة ، وروح متوثبة ، وأفق واسع ، أسبغ عليها ذلك الشمول الضافي ، والتفتح المشرق ، مما ابقاها صامدة ، ووهبها مناعة ، استطاعت معها ان تتجافى عن كثير من الاهواء المتناقضة ، والمزالق الملتوية بحذر ويقظة وحكمة وتبصر ...

وفى مجال الميدان الفكري المتفتح ، اتجهت ((دعوة الحق)) منذ تاسيسها الى تبني القضايا الادبية والفكرية ، واثارتها بشتى الطرق والاسباب ، فاستوعبت رصيدا هائلا من المقالات والابحاث والقصائد فى شتى الاغراض ، وضمت على صفحاتها مجموعة لمحات من بوارق الفكر الوثاب تتسم بالاصالة والابتكار ..

فلا غرو اذا أصبحت ((دعوة الحق)) مادة الادب المعاصر فى عالمنا المغربي خلال هذا العقد من السنين ، وصورة للتطورات الخلقية والنفسية لهذه البلاد ...

واذا كان ادب المقالة ــ كما يقول الحكيم ــ فن من فنون الادب الكبرى ، اذ قل ان تشهد اديبا فحلا لم يضمن ادبه وفنه آراء اجتماعية ، ونظرات فكرية ، واتجاهات ثقافية ، فان ((دعوة الحق)) تنعكس عليها خلال هذا العقد صورة حية نابضة من ادب المقالة بجميع انواعه ، لعدة كتاب وادباء فى المغرب وخارجه ..

وخلال سني حياتها ، وقفت بجانب الشعوب المكروبة المسخرة ، والبلدان المكافحة المناضلة فى سبيل الكرامة والعزة ، فجندت طاقاتها بتفجير أنبل القيم ، واسمى المعاني فى نفوس المظلومين ، وفتحت صدرها الرحيب لكل مخلص وجد فيها متنفسا لعواطفه المضغوطة المكظومة . فآزرت الشعب الجزائري فى كفاحه ونضاله ضد غلاة الاستعمار مستنيرة بالسياسة الرشيدة التي كان يسلكها صاحب الجلالة نصره الله . وساندت الشعب الفلسطيني الذي يخوض اليوم غمرة الهول ، ويتنافس ابناؤه فى مجد الموت وشرف التضحية ، وسمو الكرامة ...

وان وزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية التي تكون عنصرا حيويا فى جهاز حكومة صاحب الجلالة لتجدد العهد وتؤكده ، فتوالي نشاطها المعهود بمواصلة السير قدما فى المجال الثقافي سواء فى الميدان الصحفي أو ميدان طبع المخطوطات النادرة والاعلاق النفيسة ، وبعث التراث العلمي والاسلامي .

وحري بنا ان نسجل هنا بكامل الفخر والاعتزاز ما يسبغ صاحب الجلالة الحسن الثاني حفظه الله ونصره على هذه المجلة التي هي نبضة من نبضات روحه ، وقبس من ومضات مجده ، منسوابغ النعم والافضال ، والتنويه والعطف ، والتوجيهات السامية للسير بها قدما نحو الرقي ويرعاه ، ويبقيه منارا نيرا يعشو الى ضوئه زمانا أطلعه ، ويقر عينه بولي عهده ويرعاه ، ويبقيه منارا نيرا يعشو الى ضوئه الهادي ، طلاب الثقافة ، ومحبو الحكمة ، وعشاق المعرفة .

احمد بركاش

الإسلام والنهضة المغربية

نصدر هذا العدد العاشر من مجلة « دعوة الحق » بكلمة ملكية توجيهية سامية كان قد اهداها صاحب الجلالة مولانا الحسن الثاني نصره الله الى مجلة « دعوة الحق » في سنواتها الاولى لما كان وليا لعهد المملكة المغربية ...

وجلالة الحسن الثاني نصره الله يعمل، منذ كان حفظه الله على بعث مجتمع مغربي جديد، واحياء نهضة اسلامية في هذه البلاد وتوجيه الشباب الذي يحيى في عصر تعددت فيه المذاهب، واختلفت النزعات ..

ولقد كانت « دعوة الحق » جديرة بالثقة الغالية التي وضعها فيها جلالة الملك، فسارت على النهج اللاحب الذي رسمه لها، جلالة والده المنعم وسلكت سبيلا رشدا أهلها لان تحتل الصدارة في دنيا المجلات الراقية في العالم الاسلامي ...

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

تُعتبر المرحلة التي يجتازها العالم الاسلامي في الوقت الحاضر من أهم المراحل في تاريخ الاسلام وعلاقته بالتقدم الفكري والحضاري،

فالمسلمون من جهة أخذتهم العزة بأنفسهم بعدما استعمرهم الأوربيون سنين طوالا فاستردوا حماسهم بقيمهم الروحية والمادية، وأخذوا يجاهدون لاستعادة مكانتهم المرموقة القديمة، والمساهمة من جديد في تطور البشرية وتقدمها مثلما فعل آباؤهم الأولون في القرون الأولى التي تلت ظهور صاحب الدعوة الاسلامية، والغربيون من جهة أُخرى عُنوا عناية فائقة بدراسة الدين الاسلامي، وما يكمن فيه من قوى وامكانيات حملت حملتها في أقطار مختلفة قديما، فجعلتهم يخلدون ذكرا وأي ذكر في التاريخ، وتدفعهم الآن الى نهضة كبرى لم تعد بوادرها تخفى على أحد، ولن تلبث حتى يُسمع لها دوي بعيد في نهاية هذا القرن والذي يليه،

وهناك تشابه بين العالمين الإسلامي والمسيحي في دراسة التعاليم الإسلامية وآثارها في أفكار المومنين بها، والرغبة في الاستفادة منها لإيجاد النظم الصالحة وتحقيق المثل العليا التي يسعى المفكرون الخيرون في تمتيع البشرية بها،

والناظر في نهضة المغرب الحديثة، المراقب لتطورها، يدرك أنها نهضة تهدف إلى إقامة مجتمع سليم على مثال ما دعت إليه تعاليم الإسلام النقية الطاهرة تلك التعاليم الداعية إلى الإيمان بالله، والعمل على ما فيه سعادة الدارين والحكم العادل الذي يجمع الحاكمين والمحكومين برباط الألفة والمودة، والتعاون على تحقيق الخير للمجموع، وضمان حرية العقيدة والفكر والتصرف في حدود القانون وحماية كل ما يعتز به الإنسان من أسرة ووطن وتراث مادي ومعنوي، واستثمار المواد الطبيعية التي سخرها الله لنا، وجعل التمتع بها حلالا طيبا،

وهذه التعاليم كلها مبنية على ما ورد في القرآن من آي وأثر عن الرسول الكريم من حديث، ومتجلية في سير رجالات الإسلام الأولين من خلفاء، وأئمة ومفكرين أفادوا الإنسانية شتى الإفادات، بما حافظوا على آثار الحضارات التي تقدمتهم وأدخلوا عليها من تنقيح وتكميل، مما ساعد على قيام الحضارة الكبرى التي يعيش العالم في كنفها الآن،

وقد وجه جلالة والدي، عنايته - وهو يقود النهضة المغربية الكبرى - إلى إحياء التعاليم الإسلامية النقية وبناء المجتمع المغربي الجديد على أسسها ومحاربة ما شابها وشانها آنفا، بترك الركود والخمول، من أفكار رجعية ودعايات وثنية، تبعد كل البعد أن تكون ذات صلة بالإسلام، فحارب البدع

والإلحاد، ونشر المعرفة وتمهيد السبيل للعلم، وحمى الحريات في الأذهان التي
تبيحها الشرائع السماوية والقوانين الوضعية، وقرب المسافات بين الطبقات
الشعبية حتى لا تطغى واحدة وتستخذي أخرى، ودعا إلى الأخوة الإسلامية التي لا
تميز بين الألوان واللغات والأوطان، والتسامح المنافي للتعصب المقيت بين الملل
والمعتقدات، وبث روح التآزر والتعاون في نفوس جميع المواطنين، وعزم على إنشاء
حكم ديموقراطي صالح، لا غنى عنه للأمم التي تنشد حياة الأمن وعيشة الاستقرار
والشباب المغربي الذي يحيى في عصر تعددت فيه المذاهب واختلفت
النزعات مدعو إلى الضرب بسهمه في تجلية محاسن الإسلام، ورفع الحجب عن
عن فوائده المستورة، وسيرى أن بين يديه كنوزا من المعنويات أغلى بكثير من الكنوز
التي يروج لها الدعاة في هذه الأيام، وبها يستطيع أن يشارك مع المخلصين من
الشباب الإسلامي من العاملين في خلق النهضة الإسلامية المترقبة، التي لا تعصف
بها الانقلابات، ولا تذهب بها الفتن والثورات،

خطاب صاحب الجلالة مولانا الحسن الثاني
بمناسبة 20 غشت

احتفل الشعب المغربي الوفي في يوم 20 غشت بذكرى ثورة الملك والشعب ، تلك الثورة التي غيرت وجه التاريخ المغربي والافريقي وفجرت طاقات المستضعفين في الارض ، الذين ارهقهم الجزع ، واقلقهم الخوف وتخطفهم الناس ففتحت لهم آفاق الحرية والمجد والكرامة .

ففي الساعة الثانية بعد زوال ذلك اليوم الرائع الاغر المشهود وجه صاحب الجلالة مولانا الحسن الثاني نصره الله وحفظه من قاعة العرش خطابا ساميا بهذه المناسبة الميمونة على أمواج الاذاعة وشاشة التلفزة بحضور اعضاء الاسرة الملكية الماجدة ، وأعضاء الحكومة ، وبعض الضباط السامين .

ثم توجه اثر ذلك ـ حفظه الله ـ الى ضريح مولاي الحسن مرفوقا بصاحب السمو الملكي الامير مولاي عبد الله وأعضاء الهيئة الوزارية ومديري الدواوين الملكية ، وكبار ضباط القيادة العليا حيث ادى جلالته صلاة الظهر ، وترحم على روح فقيد العروبة والاسلام مولانا محمد الخامس قدس الله روحه ، ونور ضريحه .

وفيما يلي نص خطاب صاحب الجلالة بمناسبة هذه الذكرى المجيدة الخالدة .

شعبي العزيز ...

من الذكريات العالقة بنفوسنا المتمكنة من افئدتنا المتصلة بمشاعرنا امتن اتصال واقواه ، هذه الذكرى التي نحتفل بها في يومنا هذا والتي نحتفل بها كلما ءان مثل هذا الاوان تخليدا لما ترمز اليه وتشير، وتدل عليه من تحول كبير في مجرى التاريخ لم يلبث ان افضى الى ازهاق الباطل واحقاق الحق وتقرير المصير ، وسيبقى احتفالنا بهذه الذكرى على تراخي الايام وتوالي الاعوام فرضا علينا مفروضا وواجبا يلزمنا لزاما وعادة متصلة يجري عليها الخلف بعد السلف وتتوارثها الاجيال تلو الاجيال .

فلقد أحسست شعبي العزيز منذ اربعة عشر عاما في مثل هذا اليوم احساسا بليغا بان يدا باغية معتدية امتدت الى اعز ما نعتز به وتطاولت على مناط اسنى امانيك ومعقد أسمى مطامحك واراجيك وادركت ادراكا صحيحا بان الباعث على البغي المقترف والحامل على العدوان المجترم مردهما الى رغبة مبيتة اثيمة في تحطيم تلك القوة المكينة التي تضافر على خلقها تجاوب صادق عميق بينك وبين رمز سيادتك الجالس على عرش بلادك وتبادل مستحكم عريق بين مشاعرك ومشاعر قائدك وراعيك واتحاد جامع وثيق بين مطامحك ورغائبك وبين المقاصد والغايات التي تصبو اليها همة رائدك وعائدك فأبيت صولة العدوان بعد اباء

من أسلمت اليه زمام امرك واستنكرت جولة الطغيـــان كما استنكرها وامتعضت للحق امتعاضه مما اريد بك واستنكفت من الاستسلام بشيء كنت تعلم باطله ، وقد آثرك امام المجاهدين والدنا الهمام محمد الخامس رضي الله عنه وأرضاه على الدعة والطمأنينة والراحة ، ولم يبتغ بك بديلا، ولم يختر عنه تحويلا، ولم يسلس القيادة لمن همهم التفريق والتبديد وسعيهم السعي الشديد في الاقناع بمنطق العناد العتيد والاكراه على الرضا بالواقع المفروض والاستبداد السافر والتصرف الجائر.

فكانت تلك الثورة المباركة الميمونة ثورة الملك والشعب ، وكانت تلك المعركة التي خضت غمارها انفة وحمية واخذا بالثار وانتقاما بعد ابعاد سيد البلاد وأفراد أسرته عن وطنهم المحبوب وتضحيتهم الكبرى من أجل اعلاء شأنه واعزاز جانبه ، خضت هذه المعركة بالايمان الصادق الذي هو مصدر كل بطولة واستبسال ومنبع كل شجاعة واقدام .

لا ترهبك العدة والعتاد ولا ينال من عزيمتك التنكيل والعذاب ولا يفت في عضدك القسوة والعقاب ولا تقف في وجهك العراقيل والصعاب ، واعلنتها حربا ضروسا على السلطة المتحكمة التي سلبت الحقوق المشروعة واستهدفت اسكات الكلمة المسموعة وتقنعت بالتحريف والتزييف ، والبهتان للارتكاب الجريمة ومباشرة العدوان .

ووطنت نفسك شعبي العزيز على تحمل المكاره ومعاناة الشدائد وركوب المسلك الوعر وصممت على الاسترسال في المقاومة والنضال الى ان تبلغ الغاية المقصودة من جهادك وكفاحك ، وذلك ليعلم الذين استهانوا بحقوقك واستخفوا بكرامتك غير مبالين بتلك الاواصر التي تجمع بينك وبين رمز سيادتك . لا مكترثين بحرصك على هذا الرمز وظنك به ، ليعلموا انك صادق الولاء والوفاء في الشدة والرخاء والعلانية والخفاء وليدركوا فوق ذلك اولئك الذين بيتوا لبلادك شرا وارادوا لوطنك سوءا وقسرا ، ان للظلم وان تفاحش حدا ، وللعدوان وان تواتر نهاية ، وان تضحية الملك بعرشه في سبيل حرية شعبه وصيانة كرامته وتحقيق سؤدده واسترجاع مجده تضحية مثلى مفروض على شعب ابي موتور مشبول على شكر النعمة واليد البيضاء ان يوالي ذلك الشعب المساعي الكريمة ولو كانت اليمة ويجزل ذلك الشعب التضحيات ولو كانت جسيمة حتى يرتفع الظلم ويزول ويتقلص العدوان ويحول وتستقر الامور في القرار الذي يثلج القلوب والصدور ، ويرضي المشاعر والضمائر ويشيع في النفوس الطمانينة والارتياح .

وكتب الله لثورة الملك والشعب ما كانت حرية به من نجاح مأمول وفوز مسؤول فعاد الملك من منفاه السحيق مظفرا منصورا يحمل لشعبه انفس الهدايا واغلى البشائر ويزف اليه نبا انتهاء عهد الحجر والحماية وخبر بزوغ فجر الحرية والاستقلا ل.

وما كانت هذه الامنية الغالية لتتحقق لولا النضال المرير الذي التحمت فيه ارادة الملك ، وارادة الشعب، ولولا الكفاح الطويل ، الذي اجتمعت فيه الكلمة ، واتحدت خلاله الصفوف وتضافرت طواله الجهود واستبان في اثنائه انك شعبي العزيز لا تقبل الضيم ولا تقيم على الخسف ولا تغض الطرف عن الحيف وانك قادر على ان ترد كل عادية مهما كان مصدرها وتصد كل غارة وان اختلفت وجوهها وتباينت اصنافها شملك مجموع ، وبنياك مرصوص ، وحصنك حصين ، وركنك مكين ، وتصميمك عضب لا يفل ، وحسام لا ينثني ، فتغضب للحق كلما استهدفه بطش او عدوان ، وتنتفض لكرامتك كلما تعرضت لهوان انتفاضه ابائك واسلافك الذين عطروا صفحات التاريخ بما اوتي عنهم في البأساء والضراء من اباء وتضحية وفداء، فاذا كان هذا اليوم يوم ذكرى التضحية الكبرى وتخليد مواجهة الاعتداء ومكافحة الكيد والرياء ومنازلة الكبرياء والاستعلاء يوم وعي وتدبر واستعراض الحقبة من تاريخنا المجيد واستخلاص للدروس والعبر وتوكيد لاخلاصنا للقيم الروحية وتعلقنا بالمبادىء السامية التي كلفت لنا التغلب على العقبات ، وضمنت لنا بلوغ اجمل المقاصد والغايات، فان مقاومة اخواننا واشقائنا سكان فلسطين الذين يكافحون اليوم استنكافا من الظلم والهوان ويجاهدون اباء واحتسابا واسترجاعا للحق الذي اغتصب اغتصابا واعين بمعنى المعركة ومغزاها لمقاومة جديدة بالتنويه والاكبار والدعاء لها بالفوز والانتصار .

وهكذا شعبي العزيز تحطم الشعوب بمضاء عزائمها ورسوخ عقيدتها وايمانها قيود الاستبداد والاستقلال وتتخلص من ربقة السيطرة والاحتلال وليست هناك قوة تستطيع كبح جماح انطلاقها، والوقوف في وجه اندفاعها ، متى توفر لديها ذلك الرصيد الذي لا معدى عنه ولا غنى ، الا وهو الايمان بالحق المشروع ، والارادة والصرامة التي تعرف اهدافها ومقاصدها ، ولا تنحرف عن هذه الاهداف والمقاصد ولا تزيغ ورسم الخطط واحكام التدبير واتقان التسيير والاخذ بأسباب اليقظة والحزم واسترخاص كل غال ونفيس في نطاق التضحية والفداء .

وان ما باشرته بلادنا من جهاد رابح ، وجلاء ناجح فى مرحلة من مراحل حياتها لهو سابقة فى تاريخ شعب فى العروبة والاسلام ، عريق قمينة بأن تشحذ الهمم وتبرىء اسنه النفوس عند ما تغتصب الحقوق المشروعة وتسلب او تداس المقدسات، وتهان الحرمات، وبكشف المعتدون القناع عن اخمس الطوايا واسوا النيات .

شعبي العزيز ، انك لتعلم اننا بمجرد ما اتم الله على هذه البلاد نعمة الحرية والاستقلال انصرفت عنايتنا واتجه اهتمامنا الى اعداد انفسنا للاضطلاع بالمسؤوليات التي تفرضها السيادة الكاملة الى دعم هذا الاستقلال واقامة صرحه على امتن القواعد وارسخ الاسس .

وليس يخاف عنك ان هذه الغاية متعددة الجوانب شاملة لميادين مختلفة ، كان علينا ان نواجه ما يعترضنا فيها من مشاكل ونعالجها بانجع الحلول والوسائل ، وقد سيرنا بحول الله سيرا بعيدا وقطعنا اشواطا متلاحقة فى سد الثغرات وراب الصدع والتشييد والترميم تنظيما وتجهيزا واصلاحا .

وبالرغم عما اشاعه دعاة الاستعمار وما روجوه من اراجيف واباطيل موهونات للعزائم ، ومخدرات للهمم ، فاننا والحمد لله استطعنا ان نبقى الدولة قائمة الكيان ثابتة الاركان راسخة البنيان عزيزة الجانب موفورة الكرامة ملحوظة بعين الاكبار والاحترام ، وما ذلك الا لان المساعي التي قمنا بها والجهود التي بذلناها والاعمال التي حققناها او نعتزم تحقيقها كانت وما تزال تتسم بسيماء الجد والفعالية والتبصر والحكمة ورعاية الصالح العام .

وما كان نظرنا منذ ان القى الله الينا زمام أمرك ومقاليد السهر على شؤونك مقصورا على ما يفرضه الحاضر الحافل بالمشاكل اليومية ولا منقطعا الى معالجتها والتخلص منها ، وانما يمتد الى المستقبل مستهدفا ضمان حياة افضل وأجمل وارغد واسعد لجيلنا وللاجيال الناشئة ، وان ما رسمناه من خطط واتخذناه من تدابير وشرعناه من قوانين لتحقيق الاصلاح الزراعي وتنمية المحاصيل وتقوية الاستثمار وبناء السدد وتصنيع البلاد وتوفير الشغل لليد العاملة كل هذا تألف منه جملة من المنجزات والمشاريع كفيلة بمضاعفة امكانياتنا وتكثير مواردنا وتزايد انتاجنا وبالتالي ايجاد ثروة شاملة لا تخص جهة دون اخرى ولا فئة من أفراد شعبنا دون سواها .

وبفضل هذا الثراء العميم والازدهار الضافي سنكتسب غنى يوازر غنانا وقوة تعزز مالنا من قوة ، فاذا كسبنا هذه المعركة الجديدة معركة التنمية والاثراء ولا شك اننا بعون الله لها كاسبون ، فان عائدة هذا الانتصار لن تعود علينا وحدنا ، بل ستكون حظا مشاعا بيننا وبين اخواننا العرب والمسلمين تضم به شوكتهم ويستد به ساعدهم .

شعبي العزيز .. اذا كان احتفالنا اليوم بذكرى البطولة والايثار والشهامة والاستشهاد احتفالا يخلد صفحة من صفحات تاريخنا المجيد وبنوه ويشيد بتلك الغرة الغراء التي انطبعت على جبيا هذا الوطن العزيز والتي ستبقى مدى الاحقاب والعصور مشرقة مضيئة وتراثا ادخره الاباء ليعتز به الابناء ، فان على هؤلاء الابناء ان يحافظوا على هذا التراث ويحرصوا على هذه الذخيرة محافظة وحرصا يتجدد معهما اليقين كلما ازف موعد الذكرى وحان وقت احيائها بأنهم للجميل عارفون وللخير شاكرون وعلى العهد باقون ، وللامانة راعون .

شعبي العزيز .. فى هذه الساعة التي يملا قلوبنا الخشوع ، ويغمرنا الشعور بجلال هذه الذكرى يهيمن علينا فيه جميعا روح سيد الابطال وقائد المعركة والنضال والدنا المقدس طيب الله ثراه وجعل الجنة مثواه والفردوس مأواه ، نتوجه الى الله الكبير المتعال ان يثيبه الثواب الجميل والاجر الجزيل على ما اسلف لهذه البلاد واسدى وخلف وأبقى ، كما نبتهل اليه جل وعلا ان يغدق شآبيب رحمته ويشمل بواسع عفوه وغفرانه ويسكن جنات رضوانه شهداءنا الابرار الذين صدقوا الله ووفوا بالعهد واخلصوا لله والملك والوطن.

اللهم اعز الاسلام والمسلمين ، وايدهم بنصر من لدنك مبين ، وثبت اقدامهم ، والف بين قلوبهم ، واجمع كلمتهم على الحق والتقوى ، واقل عثارهم ، وجنبهم المكاره والبلوى ، ربنا اغفر لنا ذنوبنا اسرافنا فى أمرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ، صدق الله العظيم والسلام عليكم ورحمة الله .

انني اعتبر ابني ابنا لجميع المغاربة ، واعتبره الخادم الاول بعدي لشعبه ولأمته .

احتفلت الاسرة الملكية الكريمة المناضلة واسرة الشعب المغربي بالذكرى الرابعة لميلاد صاحب السمو الملكي ولي العهد سليل العرش الامير الجليل سيدي محمد ابقاه الله وحفظه

وقد أقيم صباح يوم 21 غشت بقصر الضيافة حفل رسمي تقبل خلاله صاحب الجلالة الملك المعظم التهاني والتمنيات بهذه المناسبة المجيدة من أعضاء الحكومة وكبار ضباط القيادة العليا للقوات المسلحة الملكية والسفراء وأعضاء الدواوين الملكية وعامل الرباط وسلا وعدد كبير من الشخصيات .

وكان صاحب الجلالة أيده الله محفوفا بصاحب السمو الملكي ولي العهد الامير سيدي محمد وصاحب السمو الملكي الامير مولاي عبد الله وصاحب السمو الامير مولاي الحسن ابن يوسف عم صاحب الجلالة والسيد ادريس المحمدي المدير العام للديوان الملكي والسيد أحمد بلافريج الوزير الممثل الشخصي لصاحب الجلالة .

وقد ارتجل السيد ادريس المحمدي المدير العام للديوان الملكي بهذه المناسبة العزيزة كلمة بين يدي العاهل الكريم .

وبعد القى الدكتور محمد بنهيمة الوزير الاول المكلف بالشؤون الاقتصادية والتصميم وتكوين الاطارات كلمة باسم حكومة صاحب الجلالة هنأ فيها جلالة العاهل بحلول هذه الذكرى الغالية وتمنى فيها طول البقاء ودوام السؤدد والسناء لسمو ولي العهد .

ثم القى صاحب الجلالة الملك المعظم الحسن الثاني أعزه الله كلمة قصيرة رد فيها على كلمتي التهاني اللتين القاهما معالي الاستاذ ادريس المحمدي المدير العام للديوان الملكي ومعالي الوزير الاول محمد بنهيمة :

« كلمة صاحب الجلالة »

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله

معشر السادة سوف لا أطيل في الكلام لان كل ما يمكن ان يقال اما قاله وزيرنا المدير العام للديوان الملكي ، واما قاله نيابة عنكم الوزير الاول للحكومة .

ولكنني اريد هنا ان اقول شيئا واحدا، انه لا اعتبر ابني ابنا لي وحدي ، بل اعتبره ابن جميع المغاربة ، واعتبره الخادم الاول بعدي لشعبه ولامته ، وسوف أربيه على هذا المنوال وعلى هذه السيرة ، أرجو الله سبحانه وتعالى الا يخيب الظن وان يجعله دائما محفوفا برضانا ورعايتنا .

والسلام عليكم ورحمة الله .

وبعد ذلك أقام مولانا الملك حفلة استقبال على شرف السادة الوزراء ومختلف الشخصيات التي قدمت تهانيها الصادقة ومتمنياتها الخالصة الى جلالة مولانا الملك بمناسبة الذكرى الرابعة لميلاد صاحب السمو الملكي ولي العهد الامير سيدي محمد ابقاه الله .

كلمة معالي الوزير المدير العام للديوان الملكي الأستاذ إدريس المحمدي

ألقى معالي المدير العام للديوان الملكي الاستاذ السيد ادريس المحمدي كلمة هنأ فيها صاحب الجلالة الملك المعظم مولانا الحسن الثاني نصره الله بمناسبة الذكرى الرابعة لميلاد سمو الامير المحبوب ولي عهد المملكة المغربية سيدي محمد :

ان الرسالة الخالدة التي كلفكم بها ربنا جلت قدرته ، تلك الرسالة التي تسهرون على أن يتكلف بها سمو ولي العهد سيدي محمد رسالة مبنية على أسـاسين :

وحدة العرش .. ووحدة الامة

باسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه .

عاش الحسن الثاني

مولاي صاحب الجلالة

يوم 9 يوليوز ازدان بيت محمد الخامس قدس الله ثراه بمزيدكم يا صاحب الجلالة ، ويوم 21 غشت ازدان بيتكم وفراشكم بازدياد صاحب السمو الملكي ولي العهد المحبوب سيدي محمد .

أعرف يا صاحب الجلالة ايمانكم العميق واعرف يا صاحب الجلالة ايمانكم الكبير ولذلك أسامح نفسي وأقول : ان الله سبحانه وتعالى اراد أن يكون بين يوم ازديادكم وبين يوم ازدياد سمو الامير ذلك اليوم التاريخي ، يوم عشرين غشت ، يوم التضحية ، يوم المقاومة ... ولاجل ذلك قبل 21 غشت يرى فيكم ولي العهد المحبوب ولي عهدنا رجل التضحية ، رجل المعركة، رجل المقاومة ، رجل النضال ، اراد الله سبحانه وتعالى أن يكون يوم 20 غشت بمثابة عهد بينكم وبين امتكم وبين ولي عهدكم ان يكون بمثابة ميثاق تسهر على تطبيقه أمتكم جمعاء تحت قيادتكم الرشيدة ، تحت قيادتكم النيرة ، ولقد استمعت يا صاحب الجلالة الخطاب الذي تفضلتم ففهتم به امس ، ذلك الخطاب الذي يحتوي على وصية سر مدية لولي عهدكم ، ذلك الخطاب ركزتموه يا صاحب الجلالة ، على ضرورة التجاوب بينكم وبين شعبكم وعلى ضرورة مقاومة كل ما من شأنه ان يمس بهذا التجاوب سواء كان فى الداخل او فى الخارج ، وعلى ضرورة العمل البناء الذي تسهرون عليه صباح مساء ، ونحن الذين ساعدنا الحظ بالركون اليكم ، وبالتقرب منكم ، نعرف كيف يدفعكم ذلك الحرص الى العمل اليومي المتواصل ...

استمعت الى ذلك الخطاب يا صاحب الجلالة ، ورايتكم والعائلة الملكية تحيط بكم ، فظهر لي بل تيقنت بأن الرسالة الخالدة التي كلفكم بها ربنا جلت قدرته تلك الرسالة التي تسهرون على ان يتكلف بها سمو ولي العهد سيدي محمد ، هي رسالة مبنية على اساسين : الاساس الاول وحدة العرش ، وحدة العائلة المالكة ... كان يوم عشرين غشت نبضة فى قلب تلك العائلة فضم حول ملكها وقائدها ورئيسها وقائدنا ، سائر افراد ابنائه ، كنتم انتم وكان سمو الامير مولاي عبد الله وكانت معكم الاميرات فالتف الكل وذهب مضحيا بكل رخيص وغال ، هذا هو الاساس الاول ياصاحب الجلالة ، والاساس الثاني كذلك وحدة الامة بما فيها من العناصر الناهضة ، وبما فيها من عناصر واعية ، وبما فيها من ضمير حي تسهرون عليه ، فمنذ ذلك التاريخ يا صاحب الجلالة ونحن نراكم تعملون جادين على ان تكون فلسفتكم فى الحياة فلسفة عمل ، فلسفة تضحية فلسفة نزاهة فلسفة مقاومة الواقع ، يستحيل على جلالتكم ان تجعل مفتشا امام كل مسؤول فى الدولة ولاجل ذلك تسهرون على ان تكونوا الضمير فى قلب كل مغربي سواء كان مديركم العام للديوان الملكي ، او وزيركم الاول او فردا من افراد الامة ، هذه هي الرسالة الخالدة التي اراد الله سبحانه وتعالى أن تستنتجها من المقارنة بين التارخين 9 يوليوز و 21 غشت و 20 غشت وبهذه الرسالة التي تسهرون على انجازها يا صاحب الجلالة ونحن وراءكم ونحن امامكم ، ونحن من خلفكم ، ونحن عن يمينكم وعن يساركم والامة كلها أجمع معكم ، فبهذه الرسالة ينهض المغرب ، وبهذه الرسالة يرقى المغرب ، وبهذه الرسالة يمكنكم ياصاحب الجلالة ،نصرك الله مع ايمانكم الراسخ ان تقاوموا عوامل الفساد فى الداخل والخارج، حتى يكون ولي العهد المحبوب سيدي محمد ياخذ المشعل بيد قوية بوجودكم ومعكم ، وبجانبكم وحتى يكون كذلك الجيل الصاعد الذي له سنه ، ذلك الجيل الذي يكون فيه ولي العهد كبيرا ، يكون كذلك فى مامن من الخوف ومن الجهل ومن الركود ، ويكون حيا حرا .

عاش سمو الامير ولي العهد المحبوب سيدي محمد .



كلمة معالي الوزير الأول الدكتور محمد بنهيمة

« اننا لمؤمنون يا مولاي بأن ولي عهدكم المحبوب سيحظى بعنايتكم الموفقة ، واهتمامكم البالغ بمثل ما نلتموه من والدكم المقدس محمد الخامس طيب الله ثراه

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله .

مولاي انه من دواعي اعتزاز خديمكم وافتخاره ، ودواعي مسرته وابتهاجه جدا ان يرفع في هذا اليوم الاغر السعيد ، بالاصالة عن نفسه وبالنيابة عن رفقائه خدامكم الاوفياء المخلصين اعضاء حكومتكم العاملين بقيادتكم المسترشدين بهدايتكم المستقيمة ، اصدق التعبير عن تهانيهم واخلاص الاعراب عن ايمانهم بمناسبة الذكرى الرابعة لميلاد ولي عهدكم المفدى صاحب السمو الملكي الامير سيدي محمد أطال الله بقاءه وادام سؤدده وسناءه ، واعاد عليه امثال هذا العيد وجلالتكم الشريفة قريرة العين به ، راضية عنه ، مفعمة القلب سرورا وحبورا باقواله واعماله .

في ذلك اليوم الميمون الذي انعم الله عليكم وعلى هذه البلاد ، فحقق الرغبة المنشودة والامنية الغالية ووهب لكم من كانت افئدة شعبكم متطلعة الى طلعته تواقة الى غرته ، مشرئبة الى اعز واغلى ما تشرئب اليه قلوب امة بأجمعها ، فاحكم التاريخ ربط آمالها بعرشكم المجيد ووثقت العصور صلتها بدولتكم الشريفة التي انبثقت من صميمها وقاسمتها السراء والضراء وشاطرتها الشدة والرخاء ، وجسمت مطامحها تجسيما ، وشخصت امانيها تشخيصا ، وصانت وحدتها وكرامتها ، عبر الاطوار والمراحل والقرون ، فالسرور الذي اشاعه ميلاد ولي عهدكم في افئدة شعبكم باكمله ، سرور صاحب الامل واقترن به الرجاء ، في ان يكون فرع دوحتكم الفتي وسليل ارومتكم الكريمة من رجال دولتكم الذي ينسب اليهم جليل الاعمال ، ونافع الافعال لصالح هذه البلاد ، شأنه في ذلك شأن أبيه الملك العظيم الحسن الثاني ، ــ ادام الله ملكه وخلد ذكره واطال بقاءه ــ وشأن اجداده المنعمين الغر الميامين الهداة المصلحين الذين كفلوا بجهودهم الحميدة ومشاعرهم الرشيدة العزة والكرامة والرفعة ، وذيوع الصيت في هذا الوطن العزيز .

واننا لموقنون يا مولاي بأن ولي عهدكم صاحب السمو الملكي الامير المحبوب سيدي محمد سيحظى بعنايتكم الموفقة ، واهتمامكم البالغ وسيظفر من تهذيبكم وتربيتكم وتثقيفكم وارشادكم وتوجيهكم بمثل ما نلتموه من والدكم المقدس ، محمد الخامس طيب الله ثراه ، وأكرم مثواه واسكنه فسيح جناته واغدق عليه شآبيب رحمته واصبغ عليه جزيل غفرانه ، كما اننا مومنون يا مولاي بانكم لن تالوا جهدا ولا تدخروا وسعا حتى يستطيع ولي عهدكم ان يؤدي في ظلكم الممدود ، وتحت رعايتكم الشاملة لشعبكم ووطنكم من الخدمات والاعمال ما يبلغ به رضاء قلبكم الكريم ، وتطمئن اليه نفسكم فلا ترتاح الا اذا توافرت اسباب الراحة لابنائها ولا تسعد الا اذا تحققت لهم وسائل السعادة ، والله اسأل يا مولاي ان يمد في عمركم ويكلاكم ويرعاكم ويبقيكم ذخرا لشعبكم وسندا وركنا مكينا وعمادا ، ويقر عينكم بولي عهدكم المفدى ادام الله عليه وعليكم امثال هذا العيد وحفظ اخته الاميرتين الجليلتين صاحبة السمو الملكي للا مريم وللا اسماء ، ويمتعهم بكم واراكم فيهم جميعا بما تقر به جلالتكم وتسعد ، انه مولى الراغب وملاذ الطالب ومحقق الرجاء والمستجيب عند الدعاء . والسلام على مقامكم العالي بالله .

أبحاث ودراسات



قال لي : هل قرات قصيدة فلان التي عارض بها ابن زيدون ، المنشورة فى العدد الاخير من المجلة ؟ وكان يعني مجلة يشرف على تحريرها . فقلت له : لقد قراتها منذ عشر سنوات فى مجلته التي كان ينشرها بتطوان .

فاجابني : كيف يرسل الينا شيئا سبق له نشره ، فيورطنا مع القراء ؟ فضحكت ، وقلت له : انت ايضا من اصحاب هذا الراي القائل ؟ قال واي راي ؟ قلت هذا الذي عبرت عنه باستنكار وجعلته مما يوقع المجلة في ورطة . فقال : الا ترى انه مما لا يليق بمجلة محترمة ان تعيد نشر ما سبق ان نشر فى مجلة اخرى ؟ .

قلت ان ما لا يليق بمجلة محترمة هو ان تنشر التافه والغث من الانتاج الادبي او العلمي ان كان في الانتاج التافه والغث ما يصح ان يوصف بانه ادبي او علمي . وان ما لا يليق بمجلة محترمة هو ان تنشر المقالات والابحاث التي ليس لاصحابها منها الا الهيكل العظمي المخيف، واما كل ما يزينها من افكار ، وآراء فانه مما سطوا عليه وتبنوه بغير خجل ولا حياء . وان ما لا يليق بمجلة محترمة هو ان تكون صاحبة دعوة ورائدة فكرة ، فتنشر ما لا يتفق ودعوتها ، وما يروج لغير فكرتها بدافع ملء الصفحات الفارغة ، ولا تبالي ان تبدو وامام الناس متناقضة مع نفسها ، متهافتة ازاء مبادئها وغاياتها .

اما اعادة نشر الاثر الذي سبق نشره فى مجلة اخرى ، فليست ابدا مما لا يليق بمجلة محترمة ، ولا سيما اذا كان مقدما من طرف صاحبه الذي انشاه وله الحق فى اعادة نشره متى شاء واينما شاء .

ان المجلة التي تحرص على ان تكون محترمة ، اول ما يجب عليها هو ان تحترم قراءها ، وذلك بان يكون ما تقدمه اليهم من المواد ، طبقة عالية من الانتاج الذي ينمي ثقافتهم ، ويربي ذوقهم ، ويفتح اعينهم على آفاق من المعرفة والادب والفن ربما كانت محجوبة عنهم مجهولة لديهم . والاثر الذي خضع مرتين لامتحان النشر والناشرين وجاز هذا الامتحان بنجاح لابد ان يكون فى الذروة من هذه الطبقة ، فما ذا على المجلة التي نشرته ثانيا ، ولا سيما بعد مرور مدة كافية لجعل الذين قراوه اولا يستفيدون من اعادة قراءته ، بله الذين لم يقراوه اطلاقا ؟ .

وقلت لصاحبي : وها انت فى سعة اطلاعك وعلى علاقتك الشخصية بصاحب القصيدة ، قد فاتك ان تعرف قصيدته هذه حتى ارسلها اليك فقراتها ورايتها جديرة بالنشر ، ومثلك كثير ممن لم يطلع عليها ولم يكن ليعرفها لو لم يكتب لها ان تنشر من جديد .

ان كثيرا من الصحف والمجلات تعيد نشر مقالات وابحاثا وآثارا ادبية عن زميلات لها لما ترى فيها من الفائدة والمتعة لقرائها ، ويكون من الواجب الادبي عليها ان تنوه بالصحيفة او المجلة التي نقلت عنها ، فما هو الفرق بين ذلك وبين الاثر الذي تعيد نشره معززة باذن صاحبه ورغبته فى نشرها له حين يرسله اليها مباشرة وبدون واسطة ؟ .

وتوجهت بهذا السؤال لصاحبي : من اين عرفنا انا وانت وكثير غيرنا هذه الآثار الادبية الكبرى للادباء المعاصرين ، مثل قصيدة المعلم لشوقي وتائية اللغة

العربية لحافظ ، وهي الحقيقة للزهاوي وما سواها لهم ولغيرهم من ادباء جيل النهضة العربيــة الحديثــة ؟ أليس من تداول نشرها وتناقل الصحف والمجلات لها في الشرق والغرب منذ ان قالوها الى الان ، فضلا عن ظهورها في دواوينهم والمنتخبات التي الفت من اشعارهم والدراسات التي كتبت حولها ؟ .

بل ما الذي حفظ لنا آثار الادباء السابقين مـن عصر الجاهلية الى عصرنا الحالي ، سوى هذه المجموعات التي الفها العلماء والرواة ولم يستنكف احد منهـم ان يثبت من ذلك ما اثبته غيره ، ولا ان يضمـن تاليفـه القصيدة التي سبق ان تضمنها تاليف آخـر ؛ لمـا ان الاثر القيم يفرض نفسه على الجميع ، ويرى الناس خلو الكتاب منه نقصا في ذلك الكتاب ؟ .

واذن فاعادة نشر الاثر قديما وحديثا هي وسيلة الاحتفاظ به وصونه من الضياع ، فضلا عن كونها هـي الكفيلة باذاعته اولا وسيرورته بين الناس ، فالمجلة التي تقوم بهذا العمل انما تسهم في نشر المعرفة وكفالة الانتاج الادبي ، وهي بذلك اجدر بالاحترام وان ينظـر اليها بالعين التي كان ينظر بها الى اولئك الاعلام من رواة الادب ومؤلفيه .

وننظر الى كاتب الاثر الادبي ، فنجده قد تكبـد مشقة التفكير فيه اولا ، ثم مشقة اخراجه الى حيـز الوجود ، وربما كان عليه ان يراجع ويقارن ويحقـق ، خصوصا اذا كان الاثر بحثا علميا او دراســة ادبيــة ، ويأتي بعد ذلك تعب نقله او نسخه على الالة الكاتبة ، وقد يدفع اجرة ذلك اذا كان لا يحسنه .. فاذا بعث به الى احدى الصحف او المجلات ونشر في حدود دائـرة الصحيفة او المجلة ، اصبح حقه فيه منتهيـا ونحبـه مقضيا ، على رأي اصحاب النشرة « المحترمـة » التي ربما لم تدفع له شيئا بدل اتعابه او دفعت له النزر اليسير الذي لا يسمن ولا يغني من جوع .. فاذا رأى ان الاثر لم يكن له الصدى المطلوب لضيق دائرة النشر ، او انه نشر مشوها بسبب تصرف هيئة تحريـر المجلـة او الصحيفة التي نشر فيها او عدم تصحيحه ، وبدا له ان يعيد فيه النظر ويحور منه بالزيادة او النقصان وتغيير العنوان الذي قد يكون مفتاحا عليه فيه ، ثم بعثه الـى صحيفة او مجلة اخرى فرضيته ونشرته ، قامت قيامة بعض الفضوليين وكتبوا ناعين عليه عمله هذا ومعتبرين انه ارتكب احدى الفظائع .

ولماذا ؟ أليس هو انتاجه الخاص ، ومن حقه ان ينشره وحتى ان يستفيد منه كلما وجد لذلك سبيلا ؟

وما رأي هؤلاء السـادة فيما لو اخرج الكاتب اثره هذا في كتاب او دفتر ، وما الفرق بين ذلك وبين اخراجه ثانيا في نشرة عمومية ؟ .

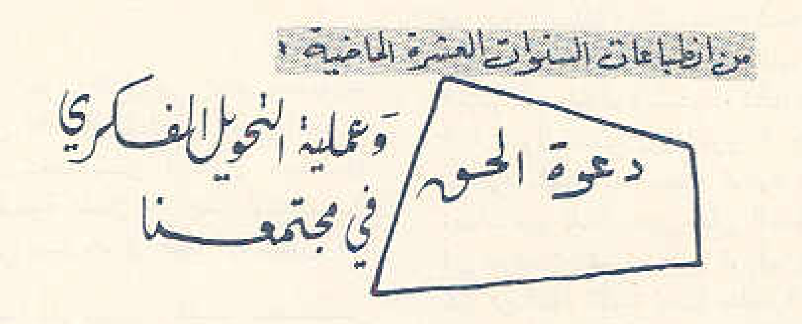
وهؤلاء الفنانون من ممثلين وموسيقيين ومغنين لما ذا كان لهم الحق في عرض اعمالهم الفنية علينا مكررة معادة في كل وقت وحين من غير ان ينكر عليهـم احـد ويستهجن عملهم انسان ، مع العلم بانهم يستفيـدون اضعاف ما يستفيده الاديب ، وان حقوقهم محفوظـة لهم كلما عرضت اعمالهم واذيع انتاجهم بأي وسيلة وفي اي زمان ومكان ؟

ولقد يكون من هذا الانتاج ما يغثي ، وما يعمي ويصم ، ومع ذلك فانه مفروض عليك ان تسمعه او ان تسمعه وتراه كلما ادرت مفتاح مذياعـك او تلفـازك ، تريد ان تتسلى وتنعم بسويعة هنيئة في جو فني ساحر ، فاذا الانغـام الناشـزة والحركـات البهلوانية تثيـرك وتزعجك ، وليس لك بد من ان تنتظر انكشاف الغمـة وانجلاء الغاشية لما يحتمل ان ياتي به البرنامـج مـن حسنات يذهبن تلك السيئات .. وهـذا في حيـن ان الكاتب لا يفرض عليك نفسـه ، لانك حر في قراءتـه او عدمها ، وسهل عليك جدا ان تتخطاه الى غيره ، وتتصفح المجلة فتقرا ما شئت وما يروق لك من مقال او بحث او قصة او شعر ، وتترك الاثر المعاد نشره لمن لم يقـراه من قبل ، على انك هنا لم تعب الاديب لادبه وانما تعيبه لاعادة نشر هذا الادب ، ونحن نعيب الفنان المزعوم ، ذلك الذي يفـرض نفســه علينـا بمعاداتـه ومكرراته المجوجة ، بتفاهة عمله وضحالته ، يتسوره على حرم الفن وتشبعه بما لم يعط ، فبين النظرين فرق واضح .

وبعد فانا طبعا لا اقول بان المجلة او الصحيفة لا يكون لها رصيد الا من هذه الاثار التي سبق نشرها في غيرها ، فالمجلة او الصحيفة من هذا القبيل لا اعتبـار لها عند احد ما هـي الا كناش « كوبيا » مما يستعملـه التجار واصحاب الشركات لحفظ نسخ من مراسلاتهم واوراق حساباتهم . والذي اعنيه هو ان الاثر الادبـي الذي يعاد نشره ولو اكثر من مرة لا يفقد قيمته بذلك . وان المجلة « المحترمة » ما نشرته حتى قدرت قيمته ، ولا غضاضة عليها بذلك ولا يحق لها ان تتذمر من الاديب الذي بعث لها به ما دام له قيمة ، ولو دفعت له بدلا ، فكيف ان لم تدفـع شيئـا . وكفى بعدم علمها هــي ومحرروها بسبق نشره شهادة على جدته وفائدته .

طنجة : عبد الله كنون

من انطباعات السنوات العشر الماضية :



دعوة الحق وعملية التحويل الفكري في مجتمعنا

للأستاذ : المهدي البرجالي

«دعوة الحق» هذه المجلة التي خلقت جيلا من الكتاب والقراء ، لا تزال تتعهده باستمرار ، مؤدية بذلك — في حظيرة المغرب المستقل — دورا لا يستطيع احد ان ينكر اهميته . انها تشرف الان على نهاية سنة اخرى من عمرها ، ولعل احسن ما نرجوه لها في سنوات قابلة — بحول الله — ان تنجح في ربط مزيد من الصلة الايجابية بعموم القراء ، وان تتمكن من استدراجهم الى التخلي عن موقف الاستهلاك السلبي البسيط ، والاسهام بنقدهم وتوجيههم في النهوض بالحياة الفكرية بالبلاد .

عندما صدر اول عدد من هذه المجلة : كان المغرب — ساعتها — لا يزال في بداية عهوده الاولى بالاستقلال ، مفتقرا الى كل شيء يبني عليه شخصيته الثقافية الحديثة ، كافتقاره كذلك الى اي شيء ، يقيم به كيانه السياسي والمادي ، كوحدة قائمة بذاتها، متفاعلة مع دواعي الحياة ومقتضياتها في النصف الثاني من القرن العشرين .

لم يكن في المغرب حين صدور هذه المجلة ، نشرات دورية في مثل مستواها تعمل على الترويج لقضايا الفكر والثقافة بهذا القطر ، وان كانت الصحافة اليومية تنشر دائما ابحاثا وتخصص صفحات دورية للشؤون الادبية والعلمية ، وبطبيعة الحال فمجرد صدور صفحات تعالج شؤون الادب وما اليه ضمن الصحف اليومية ، ليس من شأنه ان يؤدي الى خلق الجو الثقافي الاكثر سعة ، الذي تساهم في خلقه المجلات وعموم النشرات المتخصصة — اساسا — في الموضوع الثقافي على اختلاف الصور والالوان التي تظهر بها الثقافة بمفهومها الشامل ، ومن ثم ، فقد كان بروز هذه المجلة موجها لاداء رسالة تتعلق بالحياة الجديدة لشعب كامل . وخلق حالة فكرية وثقافية توازي في انطلاقيتها وفاعليتها ، الحالة التنظيمية المادية التي كان على هذه البلاد ايضا ان تخلقها ليكون لقيامها — ككيان مستقل — معنى حقيقي يعتد به ، من هذا الاعتبار يمكننا ان نتبين سعة المجال التاريخي الذي كان على هذه المجلة ان تعمل فيه ، ولم يكن مجرد صدور المجلة في حد ذاته — هو الذي يفرض بطبيعته اهمية هذا المجال ، ويجعل منه مجالا تاريخيا اي فاعلا فاعلية اساسية في سير التاريخ بمعنى من معانيه نقول ، لم يكن مجرد ظهور المجلة — في حد ذاته — يعني كل هذه الاعتبارات الكبيرة جدا ، وانما الذي كان فارضا ، مثل هذه الاعتبارات، هو الظرف التاريخي الذي ظهرت فيه المجلة ، فهذا الظرف لم يكن ظرفا عاديا و لا شبه عادي ، ومن ثم كان بروز المجلة فيه ، بل والمهمة التي اخذتها على عاتقها خلال ذلك الظرف ، كان كل ذلك شيئا غير عادي ولا شبه عادي ، ومن هنا كانت هذه الاهمية التي ننسبها اليها ، او يحق لها أن ننسبها هي الى نفسها ،

ان وجدها الحال في معرض الحديث عن نفسها يوما من الايام .

لكن لماذا كان الظرف التاريخي الذي صدرت فيه ، بهذه الدرجة من الاهمية البالغة ؟ ايرجع ذلك الى كون سنة 1956 كانت من اوائل عهود الاستقلال ، وأن « دعوة الحق » كانت اولى المجلات من نوعها التي صدرت في عهد الاستقلال ؟

نعم ولكن ليس هذا كل شيء ، فليس مصدر الاهمية في الامر كله ، ان المجلة صدرت في وقت مبكر من عهد الاستقلال ، وانها كانت اول مجلة من نوعها برزت في ذلك الحين ، منذ عشر سنوات ، اننا لا نضع كل الاهمية هنا كله ، في مجرد عامل الزمن او عامل السبق الزمني ، على اعتبار ان مجلة أقدم من الاخرى ، أو أن صحيفة انفردت بنشر شيء قبل صحف غيرها ، او ما في معنى ذلك ، ان الشيء الذي يجب ان يأخذ بنظرنا — اكثر من هذا — هو الظروف « شبه العذراء » التي كانت موجودة في اوائل عهد الاستقلال كما توجد في اول عهد للاستقلال ، وتحمل للمسؤولية القومية بأي قطر من الاقطار .

لقد كانت الظروف — بطبيعة الحال — ظروفا « شبه عذراء » ان صح لنا ان نعبر بمثل هذه الطريقة نريد من ذلك ، ان كل شيء في النطاق المادي والمعنوي كان محتاجا الى الاعمال الاولى ، الاعمال الرائدة ، التي تخترق الحواجز لاول مرة ، وتزيح الحجب ، وتعبد السبل ، وتهيىء امكانية السير في طريق غير معبدة بالقدر الكافي ، او غير معبدة اطلاقا ، اذن ، فالسير فيها يحتاج الى كثير من حدة البصر والبصيرة ، وسعة القدرة والعزيمة ، وتوافر روح المبادرة الجريئة ، حتى اذا اعتيد على الطريق فيما بعد ، وعرف منها ما يأخذه المرء وما يذر ، حينئذ تصير مهمة السلوك اكثر سهولة ، والنفوذ منها قال احراجا ، وكذلك كان الحال بالنسبة الى « دعوة الحق » في اول عهدنا بالاستقلال ، وذلك طبعا في نطاق ميدانها الخاص : ميدان الفكر والثقافة والمعرفة ، والقيم الثقافية والفكرية هي — حقا — قيم ثابتة لا تتغير في جوهرها ، بتغير العهود والاحوال الدنيوية المتعاقبة ، وذلك ما قد يعترض به البعض — بهذا الصدد قائلا : اذا كانت القيم الثقافية الاساسية تتميز بثباتها وملاءمتها لمختلف الظروف المتقلبة ، وكانت « دعوة الحق » مسبوقة بمجلات كثيرة قبلها خاضت بقدر كبير في هذا الميدان ، ميدان الثقافة والمعرفة ، فلماذا نعتبر اذن « دعوة الحق » قد بدأت عمليا في ظروف « شبه عذراء » توجب عليها سلوك سبل غير مطروقة دائما مع ان عددا من النشريات الثقافية صدرت قبلها في غضون العقد الرابع والخامس من القرن ؟ حقا ان هناك مجالا مشتركا لعمل اية مجلة ثقافية في أي عهد من العهود فهناك قيم ثابتة يتعين على الصحافة الثقافية دائما وفي اي ظرف أن تعمل على بلورتها وتركيزها في الاذهان ، كما ان لهذه الامة ايضا حاضرا نضاليا ، يتحتم على الفكر والادب دائما ان يلقي الاضواء على منعرجاته، ويضبط سبل سلوكه ، ولها اي الامة ، في نفس الوقت مستقبل طويل عريض ، تتطلع اليه ، وتضع عليه آمالا جساما ليس للادب والفكر من تعزيزها واعطاء منطلقات واسعة في الاذهان ، كل هذه معطيات اساسية ، تجد كل صحافة مغربية واعية نفسها ملزمة بأن تعمل على خدمة هذه المعطيات ، والترويج لها من زاوية الادب والفكر ، مثل ما يروج لها من زوايا اخرى على صعيد الحياة العملية سياسية واقتصادية وغيرها ، و«دعوة الحق» تلتقي في هذا المجال — مع اية مجلة اخرى صدرت قبلها من المجلات الوطنية ذات النزعة العلمية والادبية ، الا ان هناك — مع ذلك — ضرورة لملاحظة الاعباء الجديدة التي كان على مجلات العهد الاول للاستقلال كدعوة الحق — ان تحملها وتقوم بها على نحو ما ، في حدود الامكانيات الموفورة لمثل هذه المجلات والنشرات الثقافية ، وهذا ما يمكن ان يدعى بالطريق « شبه العذراء » التي اخال انه كان على « دعوة الحق » ان تخضع جزءا كبيرا من العمل لسلوكها بنجاح وجدوى ، وخدمة المقتضيات التي تفرضها ، ومن ذلك على سبيل المثال :

1) انفتاح الباب على مصراعيه بين المغرب والعالم الخارجي ، وانفتاح الباب هكذا ، نتيجة للاستقلال كان فرصة ايجابية وتقدمية بالنسبة لهذه البلاد، الا انه كان من شأنه ان يضع علينا تكاليف وتبعات مهمة ، تتجلى في ضرورة تفتحنا تفتحا — اعمق — على قضايا العالم الراهن حضارية وفلسفية وغيرها لنتمكن من فهم وضعنا الحضاري والفكري في هذا العالم ، وتقييم موقفنا الحضاري والثقافي تقييما موضوعيا صحيحا ، ثم لنتمكن كذلك من الاختيار ، وحسن التبصر فيما يختار من قيم فكرية وحضارية عند الغير ، بما يقتضيه ذلك من عدم التهافت تهافتا ارعن على هذه القيم والاخذ منها بغير تبصر ،

ودون حاجة ايجابية ، هذا من جانب ، ومن الجانب المعاكس ، كان علينا ــ في نفس الوقت ، ان نعمل على تقريب انفسنا نحن ايضا من العالم ، تقريب مفاهيمنا الحضارية ، وافكارنا الانسانية ، وموروثاتنا الاصيلة الى غيرنا من المجتمعات لقد كان اهم ما يعرفه عنا من يعرف عنا شيئا في عهد المطالبة بالاستقلال ــ اننا امة ذات حق في هذا الاستقلال تعززه الوثائق الدولية ، ويسنده الكيان السياسي والقانوني الذي لنا بكل اصالة ؛ كانوا يطلعون اكثر ما يطلعون على قضيتنا من وجهتها التحررية ، لان اكثر ما كان يروج من مادة اعلامية بهذا الصدد بيننا وبين غيرنا من الشعوب ، كانت هي هذه المادة بالذات ، وكان المقال الادبي نفسه والقصة والشعر وغيره ، كل ذلك كان يسخر ــ في احوال عدة ــ لخدمة مثل هذه الاهداف ، علاوة على الكتابات السياسية المباشرة ، المتعلقة بمثل هذه الامور .

لقد انتهت غيرناالى ان تنظر الينا ، نظرة امة مناضلة ، وجديرة بنيل حق تسعى اليه ، ثم اصبح الحال في عهد الاستقلال ، يفرض أن نستدرج نفس هذه الشعوب ، الى ان تنظر الينا ايضا كأمة ذات تراث عريق وصاحبه قدرة على الاعطاء لغيرها في مضمار التعاطي بين الحضارات المختلفة ، امة لها ماضيها الثقافي ولها حاضرها الثقافي كذلك ، ولها في ذات الوقت ــ تطلعاتها الثقافية ذات المدى البعيد ، كل هذه امور اذا حصلت منها أمة على شيء ــ في مضمار تفتحها على العالم الخارجي ــ فقد نالت في الواقع مكسبا كبيرا من اهم ما يحرص على كسبه ، ولابد من ملاحظة جزئيتين اولاهما : ان ما تقدم لا يعني ان المجلات الثقافية قبل الاستقلال ، لم تكن تقوم بدور ما للتعريف بالجانب الحضاري من قضيتنا ، الا ان نطاق ذلك كان محدودا جدا ؛ للظروف السياسية الملحة ، التي كانت سائدة حينئذ اما في عصر الاستقلال ، فقد اصبح هذا الجانب يشكل الباب الاهم ، فيما تعرضه الصحافة الثقافية من مواد مختلفة تهدف الى ربط علاقات لنا فكرية بالعالم خارج الحدود ، والجزئية الثانية هي اننا لا نقصد مما تقدم أن « دعوة الحق » وغيرها ، تستطيع ــ في النطاق الصحافي ، ان تؤدي بمفردها كل هذه الوظائف الحيوية في حياة الشعوب ، وانما نقصد فقط أنه كان لمجلات عهد الاستقلال مهمة ذات ، شأن في هذا الميدان ، متضافرة مع الجهود التي يجب ان تبذل بهذا الصدد ، عن طريق جهات اخرى غير الجهات الصحفية ، وحتى في الميدان الصحفي نفسه، فان مهمة « دعوة الحق » وغيرها من النشرات الصادرة بالعربية ، اقصى ما ينتظر منها ، الايفاء بمهمة التعريف بالمغرب في حدود الاقطار الناطقة بالعربية ، فاذا ما كان لما تصدره ، صدى من هذا القبيل في غير بلدان اللغة العربية فذلك فوق ما ينتظر منها من حيث المبدأ .

2) الضرورات التي فرضت نفسها ، قاضية بالعمل على تعميق الشعور بالشخصية المغربية الاستقلال في العادة ثمرة عمل نضالي شاق وطويل ، الا انه اذا كان ثمرة تجتنى ، فهو في ذات الوقت عبارة عن جملة من المسؤوليات والتحملات ، يتطلب الحال كثيرا من الجلد والمصابرة على القيام بها ، فالاستقلال يفرض ــ أول ما يفرض على مجتمع ما ــ المبادرة الى العمل على استكمال شخصيته وتوفير العناصر الضائعة من هذه الشخصية التي كادت تتلاشى بالتدريج في عهد الحكم الاجنبي ، وهذه مهمة فرضت نفسها على المغرب فور استقلاله ، بحكم ما تعرض له خلال حكم الاجانب من تطاول على بعض المقومات المكونة لشخصيته ، فكان من ذلك قضية التعريب والمغربة وما يتصل بذلك من قضايا فرعية عديدة ، ولا نريد بالتعريب هنا مجرد نشر اللغة العربية بين افراد الجيل ، ليتحدثوا بها ، ويقرأوا ويكتبوا ، بل نريد بالتعريب مدلوله الاوسع ، بما يقتضيه من ربط الجيل المغربي بالروح العربية ــ الاسلامية ، وتقريب القيم الثقافية العربية اليه ، وتكوين ملكة عربية لديه ، وصقلها بصورة تجعل اندماجه في كيانه القومي العربي ، اندماجا عميقا ، ملتحما بمعطيات الفكر والوجدان الى ابعد حد ، ونريد بالمغربة كذلك : تهييء المجال العقلي اللازم أمام الجيل لكي يلتقي التقاء كاملا حقا مع هذه المغربية التي تحدد له صفته الذاتية المميزة ، ان بذور المغربية كامنة بالضرورة في عمق الافراد مهما تغربوا عن تاريخهم وكيانهم الحضاري، الاان عملية تعميق الشعور بهذه الصفة المغربية ، وبعث الاسس التاريخية والفكرية لها بعثا يجعلها حية فعالة في ذهن الفرد ، مؤثرة في تكوين عقليته ، وصهر افكاره ــ كل ذلك يقوم بالنسبة لكل مجتمع حديث عهد بالاستقلال كضرورة اولية ، لا غنى له عن الاستجابة لدواعيها والعمل من اجلها بكل الاوجه المناسبة .

والصحافة الثقافية لها بطبيعة الحال مجال واسع في هذا الميدان ، لمساعدة المجتمع على استرداد

معالم شخصيته التي تكاد تضيع بضياع متانة الرابط الثقافي بين الجيل ووطنه ، وهذا المجال قد خاضت فيه الصحافة الثقافية قبل الاستقلال ، بقدر ما كان موفورا لها من افق محدود ، غير أن ظاهرة الانفصام النفسي بين الجيل وتراثه القومي ، كانت الى فجر الاستقلال ، لا تفتأ تشكل حالة معضلة تامة ، تقوم بكل تعقيداتها التي تتطلب المواجهة السريعة ، ومن ثم كان هناك امام الصحافة الثقافية في عهد الاستقلال — ودعوة الحق برزت كأول ما برز من هذه الصحافة — كان هناك باب واسع للعمل من هذا القبيل ، من أهم ما يطرق من الابواب التي تعني عالم الصحافة ، وهناك امكانية بهذا الصدد توافرت للصحافة الثقافية في عهد الاستقلال ، لم تتوافر للصحافة قبل ذلك ، وهي ان العمل على التعريب والمغربة ، لم يبق — كما كان الشان قبل الاستقلال — عملا صحفيا خافت الصدى يروج له بالكلمة فقط بين افراد الجيل الذين يقرأون ويعون حينئذ فقد فرض الحال في عهد الاستقلال ، ظروفا جديدة في الموضوع، اهم ما فيها ان القضية بكاملها — قضية التعريب والمغربة — قد اصبحت قضية الدولة على صعيد رسمي ، وبذا تهيأت للعمل الصحفي — في هذا الموضوع — امكانية تضافر بينه ، وبين مصالح الدولة الاخرى التي تعنى بأمر التعريب والمغربة كالمدرسة والادارة وغيرهما ، غير ان هذا الظرف الايجابي الذي تهيأ بهذا الصدد ، يقابله من الطرف الاخر ، بروز مصاعب دقيقة في الموضوع ، صارت تتطلب من الصحافة الثقافية المبشرة بالتعريب والمغربة جهودا مضاعفا لتركيز روح الايمان بالقيم الثقافية العربية والقيم المغربية في انفس الجيل الناشيء، ولقد كان الايمان بذلك في انفس الجيل الماضي ايمانا عاطفيا ، تذكيه الامال والمطامح الوطنية ، التي يرتبط بها شعور الغيرة « العاطفية » على ما هو قومي ، ومجسد الذاتية المحلية ، ضد الوجود الاجنبي اما في فترتنا الراهنة ، فان الايمان بالقيم العربية والمغربية يحتاج الى توعية عقلية عميقة جدا ، والى تركيز شديد لبذور الاقتناع التلقائي عند الاجيال الناشئة ، الاقتناع بأن القيم العربية والمغربية ، تستطيع ان تكون في مستوى تحديات العصر الثقافية ، وتستطيع ان تتلاقى — بايجابية صادقة — مع عناصر الثقافات الاجنبية وتهضمها بما يكفل للفرد المغربي العربي اساسا صحيحا لتأكيد وجوده الثقافي والتعاطي مع القيم الثقافية الاخرى في العالم لقد كانت هذه مثاليات متسامية تتراءى للجيل المتحمس الذي كان يعيش بوعيه في عهد المطالبة بالاستقلال ، وهذه المثاليات ، كانت جزءا من الشعور القومي المتأجج الذي كان يقيم حالة المطالبة بالاستقلال ولم يكن هناك حينئذ مجال للمقارنة بين الثقافة القومية ، والثقافات الاخرى ، والقيم الحضارية المحلية والقيم الحضارية الاخرى ، لان الشعور القومي الملتهب كان يفرض حينئذ حالة من التقديس غير المقيد ، لقيمنا الخاصة ، هو بمثابة رد فعل على المبادرات الاستعمارية التي كانت تستهدف المس بهذه القيم ، والنفوذ من ذلك الى المس بالخصائص الجوهرية للمغرب ، والمشهد بعد الاستقلال ، لم يتغير كثيرا بهذا الصدد ، الا ان الحاجة الى الاقتناع العقلي بقيمة الخصائص الحضارية المحلية ، والمقارنة بينها وبين قيم حضارية اجنبية — هذه الحاجة قد ازدادت اشتدادا ، وبالنتيجة لذلك ، فان القضية برمتها ، قد اصبحت ذات ملابسات عقلانية في نفس الوقت الذي هي فيه ذات ملابسات عاطفية ، اقل مما كان عليه الامر قبلا ، في مثل هذه الاحوال يبدو للصحافة الثقافية كـ « دعوة الحق » دور اشعاعي مهم لا تنكر فعاليته ، فقد كان في عهدتها خلال الفترة التي برزت فيها هذه المجلة والى الان فسح مجال واسع لبلورة حقيقة القيم الحضارية العربية المغربية ، وربط الصلة العقلية الضرورية بين هذه القيم ، وبين اذهان الجيل الناشيء الذي سيكون مستودع هذه القيم ، والامين عليها ، وواسطة تسليمها الى اجيال لاحقة ، ان الحياة التعليمية والادارية بالبلاد ، تفرض بطبيعة اتجاهها هذا السير نحو الاندماج في صلب الحقائق المغربية والقيم الفكرية العربية التي تقوم عليها ذاتية المغرب والمجتمع المغربي ، ووظيفة الصداقة الثقافية ، تتمثل في العمل على تعزيز هذا السير على صعيد الثقافة وما في معناها ، وخلق حالة فكرية ملائمة، لها القدرة على استيعاب الضرورات الفلسفية التي تكمن وراء الوجود المسؤول في عالم اليوم ، واعطاء القضية هكذا ابعادا عقلية شاملة ، يسهل معها كل شيء بهذا الصدد ، من الناحية التطبيقية العملية .

3) الضرورات التي تفرضها الحياة العالمية والجامعية .

اذا كانت الحياة الوطنية المستقلة المتطورة ، تفرض عملا دائبا على احياء وتركيز القيم الثقافية والحضارية الخاصة بقطر من الاقطار ، فان هذا القطر ايضا يجد نفسه في اشد ما يكون حاجة الى

التجاوب مع حقائق العالم وتطوراته من الناحية العلمية المجردة ، بما يدخل فيها من عناصر شتى لا تقع تحت حصر ، ولا نريد بالعملية هنا مجرد الاطلاع على الحقائق والمنجزات العلمية السائدة بل نريد من ذلك ، اكتساب الروح العلمية التي تمكن من القدرة على فهم اعمق للعالم وقضاياه ومشاكله ، وتنمي سعة النظر والادراك عند الاجيال المتعاقبة حتى تستطيع انجاب القادرين على الانجاز العلمي الرائد سواء في مضمار النظر والتقعيد او في ميدان التطبيق كذلك .

وقد اصبح للمغرب في عهده المستقل حياة جامعية متطورة ، اهم ما ينتظر منها ان تعمل على خلق بذور حياة علمية منتجة ، وعقلية علمية واسعة الافق هي حظنا الاساسي فيما نهدف اليه من تطور وتقدم ، وهذه وظيفة اخرى لـ « دعوة الحق » — وقد واكبت عهد نشوء الحياة الجامعية ، وتفتح الافاق العلمية بهذه البلاد — هذه الوظيفة هي من اهم ما يمكن ان تؤديه المجلات الثقافية الحالية ، من وظائف لخدمة التوسع العلمي الذي نريده ونستهدف منه الشيء الكثير ، فالحياة الجامعية ، تشكل — حقا — المناخ الحقيقي ، الذي لا يغني عنه غيره لامكانية خلق حياة عقلية ، تفي لاغراض العلم الصحيح واهدافه روحا ومنهجا ، الا ان وجود الحياة الجامعية ، كعامل حيوي بهذا الشأن ، لا يمكن أن يقلل من اهمية الدور الذي تؤديه النشريات الثقافية التي عليها ، ان تتبع جوانب النشاط العلمي والادبي بالبلاد ، وتقتفي اثره بالتحليل والنقد ، وتربط خط اتصال ايجابي بين المتعلمين وتيارات الحياة العلمية والتقنية والادبية في داخل البلاد وخارجها ، هو اذن عمل هام جدا هذا الذي وضعته ظروف بناء الجيل المغربي المستقل — على كاهل « دعوة الحق» متضافرة مع غيرها مع النشرات المماثلة ، ومؤازرة كذلك لخطة الجامعة والمعاهد العلمية في هذا المجال

والسؤال الذي لابد ان يطالعنا بعد كل هذا هو : هل كان الجهد الذي بذلته « دعوة الحق » خلال السنوات العشرة الماضية ، والنهج الذي سارت عليه طوال هذه المدة ، في مستوى هذه المهام التي اناطها بها الظرف التاريخي الحاسم الذي صادف بروزها ؟ ولكي نتصور الامر بصورة اكثر تحديدا يجب ان نتساءل : هل نجحت « دعوة الحق » حقا في استغلال كل منافذ التفتح الخارجي التي اتاحها عهد الاستقلال لوطننا ، فادت وظيفتها هكذا في تعريف العالم (العربي على الاخص) بنا على صعيد الادب والفكر والثقافة ، ونقلت الينا من الجهة الاخرى اصداء امينة ، بل وصورا كاملة عما يروج خارج محيطنا الفكري في الشرق والغرب ، تطعيما لنهضتنا الفكرية الناشئة ، وتزويدا لها بلقاحات ضرورية ، لا تستطيع ان تنمو وتزدهر بدونها ؟ ثم هل كان الدور الذي قامت به المجلة — في حدود امكانياتها وميدان تأثيرها — هل كان هذا الدور ذا فاعلية على صورة من الصور ، في مضمار العمل على بعث شخصيتنا الثقافية والحضارية ، ووصل الجيل الناشىء بقيمه العربية والمغربية ، وتركيز أسس عقلية لديه حول ذلك ، تعزز الاسس العاطفية والاتباعية التي تربط في الاصل بين الناشئة واوطانها ؟ واخيرا : هناك السؤال المتعلق بالنقطة الثالثة التي اثرناها في الموضوع ، وهو : اذا كان من حظ المغرب المستقل ، ان نشأت فيه حياة جامعية متطورة لا تفتأ تسير نحو مزيد من النمو والتوسع ، فهل وعت مجلتنا ، كل أبعاد هذه الحياة العقلية العظيمة التي يخلقها النشاط الجامعي ، واستجابت لمقتضياتها بالقدر الكافي ، وعملت على مواكبتها بما يفيد في تأصيل الروح العلمية داخل مجتمع المتعلمين ، وترديد اصداء لها في المحيط المغربي عموما ؟

اسئلة من هذا القبيل ، لابد ان تخطر على الذهن ، كلما كان بصدد استعراض حياة الصحافة الثقافية ببلادنا ، و«دعوة الحق» من بين الرواد الاولين في هذا المجال ، ولا ازعم انني أحصر في هذه النقط كل المعطيات المبدئية لعمل صحافي ثقافي في بلد نام كالمغرب ، ثم لا ازعم كذلك ان « دعوة الحق » أو اية مجلة اخرى في مستواها ، ينتظر منها شيئا لا حد له في مثل هذه الامور ، ان « دعوة الحق » وغيرها لها مجال محدود تروج فيه للكلمة الهادفة المبصرة ، وتقابلها مصاعب المجتمع المتخلف من محدودية عدد القراء ، وضعف الاهتمامات الفكرية الجادة ، وطغيان الحياة اليومية على اعتبارات الثقافة وسوى ذلك من العوامل التقليدية التي تعودنا ان نرجع اليها حالة الادب والفكر العلمي في الاقطار المتخلفة (والملاحظ بهذا الصدد ، اي مجتمعات متقدمة ايضا تشكو من تضاؤل الاهتمامات الثقافية في محيطها) ومن ثم ، فان ما يجب أن ينتظر منها هو محدود طبعا ، بحدود مثل هذه الظروف والعوامل المقيدة .

واذا ما عدنا الى الاسئلة الثلاثة التي القيناها آنفا او وضعنا امام اعيننا سجل اعمال المجلة

خلال سنواتها الماضية ، فاننا واجدون ـــ ولا شك ـــ آثارا كثيرة ، تشهد على عناية هذه المجلة ببلورة القيم الاساسية لمجتمعنا ، في مجال الدين والادب والعلم وغيره ، ومد جسور للتعارف بين اوساط فكرية في بلادنا ، واوساط كذلك في اقطار الشرق العربي والاسلامي ، (استكتاب بعض الكتاب هناك مثلا) كما ان هناك اهتماما يبدو على المجلة كذلك ، اهتمام بالتعريف ببعض جوانب تراثنا الادبي بما تنشره من « ابحاث مغربية » والتعريف بالجوانب الفنية الحضارية من هذا التراث ، بما تحمله من صور مكتوبة او صور شمسية ، تعكس لغير المغربي مشاهد من بلادنا ، دالة على امكانياتها الايجابية ، سواء في الماضي او في الحاضر ، على مستوى الطبيعة او في نطاق الصناعة ، او التعمير او سوى ذلك ، ونجد اصداء للنشاط العلمي ببلادنا وبالخارج ، وبعض الثمرات المقتطفة دنيا النشاط الجامعي الصرف او النشاط العلمي الواقع على هامش الحياة الجامعية ، كما نجد دراسات تعكس صورا مختلفة عن عالمنا الراهن كل هذه آثار عمل دائب لـ «دعوة الحق » في نطاق اهتمامها بالايفاء لرسالة صحفية جادة ، تتفق مع اعباء العمل الصحفي التثقيفي في مجتمعنا الناشىء المتطور ، غير ان اشارتنا هكذا الى آثار هذا النشاط التثقيفي لا تعني اننا نقيمه التقييم الشامل كما هو اللازم ، ولا تعني اننا نستهدف التوصل الى افق واضح وممكن من رؤية كاملة ، لمجموع الافاق التي امتد عليها نشاط المجلة ، والنفوذ من ذلك الى تكوين استنتاج نهائي بهذا الصدد ، فعملية تقييم من هذا القبيل ، تقتضي الحكم على مجمل الاطار الذي يندرج فيه عمل المجلة ، وتقتضي ايضا بتناول الجزئيات والتفاصيل التي تدخل في عموم هذا الاطار « ومقدار وطبيعة الاثار التي خلقتها على صعيد المجتمع النهج المتبع المنعكس من خلال هذا الاطار بجزئياته وتفاصيله ، واحسب انه من الانسب ان يتولى مثل هذه العملية التقييمية جمهرة القراء او القادرون منهم على شيء من ذلك بالاقل فهم ـــ على ما يظهر ـــ اهل لان يروا الانتاج المقدم لهم على حقيقته الموضوعية المجردة من جملة الملابسات التي تفرضها ذاتية الكاتب ، وقد يفيد ما ياتوا به في هذا المضمار ، اكثر مما تفيد كتابة الكتاب المختصين ، غير ان كل هذا لا يعفي الكتاب المختصين على انه اذا كان من الضروري ان يفضي المرء براي شخصي حول هذا العمل الايجابي ، المتمثل في « دعوة الحق »فانني اوثر أن يكون رأيي متعلقا بالمستقبل ، اكثر مما يتصل بالماضي ، وفي هذه الحالة اجدني في حاجة الى القول بأن المقياس الذي يحسن أن تقاس به الامور بهذا الشأن يتمثل في علاقة المجلة بخاصة القراء ، وعلاقتها بجمهرة الناس (الذين يقراون شيئا ما بطبيعة الحال) فالحالة التي تبتدىء من خلال هذه العلاقة تصلح اساسا للنظر في موضوع المجلة ، وما اذا كانت قد حققت نجاحا في الخطة التي سارت عليها ، ومدى هذا النجاح وابعاده ، وقد حققت المجلة علاقات متعددة بجملة من قطاعات المجتمع ، غير انه من الممكن على ما يظهر العمل ـــ باكثر مما سلف ـــ على التوسع في هذه العلاقات ، وتنويعها ، وربطها بعوامل وأسباب اكثر قوة وجاذبية ، وذلك جزء اساسي من خطة اية اداة تثقيفية ناجحة ، وليس الغرض من التوسع في ربط العلاقة بالجمهور مجرد الرغبة في اجتذابه واغرائه ، بل الهدف الاهم من ذلك هو الهدف الكامن وراء هذا الاغراء والاجتذاب ، وهذا الهدف هو الذي يتمثل في تحقيق تجاوب اشد عمقا واكثر ايجابية ـــ ما امكن ـــ بين المجلة ، وعموم الذين توجه اليهم فكيف يحصل هذا التجاوب ، وما هي عوامله الفعالة ؟

بطبيعة الحال فان ذؤوب مجلة على مجرد نشر دراسات وقصائد وقصص وغيرها ، لابد ان يكون من ورائه سوق حقائق الى القراء يجهلونها ، او تذكيرهم بمسائل نسوها ، واقامة حوار معهم خلال ذلك واستثارتهم الى اتخاذ موقف آخر ، غير موقف الاستهلاك السلبي العقيم ، استثارتهم هكذا الى المشاركة العملية في الصراع الفكري القائم ، والادلاء بدلائهم فيه ، حتى تكون للصراع جهات متقابلة متفاعلة ، يحصل من تقابلها وتفاعلها ، اي شيء يحصل من الصراع الايجابي البناء الذي هو سنة الحياة دائما ، اما سبيل استدراج القراء هكذا الى حلبة الصراع ، فلعله سيكون من بين ما يساعد عليه، ان يعمل على مزيد من التوسع في اساليب العرض على القراء ، عرض الافكار والحقائق والتوجيهات التي تقترح عليهم ، وذلك بصياغتها في قوالب شتى تتجه من المقالة الانشائية الى المقالة النقدية ، ومن البحث الرائد المستكشف الى البحث الاستخباري المراد به ، ربط القارىء بعجلة الحياة العالمية الآتية (الحياة العالمية في شهر ، سواء على

صعيد الادب او السياسة (العلمية طبعا) او الفنون (البريئة المثقفة) او ما الى ذلك ، والنقد فى كل هذا هو حجر الزاوية التي ينتظر منها ان تؤدي الى بناء القيم الفكرية عندنا على قواعد سليمة قويمة ، ولنبذل كل جهد فى ان تجعل القارىء نفسه ، هو الناقد الاول، ويأتي بعده دور الكتاب الذين عليهم حينئذ ان يأخذوا بزمام العقلية النقدية ، كما تظهر من خلال كتابات القراء ، ويتناولوها بالتوجيه المشذب المبصر ، وينتظروا من القارىء آراء اخرى يتناولوها بنفس الروح البناءة ، كما ان سبيل تبادل النقد العلمي الرحب بين الكتاب ، هو سبيل عظيم ، لا اجدى منه على الحياة الفكرية والحضارية ، ومما يساعد على ربط الصلة ايضا مع الجمهور القارىء ، فتح ابواب كباب الاسئلة والاجوبة ، والاستفتاءات الثقافية ، وسوى ذلك مما فى هذا المعنى ، و«دعوة الحق» التي قامت ولا تزال تقوم بوظيف اساسي فى حياة المغرب الثقافي الراهن هي اهل لان تحتضن اهدافا اوسع من كل ما احتضنته لحد الآن . وتحقق نتائج ثقافية ، اجدى على الفكر المغربي من كل ما حققته فى غضون سنواتها العشر الماضية ، التي كانت حافلة حقا ، وغنية بالمبادرات المفيدة من كل نوع .

سلا — المهدي البرجالي

— اما والله ، فاني لا املك غيره ! ! —

حكى ابو بكرة ان اعرابيا اتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأنشده :

يا عمر الخير رزقت الجنة ... اكس بنياتي وامهنه

وكن لهم من الزمان جنه ... اقسم بالله لتفعلنه

قال له فان لم افعل يكون ماذا ؟ فقال :

تكون عن حالى لتسألنه ... يوم تكون الاعطياء منة

وموقف المسئول عند هنه ... اما الى نار واما جنة

قال فبكى عمر حتى لت دموعه لحيته ثم قال لغلامه : يا غلام اعطه قميصي هذا لموقف هذا اليوم لا لشعره ، اما والله فاني لا املك غيره .

تقويم اللسانين مستقيم :

وقد عدلت في تعديلك عن العدالة

للدكتور تقي الدين الهلالي

(2)

5 — قال المعترض الفاضل والناقد العادل : وقال (وعمت الفوضى فى الانشاء العربي) فما هذه الفوضى؟ ومن استعملها هذا الاستعمال من فصحاء الامة العربية ؟ انها من استعمال جهلة المترجمين الذين عاب عليهم الدكتور استعمالهم كلما عربية فى غير مواضعها ، انها ترجمة كلمة (Anarchie)

قال الاب بلو (Belot) فى ترجمتها : عدم الحكم فى الشعب ، امر فوضى . فالرجل على كونه غير عربي استعمل (الفوضى) صفة لا اسما كما استعملها الدكتور (فالفوضى) صفة كالشتى ، فالصواب : وعمت الحال الفوضى . وكأني بالدكتور يقول : قد حذفنا الموصوف واتخذنا الصفة اسما ، فنقول له : ليست هذه بقاعدة مطردة ، وانت تدعو الى اتباع كلام الفصحاء واقوالهم ، وهذا ليس بذاك ولا هناك ، ثم ليس هذا موضع التدقيق والتحقيق فنقول : ان الفوضى اصلها (الفضى) كشتى جمع شتيت ، وهي مشتقة من الفعل (فضه يفضه فضا) اي فرقه تفريقا ، ثم ابدلت احدى الضادين واوا ، والتفرقة هي المعنى المراد بالفوضى ، فالفوضى جمع كالشتى ، تستعمل للجمع او لما يمكن أن يتجزا ، وان كان مفردا ، فكيف يجوز استعمالها اسما جامدا مع لزوم الوصفية الجمعية لها ا ه .

قال محمد تقي الدين : ايها المعترض الكريم ، متى اصطفاك فصحاء الامة العربية نقيبا لهم ، وفوضوا اليك امر النقض والابرام فى الفصيح من لغتهم وغير الفصيح؟ لقد ارتقيت مرتقا صعبا ، وطرت فى غير مطارك ، واخاف عليك السقوط . ان ميزان الفصاحة ليس هو فهمك ولا ذوقك ، وانما هو قواعد وضعها الائمة يرجع اليها ويعتمد فى النقد عليها ، وساضع نقدك فى الميزان ، ليرى القراء ، ايثقل ، فتكون من المفلحين ام يخف فتكون من الخاسرين .

وسنرى هل استعمالي لهذه الكلمة من استعمال جهلة المترجمين ، ام نقدك انت ينتمي الى جهلة المنتقدين . انا لم اخذ هذه الكلمة من معاجم آبائك الاجانب ، لا من معجم بلو ولا من غيره ، وانما اخذتها من كلام العرب الاقحاح ، ومعاذ الله ان اكون فى لغة قومي عالة على الاجانب ، فاسمع ما يقوله ائمة اللغة العربية .

قال ابن منظور فى لسان العرب فى مادة ف و ض ما نصه : وقوم فوضى ، مختلطون ، وقيل : هم الذين لا امير لهم ولا من يجمعهم . قال الافوه الاودي :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم
ولا سراة اذا جهالهم سادوا

وصار الناس فوضى ، اي متفرقين ، وهو جماعة الفائض ، ولا يفرد كما يفرد الواحد من المتفرقين . والوحش فوضى : متفرقة تتردد . ا ه .

ومثله فى القاموس للفيروزابادي فى مادة ف و ض . ثم قرات مادة ف ض ض فى القاموس ، فلم اجد فيها اثرا لما زعمه المعترض من ان اصل (الفوضى) فضى ، كشتى وشتيت ، ولم يذكر للفوضى مفردا ، ومقتضى كلامه ان يكون فضيضا ، وذلك ضل بتضلال .

فالفوضى من مادة ف و ض ، ومفردها (فائض) كما تقدم من كلام لسان العرب . ومن المعلوم ان الهمزة فى فائض منقلبة عن واو .

قوله : وكأني بالدكتور يقول : قد حذفنا الموصوف واتخذنا الصفة اسما . الخ هذا كلام رجل لم يدرس علم النحو ، فهو يخبط خبط عشواء ، او كلما حذفنا الموصوف وجب علينا ان نتخذ الصفة اسما ؟ من قال هذا من ائمة النحو ؟ فهل درست الفية ابن مالك او ما يساويها من كتب النحو ؟ الظاهر انك لم تدرس شيئا

من ذلك ، فكيف تتصدر وتنصب نفسك حكما واماما في علوم الادب ، وانت لا تعرف ما في الالفية ؟ اسمع ما يقوله ابن مالك :

وما من المنعوت ، والنعت عقل
يجوز حذفه ، وفي النعت يقل

قال ابن عقيل في شرحه ، وهو اسهل شروح الالفية في شرح البيت السابق : يجوز حذف المنعوت واقامة النعت مقامه اذا دل عليه دليل ، نحو قوله تعالى (ان اعمل سابغات) اي دروعا سابغات ، وكذلك يحذف النعت اذا دل عليه دليل ، لكنه قليل ، ومنه قوله تعالى (قالوا : الان جئت بالحق) اي البين ، وقوله تعالى (انه ليس من اهلك) اي الناجين . ا هـ .

وقال الاشموني في شرحه لالفية ابن مالك، الشرح ممزوج بالمتن ، ما نصه : (وما من المنعوت والنعت عقل) اي علم (يجوز حذفه) ويكثر ذلك في المنعوت (وفي النعت يقل) فالاول شرطه ، اما كون النعت صالحا لمباشرة العامل نحو : (ان اعمل سابغات) اي دروعا سابغات ، او كون المنعوت بعض اسم مخفوض بمن او في ، كقولهم : منا ظعن ومنا اقام ، اي منا فريق ظعن ، ومنا فريق اقام . وكقوله :

لو قلت ما في قومها لم تيثم
يفضلها في حسب وميسم

اصله : لو قلت : ما في قومها احد يفضلها لم تاثم، فحذف الموصوف وهو احد ، وكسر حرف المضارعة من تاثم ، وابدل الهمزة ياء ، وقدم جواب لو فاصلا بين الخبر المقدم ، وهو الجار والمجرور ، والمبتدا المؤخر ، وهو احد المحذوف ، فان لم يصلح ولم يكن المنعوت بعض ما قبله من مجرور بمن او في ، امتنع ذلك ، اي اقامة الجملة وشبهها مقامه الا في الضرورة كقوله :

لكم قبضة من بين اثرى واقترا
ترمي بكفي كان من ارمى البشر

وقوله :

كانك من جمال بني أقيش
يقعقع بين رجليه بشن
انتهى

فظهر مما نقلته من كلام النحويين انه يجوز حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه بكثرة ، بشرط ان تصلح الصفة التي حذف موصوفها لمباشرة العامل ، بان لا تكون جملة ولا شبه جملة ، مع كون الموصوف فاعلا او مفعولا او مجرورا او مبتدأ لان الجملة لا تصلح لذلك قاله الخضري في حاشيته على ابن عقيل .

وهذا الشرط ينطبق اتم الانطباق على عبارتي التي انتقدها المعترض جهلا وتهورا ، فانا نقول : عمت الفوضى ، اي الاحوال الفوضى ، لا الحال كما قدره المعترض ، لان الحال مفرد والفوضى صفة للجمع كما تقدم في كلام لسان العرب ، وهو كقوله تعالى في سورة سبأ 10 — 11 (والنا له الحديد . ان اعمل سابغات) .

يخبر الله تعالى انه الان الحديد ، اي جعله لينا لداوود قائلا له : اعمل دروعا واسعات . ففي كلامي حذفت الاحوال وهي (فاعل) واقيمت صفتها مقامها ، وفي كلام العلي العظيم : حذفت (دروعا) وهي مفعول به ، واقيمت سابغات مقامها . وحذف الموصوف واقامة الصفة مقامه يقال فيه : حدث عن البحر ولا حرج ، يستعمله الناس كل يوم في كتاباتهم وكلامهم بالعربية الفصحى وبالعامية ، ولا يكاد احد يستغني عن استعماله، قال الله تعالى في سورة المائدة (38 والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما) اي الرجل السارق والمراة السارقة.

وقال تعالى في اول سورة النور (الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة) اي الرجل الزاني لا ينكح الا امراة زانية او مشركة . وقال تعالى في سورة البقرة 280 (وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة) اي ان وجد شخص مدين ذو عسرة لا يجد ما يؤدي به دينه ، فلا تضيقوا عليه وامهلوه الى ان يتيسر له قضاؤه .

فكيف يزعم هذا المعترض المتخبط ان حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه ليس من كلام الفصحاء ، يا هادي الطريق ضللت :

يا ايها الرجل المعلم غيره
هلا لنفسك كان ذا التعليم

تصف الدواء لذي السقام وذي الضنى
كيما يصح به وانت سقيم

اما اذا كانت الصفة جملة او شبه جملة، فيشترط لحذف الموصوف بها أن يكون بعض اسم مجرور (بمن او في) مثال المجرور بمن : قول العرب : منا ظعن ومنا اقام ، اي منا فريق ظعن ، اي سافر ، ومنا فريق اقام . ففريق الذي هو موصوف محذوف وهو بعض ما يدل عليه الضمير (نا) المجرور بمن . ومثال المجرور (بفي) قولهم : فينا سلم ، وفينا هلك ، اي فينا فريق سلم وفريق هلك ، وفيما سوى ذلك لا يجوز الحذف .

قوله : (لو قلت ما في قومها) البيت ، قاله ابو الاسود الحماني يصف امراة بالحسب والجمال ، والموصوف المحذوف هنا تقديره (احد) أي لو قلت ايها المعجب بجمالها وكمالها : ما في قومها احد من النساء في الحسب ، وهو مفاخر الآباء . والميسم ـ بكسر الميم، وهو الجمال ـ لم تاثم ، لانك صادق في قولك. والمحذوف هنا ، وهو (أحد) بعض اسم مجرور بـ (في) .

قوله (لكم قبصة) البيت ، وصدره : لكم مسجدا الله المزوران والحصى

والحصى : العدد الكثير . وقبصة بكسر القاف ايضا العدد الكثير من الناس . والشاهد في قوله من بين اثرى ، والتقدير : من بين رجل اثرى ، اي كثر ماله، ورجل اقتر اي قل ماله ، فحذف الموصوف ، وأقام الصفة مقامه ، مع ان الموصوف ليس بعض اسم مجرور بمن او في لضرورة الشعر .

اقول : ان كانت القصيدة التي مدح بها الكميت بني امية كلها مثل هذا البيت ولم يعاقبوه عليها ، فانهم كانوا حلماء ، لان البيت ركيك جدا .

وقوله (ترمي بكفي) البيت . التقدير : ترمي بكفي رجل كان من أرمى البشر ، فحذف الموصوف وهو (رجل) واقام الصفة مقامه ، وهي جملة كان ، وانما فعل ذلك للضرورة كالذي قبله .

قوله (كانك من جمال بني اقيش) البيت . بنو اقيش بصيغة التصغير حي من العرب ، وزعم بعضهم انهم حي من الجن . وابلهم وحشية شديدة النفور ، وزعموا انها كانت هي ايضا من الجن . والشن القربة اليابسة ، ويقعقع يصوت ، وجمال هذه القبيلة تنفر بدون سبب ، فكيف اذا صوت مصوت بين ارجلها بضربة قربة يابسة . واراد الشاعر ذم المهجو ووصفه بسرعة الغضب. والشاهد في حذف الموصوف للضرورة، والتقدير : كانك جمل من جمال بني اقيش .

فان قلت : وما الذي يضطرنا الى تقدير هذا الموصوف ، مع ان الكلام يتم بدونه ؟ اقول : لو لم نقدره لم يكن في البيت ما يعود عليه ضمير رجليه ، ولا بد له من شيء يعود عليه .

ايها المعترض الكريم ، اظنك ادركت زمان الامام العلامة السيد محمود شكري الالوسي رحمه الله ، ولم تكن من تلاميذه ، بل حرمت الاستفادة من بحر علمه الغزير ، ولم يصحبك التوفيق الذي صحب تلاميذته ، كالاستاذ محمد بهجة الاثري ، وشاعر العرب معروف الرصافي وغيرهما . ولو انك كنت من تلاميذته لم تهذ الينا هذا الهذيان ، متوهما انه من جواهر البيان .

وقول المعترض : ان الفوضى ، اصلها الفضى ، كشتى جمع شتيت ، وهي مشتقة من الفعل (فضه يفضه فضا) أي فرقه تفريقا ، ثم ابدلت احدى الضادين واوا ، والتفرقة هي المعنى المراد بالفوضى ، فالفوضى جمع كالشتى . الخ

ان كان جمعا فما هو مفرده ؟ على مقتضى زعمك يكون مفرده فضيضا ، فان كنت ناقلا ، فعليك بتصحيح النقل ، فاني لم أجد في كتب اللغة احدا اشار الى شيء مما ذكرت ، وقد تقدم انه من مادة (ف و ض) وان كنت مخترعا لهذا الاشتقاق الفاسد ، وظننت انك تستطيع أن تروجه على قراء دعوة الحق اجمعين ، فقد بلغ بك الغرور كل مبلغ .

واعلم ايها القارىء العزيز انني لم استفد لفظ (الفوضى) من كلام المترجمين الجاهلين او العالمين كما هو شأن المعترض الذي اتخذ القسيس (انسطاس الكرملي) اماما معصوما في علوم اللغة العربية ، ولم يأت علومها من ابوابها كما فعل غيره من ادباء العراق النبلاء ، فكان الشاعر عناه بقوله :

اذا ما اتيت الامر من غير بابه
ضللت ، وان تدخل من الباب تهتد

وانما اخذت ذلك اللفظ من شعر الافوه الاودي انشده بعض المؤلفين في علم العروض فقال :

لايصلح الناس فوضى لاسراة لهم
ولاسراة اذا جهالهم سادو
والبيت لا يبتنى الا باعمدة
ولا عمود اذا لم ترس أوتاد
فان تجمع أوتاد وأعمدة
وساكن بلغوا الامر الذي كادوا

وليت شعري ، ما معنى قوله : ثم ليس هذا موضع التدقيق والتحقيق ؟ ما المراد بهذا اهو لفظ الفوضى ؟ ام حذف الصفة واقامة الموصوف مقامها ؟ وايهما قصده لم يكن لكلامه معنى .

وقوله : فالفوضى : جمع كالشتى ، تستعمل للجمع ، أو لما يمكن ان يتجزا ، الخ . اما كونها صفة جمع ، فمسلم ، ولكن اذا عرف ذلك ، فكيف قدر موصوفها مفردا في تصحيحه الفاسد ؟ بقوله : فالصواب: وعمت الحال الفوضى ؟

يصيب وما يدري ويخطي وما درى
وكيف يكون النوك الا كذلك

ثم ان ادعاءه ان هذا اللفظ يكون صفة للجمع ، او لما يمكن ان يتجزا ، وان كان مفردا ، وما هو هذا الشيء الذي يتجزا وهو مفرد ، أهو جنة تتجزا الى اشجار ؟ فنقول : شجرة من جنة ، ام روضة تتجزا الى أزهار ؟ فنقول : زهرة من روضة ، أم ما ذا؟ وهل هذا الادعاء نقل او اختراع ؟ فان كان نقلا فليصححه ، بأن ينسبه الى قائله من الائمة ، وان كان اختراعا فهو من تخيلاته الفاسدة ، وبنات غيره ، فلا يساوي قلامة ظفر عند المحققين .

ثم اقول له : والحال التي قدرتها محذوفة ، وجعلت الفوضى صفة لها ، والامر الذي نقلته من كلام ابيك (بلو) وأعجبت به كل الاعجاب ، هل هما من المفرد الذي يتجزا ؟ فكيف تجزئهما ؟ اثلاثا او رباعا او خماسا؟ او أجزاء لا يعرف عددها ؟ هل فكرت في هذا الامر قبل ان تكتبه وترسله من بغداد الى الرباط هدية ثمينة الى ادباء المغرب وادباء العالم ؟ ما اخال ان ادباء العراق يرضون بخطئك هذه ، ويعتبرونها شيئا مشرفا ، وقد يعتبرونك كبراقش التي كانت تجني على اهلها ، ونحن ننزه ادباء العراق المحققين عن مثل هذه السفاسف المرتجلة .

ثم ان تمثيل الامام ابن عقيل لحذف النعت اي الصفة بقوله تعالى في سورة البقرة 71 (قالوا : الان جئت بالحق) أي البين ، فحذفت الصفة وهي البين ، تمثيل غير صحيح ، لان موسى قال لهم : « ان الله يامركم أن تذبحوا بقرة ، قالوا : أتتخذنا هزؤا ، قال اعوذ بالله أن أكون من الجاهلين» . فلم يكن بنو اسرائيل يعتقدون أن موسى اجابهم في أول الامر بالحق المبهم ، وفي آخر الامر بالحق البين ، بل ظنوا انه يتخذهم هزؤا ، وفهم موسى ذلك من كلامهم ، فاستعاذ بالله منه ، وعده من الجهل ، وهو السفه .

وكذلك تمثيله بقوله تعالى في سورة هود 46 (انه ليس من اهلك) أي الناجين ، لا حاجة الى تقدير هذا النعت ، لان نوحا عليه السلام حين قال : (رب ان ابني من أهلي) ، لم يرد بذلك ان يخبر ان الابن الهالك من ذريته، وانما أراد ان يقول : انه من اهله الذين يستحقون الرحمة والعفو لقربه من رسول الله نوح احد اولي العزم، فأخبره الله ان ذلك الابن ليس من المؤمنين بما جاء به ابوه ، فلا يستحق النجاة ولا الرحمة بالقرابة المجردة ، فانها لا قيمة لها عند الله . قال تعالى في سورة الطور 21 : (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم) .

وقال تعالى في سورة الانعام بعد ذكر الرسل 87 – 88 (ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم ، واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم . ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ، ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون) فمن أشرك من ذرية الرسل حبط عمله واستحق الخلود في العذاب ، ولم تغن عنه قرابته من الرسول شيئا .

والصواب ما مثل به الاشموني حيث قال : والثاني كقوله تعالى 18 : 79 (يأخذ كل سفينة غصبا) اي كل سفينة صالحة . وقوله :

فلم اعط شيئا ولم امنع .

اي شيئا طائلا . وقوله :

ورب أسيلة الخدين بكر
مهفهفة لها فرع وجيد

اي فرع فاحم ، وجيد طويل .

6 – قال المعترض : وقال (ربما استعمله بعض كبار الاساتذة الذين يرجى منهم المحافظة على صحة الاستعمال) أراد بالبعض هنا غير واحد منهم ، مع ان (بعضا) لم تكرر في الجملة حتى تدل على غير الواحد ، فالمكررة كالقول الذي قاله الدكتور في نقده هذا (تحدث بعضهم الى بعض) وكما في الآية الكريمة التي اتخذها شاهدا ، وهي (فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون) فاذا لم تكرر ، وكان المضاف اليه الذي اضيفت اليه ذا أجزاء منفصلة ، او ممكن فصلها دلت على واحد أو واحدة .

اقول في جوابه بالعامية العراقية (يا باه ! شاباش !) وبالعامية المصرية (عفارم !) ما هذا العلم الغزير ، والتحقيق البديع ؟ والان اضع في الميزان هذا النقد ، ليعرف القراء الاعزاء قيمته .

ادعى المعترض ان لفظ (بعض) اذا كرر دل على أكثر من واحد ، واذا لم يكرر ، وكان المضاف اليه ذا اجزاء منفصلة ، او ممكن فصلها دل على واحد او واحدة، اقول : من وضع هذه القاعدة ؟ ان كنت ناقلا ، فلم تعز ما نقلت الى قائله وتذكر فيه الخلاف او الاجماع ان كنت من المحققين كما تزعم ، وان كنت مخترعا ، فما انت علي ، ولا ابو الاسود ، ولا الخليل ، ولا سيبويه ، ولا من هو دونهم من النحاة واللغويين ، فما تضعه من القواعد هوس لا قيمة له ، وما احسن ما قال بعضهم في امثالك :

تصــدر للتدريس كــل مهــوس
سفيه يسمى بالفقيه المـــدرس
فحــق لاهــل العلـــم أن يتمثلـــوا
ببيت قديم شاع في كل مجلـــس
(لقد هزلت حتى بدا من هزالهـــا
كلاها وحتى سامها كل مفلـــس)

اسمع ما يقوله الائمة في (بعض) ، قال ابن منظور في لسان العرب : (بعض) الشيء : طائفة منه ، والجمع ابعاض . قال ابن سيدة : حكاه ابن جنـي ، فـلا أدري أهو تسمح ام هو شيء رواه . واستعمـل الزجاجـي (بعضا) بالالف واللام فقال : وانما قلنا البعض والكل مجازا ، وعلى استعمال الجماعة له مسامحة ، وهو في الحقيقة غير جائز ، يعني أن هذا الاسم لا ينفصـــل من الاضافـــة .

قال أبو حاتم : قلت للاصمعي ، رايت في كتاب ابن المقفع : العلم كثير ، ولكن اخذ البعض خير من ترك الكل، فانكره اشد الانكار ، وقال : الالف واللام لا يدخلان في (بعض وكل) .

ومضى الى ان قال : وقوله تعالى (تلتقطه بعض السيارة) بالتانيث في قراءة من قرا به ، فانه انث ، لان بعض السيارة ، سيارة كقولهم : ذهبت بعض اصابعه ، لان بعض الاصابع يكون اصبعا واصبعين واصابع . اه

تأمل قول ابن منظور في بيان قول العرب : ذهبت بعض أصابعه ، لان بعض الاصابع ، يكون اصبعا واصبعين واصابع ، وكذلك (بعض الاسـاتـذة) يكـون استـاذا واستاذين واساتذة ، ولا فرق ، فيبطل بذلك ما زعمـه المعترض من ان (بعضا) اذا لم يكرر يدل على واحد أو واحدة فقط .

قوله (وشاهدنا كتاب الله العزيز ففيه (يلتقطه بعض السيارة) الخ . اقول : نعم الشاهد كتاب الله ، ولا حجة لك فيـــه ، لان لفظ (بعض) مذكر ومفـرد ، والضمير يعود عليه مفردا حسب لفظـه ، فليس فيـه دليل على ما زعمت ، لاننا نقول كما قال ابن منظور : ان (بعضا) اذا اضيف الى جمع يدل على واحد او اثنين او اكثر ، فنحن لا ننكر أنه يـدل على واحـد في بعـض الاحيان ، ولكننا ننكر ما ادعيت من انه لا يدل الا على واحد او واحدة بالشرط الذي ذكرته من مخترعاتك .

وقوله : و (قالوا لولا انزل على بعض الاعجميـن فقراه) أيها المعترض المسكين ، لقد استهدفت ونصبت نفسك للرماح دريئة ، نحن نعلم أن الله حرمك من حفظ القرآن ، ولكنه لم يحرمك من مصحف يوجد في خزانة كتبك ، فهلا راجعته قبل ان تحرف كتاب الله وتغيره ، ففي اي سورة وجدت هذا اللفظ ؟ وفي اي آية ؟ لقـد خانتك ذاكرتك الواهمة ، واظنك تريد قوله تعالـى في سورة الشعراء 198 ـ 199 (ولو نزلنـاه على بعـض الاعجمين . فقراه عليهم ما كانوا به مؤمنين) .

وغاية ما في الآيتين أن (بعض) هنا تدل على واحد ، وانا لا أنكره ، ولا حجة لك فيه ، وكذلـك يقال في آيـة التحريم . وأما قول الشاعر :

ولانت تفري ما خلقـت وبعـــ
ـــض القوم يخلق ثم لا يفـــري

فلا اسلم ان (بعض) هنا يدل على واحد فقط ، والقرينة والواقع يحتمان انه يدل على اكثر من واحد . أما الواقع، فان الذين يرسمون الخطط لعمل من الاعمال ويعزمون على تنفيذه فريقان : فريق ذوو عزائم ماضية وهمم عالية ، ينفذون كل ما رسموا له خطة . وفريق ذوو عزائم واهية ، وهمم سافلة ، يقولون ما لا يفعلون ، ويعزمون ولا ينفذون ، ولا يمكن ان ينحصروا في واحد.

واما القرينة ، فان الشاعر يريد ان ممدوحه من ذوي الهمم العالية الذين اذا قالوا فعلوا واذا وعـدوا انجزوا ، وكثير من الناس تقصر هممهم عن التخلق بهذا الخلق ، وعلى تأويـل المعتـرض ، يكـون الناس كلهـم ينجزون وعودهم ويوفون بعهودهم ، وينفذون ما رسموا من الخطط الا واحدا ، فلا يكون فيه مدح ، وقد ظهـر ان هذا البيت حجة عليه لا له .

وأما بيت أبي دلامة وبيت بشار ، فمع تسليمـي لدلالة (بعض) فيهما على واحد أقول : لا حجة في كلام احد من المولدين ، وبشار بن برد كان مجوسيا عجميا ، وكان يزمزم على الطعام قبل ان يظهر اسلامه ، ومـــع ذلك هو من فحول الشعـراء المحدثين ، ولا حجـة في كـلامـــــه .

وأما قول لبيد : او يعتلق بعض النفوس حمامها . فقد اختلفوا في دلالة (بعض) هنا ، والصحيح انها تدل على واحد ، ولا حجة للمعترض فيه ، لان الخلاف بيني وبينه ليس في صحة دلالتها على واحد .

وقال تعالى في سورة الزخـرف 63 (ولما جـاء عيسى بالبينات قال : قد جئتكم بالحكمة ، ولابين لكـم بعض الذي تختلفون فيه) .

قال الراغب في غريب القرآن : قال ابو عبيدة : (ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه) اي كل الذي كقول الشاعر :

او يرتبط بعض النفوس حمامها

وفي قوله هذا قصور نظر منه ، وذلك ان الاشياء على اربعة اضرب : ضرب في بيانه مفسدة ، فلا يجوز لصاحب الشريعة ان يبينه ، كوقت القيامة ، ووقت الموت . وضرب معقول ، يمكن للناس ادراكه من غير نبي ، كمعرفة الله ومعرفته في خلق السموات والارض، فلا يلزم صاحب الشرع ان يبينه . الا ترى انه كيف أحال معرفته على العقول في نحو قوله (قل انظروا ما ذا في السموات والارض) وبقوله (اولم يتفكروا) وغير ذلك من الآيات . وضرب يجب عليه بيانه كأصول الشرعيات المختصة بشرعه . وضرب يمكن الوقوف عليه بما بينه صاحب الشرع ، كفروع الاحكام .

واذا اختلف الناس في امر غير الذي يختص بالنبي بيانه فهو مخير بين ان يبين وبين ان لا يبين حسبما يقتضي اجتهاده وحكمته . فاذن قوله تعالى (ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه) لم يرد به كل ذلك ، وهذا ظاهر لمن ألقى العصبية عن نفسه . اه

قال محمد تقي الدين : قول الراغب (ضرب في بيانه مفسدة) الخ . خطأ ، لان صاحب الشريعة لا يعرف وقت القيامة لقوله تعالى في سورة الاعراف 187 (يسألونك عن الساعة أيان مرساها ، قل انما علمها عند ربي) ، وقوله سبحانه في سورة لقمان 34 (وما تدري نفس بأي أرض تموت) .

وقوله (وضرب معقول ، يمكن للناس ادراكه) الخ . جرى في ذلك على مذهبه الاعتزالي أن العقل وحده كاف لمعرفة الله، والحق ان العقل وحده لا يكفي في ذلك، فلا بد من بيان الرسل . وسائر كلامه لا اشكال فيه .

وعلى ما زعمه المعترض يكون معنى قوله تعالى (ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه) ولابين لكم مسألة واحدة من الدين تختلفون فيه ، وكفى بقول يفضي الى هذا فسادا . ومثل هذه الآية قوله تعالى في سورة آل عمران 50 (ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم) .

قال القنوجي في فتح البيان : عن الربيع قال : كان الذي جاء به عيسى الين مما جاء به موسى ، وكان قد حرم عليهم فيما جاء به موسى ، لحوم الابل والثروب ، فاحلها لهم على لسان عيسى ، وحرم عليهم الشحوم فأحلت لهم فيما جاء به عيسى ، وفي أشياء من السمك، وفي اشياء من الطير ، وفي أشياء اخرى حرمها عليهم ، وشدد عليهم فيها ، فجاءهم عيسى بالتخفيف منه في الانجيل . ا ه

فعلى قول المعترض لا يمكن ان يحل عيسى لبني اسرائيل الا شيئا واحدا ، وقد احل لهم أشياء عديدة كما رأيت ايها القارىء الكريم ، وهذه نصوص القرآن التي زعم أنها تنصره ، فاذا بها تخذله ، لانه ليس من اهل القرآن ، لا حفظا ، ولا عملا وايمانا ، فان القرآن يقول في سورة البقرة 185 (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس ، وبينات من الهدى والفرقان، فمن شهد منكم الشهر فليصمه) وهو يأكل ويشرب في رمضان جهارا على أعين الناس ، وهو شاهد غير مسافر .

والقرآن يقول في غير ما آية (واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) وهو لا يقيم الصلاة ، ولا يؤتي الزكاة ، ويحتج علي بنصوص الفقه في مسألة لغوية لا علاقة لها بالفقه . والمبتدئون من تلاميذ الادب ، فكيف بالعلماء يعلمون أن اقوال الفقهاء ليست حجة في اللغة ، وهل سمعتم بفقيه لا يصلي ولا يصوم ، ورأسه منذ عشرين سنة أبيض كالثغامة ، يسوء الغانيات اذا رأينه ؟

وهذا آخر هذا المقال ، وموعدنا الجز التالي بحول الله وقوته .

مكناس : تقي الدين الهلالي

بين المقالة والبحث في:
دعوة الحق
خلال عشر سنوات

للأستاذ محمد الأمري

من العسير جدا على الباحث مهما كان جلده ان يحاول تتبع هذا الرصيد الهائل من المقالات والابحاث التي نشرت بمجلة « دعوة الحق » خلال عشر سنوات من عمرها الذي نرجو له ان يمتد ويطول ، فهي بحق موسوعة ضخمة متعددة المجلدات ! ومأتي هذه الصعوبة راجع الى :

1) ان المقالات والابحاث تستغرق الحيز الاوفر من اعداد المجلة التي لم يخل واحد منها من قصيدة رائعة او قصة جيدة الى غير ذلك من الابواب التي ظهرت في اعداد المجلة سنة بعد سنة اخرى خلال السنوات العشر الماضية .

2) تعدد موضوعات المقالات المنشورة خلال السنوات المذكورة فهناك المقالات الدينية ، والادبية والنقدية ، والتاريخية ، والاجتماعية ، والفلسفية ، والفنية وغيرها .

3) صعوبة التمييز بين المقالة الصرفة والبحث الصرف ، اذ ان المقالة كما هو معلوم شيء ، والبحث شيء آخر ، فاذا كانت الاولى تنساق وراء هوى الكاتب وذوقه دون أن تخضع لنسق معين أو صورة محدودة ولكاتبها حرية واسعة وغير محدودة في اسلوبه (1) فان البحث يقتضي القاء اضواء على مشكل من المشاكل او موضوع من الموضوعات او راي من الآراء بالانتصار له أو شرحه او انكاره ، وكل ذلك خاضع لنظام معين وخطة معينة .

وصحيح ان المقالة تتطاول الى أن تتناول كل موضوع مما يجعلها تتناول آفاق ربما كانت أبعد مدى ، الا ان المنهجية التي يجب ان تطبع البحث وطغيان الجانب العلمي المنطقي ، او الافتراضات المدعمة ببعض الحجج بالاقل على الهوى الخاص للكاتب يجعل خطا فاصلا بين البحث والمقالة ، الى جانب ان هذه الاخيرة بحكم انها غالبا ما تكون تعبيرا عن النفس (اي انها تقوم مقام الشعر الغنائي في النثر » تجعلها تنفصل عن البحث الذي يتسم اسلوبه كما قدمنا بالطابع العلمي وعلى ضوء هذا التحديد نتساءل عن طبيعة ما نشر في دعوة الحق خلال السنوات العشر الماضية من غير الشعر والقصة والرواية ؟ اهي مقالات ام ابحاث ؟ ام بين هذه وتلك ؟ .

الواقع ان الباحث لا يعدم المقالة في سجل « دعوة الحق » بالمعنى المحدد آنفا وان كان يرى نفسه ملزما بالاعتراف بأنها قليلة بالنظر الى الابحاث أو ما يشبهها ، وقد تفطن الاستاذ عبد الكريم غلاب الى هذه الحقيقة في باب « العدد الماضي في الميزان » (2) « وقد حاولت ان اقسم العدد الى البحث والمقالة والقصة والقصيدة كما هو الطبيعي في مجلة تعنى بشؤون الثقافة والفكر . فوجدت معظم مواد العدد ابحاثا أو مقالات شبيهة بالابحاث » .

4) ان تقسيم المقالة بدعوة الحق خلال عشر سنوات بحسب موضوعاتها الدينية والادبية والتاريخية

---

1) الدكتور احمد امين ، النقد الادبي ، ص 99 .
2) العدد الاول ، السنة الثانية ، والعدد المنقود ، العدد 12 السنة الاولى .

والفنية واللغوية وغيرها يقابله تقسيم الابحـاث الـى نفس الموضوعات بالاضافة الى ابحاث التراث والحضارة بما فيها الآثار المعمارية والفكرية وغيرها ، ومحاولـة الوقوف عند كل منها بما يستحقه من اهتمام يحتاج الى كثير من الوقت والجهد مع ما يستتبع ذلك من تطويل لانخال هذا العدد يتحمله ، فلم يبق امامنا الا ان نحاول رسم صور مصغرة عن المقالة في « دعوة الحق » طيلـة هذه المدة بحسب اهم موضوعاتها ، وكذلك نفعل فيما يخص البحث محاذرين الاشارة الى جميع المقالات او الابحاث المتعلقة بالموضوع الواحد ، معتذرين لاصحابها عن ذلك مخافة التطويل .

تتصفح اعداد السنة الاولى من المجلة ، فتجد ان تصنيف المقالات بها يرجع الى الانواع الآتية :

1) المقالة الدينية ، وتستبد بالقسط الاوفر من اعداد السنة الاولى ، مع العلم ان بعضها يمكن ان يدرج في عداد البحث الديني او الدراسة الدينيـة ، ويمكـن التمثيل لهذا النوع من المقالة بمقالة الاستاذ الكبير علال الفاسي « لا جمود ولا جحود » (1) الذي يثير مشكلة تأخر المسلمين وخطأ من ينسـبـذلك الى الدين ، معددا أهم اسباب هذا التاخر ، وداعيا الى التسلح بالعلـم والمعرفة اللذين يدعو لهما الدين ويحثعليهما ،«واليقين في أن الدين يفرض علينا ان نتعلم كل ما في الوجود من اسرار ، وان نسخرها لصالح الانسانية وخدمة رسالتها التي هي عمارة الارض وازدهارهـا وهناءة ابنائهـا » ، والمقال نموذج حي للنهج الذي يجب ان تطرق على منواله الموضوعات الدينية التي اعتدنا ان نقراها باسلوب كثيرا ما يدعو الى الملل والخيبة .

وهناك نموذج آخر حي لهذا النوع من المقالـة للاستاذ البحاثة عبد الله كنون ، وهو «المراة في الشريعة الاسلامية » (2) وفيه يعرض الاستاذ كنون الى مكانة المراة الاجتماعية وحقوقها المدنية والسياسية متطرقا الى الرد على المعترضين على موقف الاسلام من نصيب المراة في الارث ، كما تطرق المقال الى « حـق الطـلاق » و « تعدد الزوجات » ومسالة « الشهادة والدية » وقد كان من الممكن ادمـاج النموذجين السـابقيـن في عـداد الابحاث الدينية ، الا ان قصرهما (والقصر من الصفات الغالبة على المقالة) وبروز ذاتية الكاتبين فيهما جديـا بي الى ادراجهما في المقالة .

2) المقالة القومية او الاجتماعية ، وهـي وان كانت لا تقارب من حيث الكم المقالات الدينية ولا سيما في السنة الاولى فانها تأتي بعدها في الدرجة ، ومن ذلك مثلا مقال الاستاذ محمد بن العربي بنونة « من هنا نبدأ» والمقال دعوة الى نبذ كثير من العادات البيئيـة التـي بذرها الاستعمار في المجتمع المغربي « وان اهم ما يجب تغييره ما تركه الاستعمار في العقول من الحاد ومادية ، وفي القلوب من قسـوة وميل ، وفي الجوارح من جموح وجرون ، وفي النفوس من ضعف ، وما تركه في المدرسة من تضليل وتجهيل ، وفي الادارة من محسوبية واستغلال، وفي المتاجر من احتكار وانتهاز ، وفي المحاكم من ظلـم وارتشاء ، وفي المجتمع من خدعة واستهتار ، وتحـرر وانطلاق » (3) ، فهل حررنا انفسنا من كل هذا ؟ ! ! . ومقال الاستاذ عبد الكريم غلاب « المسؤولية » الـذي يناقش فيه مذهب القائلين بانعدام المسؤولية الفردية طبقا التفسير المادي للمجتمعات ولسيـر التاريـخ . ومقال الاستاذ جمال بغدادي القادري « الاساس النفسي الاجتماعي للنهضة المغربيـة » (4) ، ويـرى الكاتب أن اساس النهضة يرتكز على اصلاح النفس ثم اصـلاح المجتمع ، وان اللبنة الاولى لاصلاح المجتمع هي الاسرة.

3) المقالة الادبية ، واقول بكل صراحة انحظ اعداد السنة الاولى منها كان قليلا جدا ، حتى لو سمحنا لانفسنا باضافة المقالة النقدية اليها ، حيث لا يكاد يبلغ م نشر من النوعين المدمجين في السنة الاولى اصابـع اليد الواحدة ، يمثل النوع الاول « مقال الاستاذ الطاهر زنيبر « حاجتنا الى انسجام ثقافي » ودور الحب في « الادب والحياة » للاستاذ محمد الروداني ، ويمثـل النـوع الثـانـي مقـال « حــول قصيـدة فـي « موكب الربيع » للاستاذ الشاعر محمد الحلوي ، وهو مقال نقدي لقصيدة الشاعر الاستاذ عبد الكريم التواتي « في موكب الربيع » ومقال « خواطر عابرة عن اتجاهات الشعر الحديث » للاستاذ عبد القادر السميحي ، وعلى الرغم من ان الاستاذ السميحي يستعرض اهم مميزات اتجاهات الشعر الحديث فانـه يعترف في نهاية مقالـه

---

1) العدد الاول ، السنة الاولى .
2) العدد الاول ، السنة الاولى ، .
3) نفس العدد والسنة
4) العدد الاول ، السنة الخامسة (عدد خـاص في سبيل نهضة فكرية وثقافية بالمغرب) :

« بان هذا النوع من الشعر لم يستقر على وضع أو اوضاع معينة ، ولا زالت حركة التجديد تطوح به هنا وهناك ، فاذا انتقلنا الى السنة الثانية وجدنا ان المجلة اخذت تنظيما جديدا حيث اضيفت اليها أبواب جديدة كمثل « العدد الماضي فى الميزان » و « فى النقد الادبي » الى غير ذلك ، ومعنى هذا ان المجلة بدأت تنفتح على نفسها ليصبح للاديب والادب نصيب من صفحات المجلة ، حيث تفتح صدرها بالاضافة الى ما يدرج في الابواب الجديدة الآنفة الذكر ، الى الموضوعات الادبية ، فهناك مثلا فى العدد الاول من السنة الثانية مقال « شعر ابى العباس الجراوي » للاستاذ محمد ابن تاويت و « درس فى الادب » للاستاذ محمد الصباغ، ومقال الاستاذ محمد بناني «الاصمعي فى فحولة الشعراء» المندرج تحت باب النقد الادبي ، والرد المستفيض للاستاذ علال الفاسي على نقد الاستاذ فريد رمضان لقصيدته فى المولد النبوي ، وسلسلة مقالات « فى شعرنا المعاصر » لكاتب السطور ، الى غير ذلك .

4) المقالة الفنية ، وهي التي تعنى بالموضوعات الفنية من رسم وموسيقى وغيرها مما يدخل فى المجال الفني ، وقد راينا هذا النوع من المقالة بدا ياخذ مكانه بين صفحات المجلة ، غير ان الاهتمام بهذا الجانب اصبح ملموسا منذ السنة الرابعة ، حيث أصبح هذا النوع من المقالات يندرج تحت باب « آفاق فنية » .

5) المقالة التاريخية ، وقد انفرد من بين كتابها الاستاذ عبد القادر الصحراوي رئيس تحرير المجلة آنذاك بأسبقية طرقها طيلة السنة الاولى من المجلة ، الا انها اذا كانت تتخذ شكل العرض التاريخي الذي يعتمد على التحليل فى البعض ، فان البعض الآخر بدا يجنح الى طريقة القصة التاريخية ، وان لم يسلم هو الاخر من التحليل « صلاح الدين ويعقوب المنصور » و « اقطعوا رأسه بشاقور » الى غير ذلك ، بينما نرى فى الاعداد الاخيرة من السنة الاولى بروز نوع آخر منها هو السيرة التاريخية: «عبد الله بن ياسين »للاستاذ محمد على الكتاني و « على قبر يوسف بن تاشفين » للدكتور عمر فروخ ، ونصادف فى باقي اعداد المجلة كثيرا من التراجم التاريخية والادبية سنتعرض لها في فقرة مستقلة .

6) المقالة التي لها ارتباط بالحضارة كمقال الاستاذ عبد المجيد بن جلون « فى الحضارة المغربية » تطرق فيه الى مسالة التوفيق بين حضارتنا الاصيلة وبين متطلبات الحضارة الحديثة ، ومقال « دفاعا عن التراث » للاستاذ عباس الجراري ، وفيه يناقش الاستاذ عبد المجيد بعض الافكار الواردة فى مقاله السابق ، واذكر ان كاتب السطور سبق أن نشر قصة بعنوان « قصة لحن صامت » بالعدد 6 و 7 من السنة الثامنة عرض فيها عن طريق حوار بين الطالب المغربي والفتاة الاجنبية الى مسالة التوفيق هذه ، الا أن كلا من الاستاذين بنجلون والجراري كان لهما المجال الواسع لبسط آرائهما حول هذهالنقطة التي يحس الجميع بأنها ما تزال بحاجة ملحة الى المزيد من الدرس والعناية ، والتوجيه والا تركت المسالة أو ترك المجتمع على الاصح أمام التيار الجارف دون أن يجد من يحميه ويرشده ويوجهه ، وهذا يعني تخلي حملة الاقلام والمفكرين عن دورهم الايجابي الفعال فى كل ذلك .

7) المقالة النقدية : وعلى الرغم من أننا أدمجنا سابقا بعض المقالات النقدية ضمن المقالة الادبية ، فاننا بالنظر الى ازدهارها فى بعض سنوات المجلة ولا سيما التي احتفظ فيها ببابي « العدد الماضي فى الميزان » وفى « النقد الادبي » نرى من الضروري الالماع الى بعض النماذج التي يمكن ان تصنف كما يلي :

أ) ما نشر تحت باب « النقد الادبي » طيلة السنة الثانية ، مثل « الاصمعي فى فحولة الشعراء » الاستاذ محمد بناني و « حول شاعرية الحلوي » للاستاذ عبد القادر الصحراوي و « اصلاح الميزان » للاستاذ الكبير علال الفاسي ، و « شعرنا المعاصر » لعبد ربه ، و « شعر ابى العباس الجراوي » للاستاذ محمد محمد الجبوري .

ب) ما نشر تحت باب « العدد الماضي في الميزان » أو « قرأت فى العدد الماضي » باستثناء بعض الاساتذة الذين تخلصوا بلباقة من النقد حينما اسند اليهم أمر تقييم العدد الماضي ، الا ان الامانة الادبية تدعونا الى الجهر بالحقيقة التالية ، وهي ان جل الذين أسندت اليهم مهمة التقييم كانت تنقصهم الجراة على ابداء آرائهم وابراز مواطن الضعف فى انتاج العدد الموكول اليهم تقييمه ، وقد يكون ذلك ناشئا عن الصعوبة فى دراسة جميع نتاجات العدد ، وقد يكون تلافيا لما عسى ان يحدث من رد فعل الاطراف الاخرى ، وسواء كان السببهو هذا او ذاك فان الواجب يقضي أن يتزود الاديب عندنا بشيء غير قليل من الصبر والجلد حتى يعمق انتاجه ويتضاعف ، وان يتزود الناقد الادبي بهما كذلك حتى يستوعب الانتاج الادبي دراسة وتمحيصا ويتعمق مراميه وابعاده ، ثم يتسلح بالاضافة الى ذلك بشيء آخر غير قليل من الجراة والاقدام على عرض وجهة نظره حول الانتاج المنقود .

ثم ان النقد ـ لو جارينا خصومه ـ تأتي أهميته من وجهة نظر شخصيــة ، من ان الناقد في دراستـــه للانتاج يطلعنا على زاوية جديدة او عدة زوايا اخــرى اشرف منها الناقد على موضوع الانتاج ، ليست هــي بحال من الاحوال نفس الزوايا التي اشرف منها الاديب المنتج ، ونعتقد أن من المستحيل أن يتفق اديبان اثنان في طرق موضوع واحد ، سواء في الطريقة او الاسلوب او الابعاد، فلابد اذن من ان ينجذب احدهما بحكم تكوينه النفسي والاجتماعي والثقافي الى زوايا قد لا يلتفـت اليها الآخر ، وقد لا يعرض لها بالمرة ، ومثل ذلك نقوله بالنسبة لناقدين اثنين من جهة ، والاديب وناقــد مــن جهة اخرى ، ولو لم يكن من حسنات النقد الا انه يطلعنا على بعض الزوايا التي يرى الناقد ضرورة الاشــراف منها على الموضوع لكان ذلك كافيا لان يشجع ويزدهر .

وطبيعي اننا هنا لا نجاري اسلوب اللذع والتحطيم والتنقيص ، فذلك اي شيء الا النقد ، فحري به لــو صيغ في قالب شعري مثلا أن يدعى هجــاء ، ولا بــأس ببعض المداعبات البريئة ، والتنكيت الخفيف المستساغ!

ج) ما نشر مستقلا او في شكل مناقشات أو تعقيب ، كنقد الاستاذ الحلوي لقصيدة الاستــاذ عبــد الكريم التواتي « في موكب الربيع » (1) والمناقشات التي جرت بين الاستاذين الشاعرين ، حول قصيدة « اننــا اخوان » في الاعداد الاربعة الاولى من السنة الخامســة ، وراي الاستاذ محمد السرغيني في قصيدتي الشاعرين(2) وراي الاستاذ محمد بن دفعةفيالقصيدتين(3)والمناقشات التي جرت بين الاستاذ الحلــوي والاستــاذ محمد بن تاويت حول « الانتحال في شعر المهلهل (4) » الى غيــر ذلــــك .

اما الابحاث فسنحاول أن نقسمها كذلك الى اهم موضوعاتها ، فهناك :

1) «الابحاث الدينية» او الدراسات الاسلامية» كما اصبحت المجلة تدرج تحته هذا النوع من الابحاث(5) والذي هو في الحقيقة الهدف الاساســـي من المجلــة ، والحق أن هذه الابحــاث او الدراســات بالنظــر الى موضوعاتها والاسلوب الجديد الذيطرقت له تشــرح كثيرا من المعضلات والمواضيع الدينية بشكل لم تكــن نعهده من قبل ، وبطريقة تتفق والمنهاج العلمي الحديث عند كثير من البحاثين . ومن رجال الفكر الاسلامــي بالمغرب وغيره من الاقطار الاسلامية .

واذا كنا لا نستطيع استيعاب جميع الموضوعات التي يمكن ان تندرج تحت هذا النوع من الابحاث فاننا لا نتأخر عن الاشارة الى بعضهــا . ومن ذلــك بحــث الاستاذ رشيد الدرقاوي حــول « الاسلام وحقــوق الانســـان » ثــم « الضمــان الاجتماعــي في الاسلام » للاستاذ عبد الكريــم التواتــي وبحــث العلامــة ابــي الاعلى المودودي « الثبوت العقلي للرسالة المحمديــة » ثم بحث الاستاذ الحسن السائح عن « النزعة الذرائعية في العقيدة الاسلامية » وبحث الشهيد الاستــاذ عبــد العزيز بن ادريس « انحراف في فهم كلمــة الديــن » و « الاسلام والمذاهب الفكرية الحديثة » لفقيد الشباب المؤمن مصطفى الصباغ و « الاسلام والمذهب المادي » للاستاذ البحاثة محمد الطنجــي ، وبحــث « عوامــل اختفاء المذهب الاسماعيلي » للشيخ المكي الناصري و « الاسلام كعقيدة حققت وجودها في التاريخ الحــي » للاستاذ محمد الحمداوي ، و « دواء الشــاكين وقامــع المتشككين » للدكتور تقــي الدين الهلالــي ، في حيــن اختار الاستاذ الكبير المرحوم محمد المختار السوسي ان ينهي طريقة المذكرات في بعض ابحاثه الدينية المنشورة تحت عنوان « بين الجحود والجمود » في اعداد ثمانية متوالية ، وبحث الاستاذ الكبير علال الفاسي « الاسلام ونظرية جيــل في التداول النقدي » المنشور في العدد السابع من السنة الثالثة ، وبحث الاستاذ الشيخ احمد التيجاني « الاسلام بين الماضي والحاضر » المنشــور بالعدد العاشر من السنة الثالثة ، و « كيف عالج الاسلام مشكلة المراة » المنشور في العدد الثالث السنة الثالثة للاستاذ عبد الســلام الهراس ، و « التشريع الاسلامي بين التشريعات الحديثة » المنشور في العــدد الرابــع السنة الثالثة للدكتور محمد يوسف موسى و «السلفية واثرها في النهضة الاسلامية » المنشورة في العدد الثامن السنة الثالثة ، للاستاذ العميد محمد الفاسي ، و « فكرة الاسلام العامة الى الوجود واثرها في الحضارة »(ع3س3) للاستاذ محمد المبارك .

ومما تقدم من النماذج تتجلى خطورة الابحــاث الدينية التي طرقتها المجلة ، والتي يجد فيها الشباب

1) العدد 11 الســنة 1 ـ 2) العدد 4 السنة 5 ـ 3) العدد 4 السـنة 6 ـ 4) العدد 10 السـنة 7 وعدد 1 السنة 8 ـ 5) منذ السـنة الثالثة .

الطائش الحائر كثيرا من الاقناع والحجة حول كثير من النقط التي يحلو لهم ان يبدو تشككا حولها ، واعتقد ان كثيرا من الشباب ذوي النيات الحسنة قد استفادوا جد الفائدة من هذه الابحاث وكثير غيرها مما نشر بالمجلة طيلة عشر سنوات .

2) ابحاث الفكر الاسلامي ، ونعني بها الابحاث التي تعنى بدراسة آثار مفكري الاسلام ، فيما يخص الجانب الديني فحسب ، ولكن فيما يخص مختلف العلوم والفنون ، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر ، بحث استاذنا الكبير سيدي ابراهيم الكتاني « صفحة مجهولة من تاريخ الفكر الاسلامي » (ع 6 س 7) « والفخر الرازي في عالم الفلسفة » للعلامة المرحوم محمد السائح (عدد 12 س 1) ، وابحاث كاتب السطور عن ابن خلدون وآرائه في « الفكر الانساني » و«التربية» و « المكانة العقلية » نشرت بالاعداد 4 و 5 و 8 و 9 من السنة الاولى ، و « الاحلام في الفكر الاسلامي » (عدد 12 س) وابحاث الاستاذ عبد السلام الهراس عن المفكر الجزائري مالك بن نبي وبعض كتبه « الفيلسوف الاستاذ » (عدد 2 س 2) « فلسفة الحركة » (عدد 4 س 2) « مالك بن نبي في كتابه شروط النهضة ومشكلات الحضارة» (عدد 5 س 2) مالك بن نبي وكتابه «مستقبل الاسلام » (عدد 2 س 3) وبحث الاستاذ جمال الدين البغدادي عن « عبقرية العرب في العلوم والآداب والفنون منذ عصر ما قبل الاسلام حتى عصر النهضة » (عدد 7 و 8 س 3) وبحث الاستاذ بنعيسى حنفي عن « علم الاجتماع بين ابن خلدون واوغست كونت » (ع 3 س 5) وبحث الاستاذ محمد صالح الزعيمي « أبو حامد الغزالي ومبدأ السببية » (ع 4 س 7) و « موازنة بين الكوميديا الالهية وقصة المعراج » للاستاذ محمد عبد المالك الكتاني (ع 8 و 9 س 7) و « المناهج التعليمية عند ابن خلدون » للاستاذ محمد الامير الدرقاوي (ع 2 س 9 ، والاعداد 1 و 6 و 7 س 10) والثقافة والعلم في العصور الحديثة بالمغرب للاستاذ البحاثة عبد العزيز بنعبد الله (ع 5 س 10) .

ونعتقد ان هذا النوع من الابحاث ـ وما نزعم أننا المعنا الى جميع ما كتب حوله ـ كانت له اهمية بالغة من حيث انه تعريف بآراء مفكري الاسلام في مختلف ضروب المعرفة ، وهو ايضا مما يجب على شبابنا الاطلاع عليه حتى يعلموا ان اجدادهم كانوا في طليعة الفكر الانساني ، وانهم خلفوا وراءهم تراثا خالدا ما أحوجنا الى معرفته والاطلاع عليه وتدارسه .

4) الابحاث التاريخية : وقد اهتمت المجلة في سنواتها الاخيرة بها كثيرا ، سيما ما يتعلق بتاريخ المغرب والاندلس ، وعلى الرغم من الجهد المبذول في هذا السبيل بمجلة « دعوة الحق » وغيرها من المجلات المغربية السابقة واللاحقة ، فلا يزال امامنا مجال فسيح وفسيح جدا لمزيد من البحث والتنقيب ، وما أحوجنا الى مجلة ذات اختصاص في هذا السبيل .

وعلى سبيل المثال نذكر بعض الابحاث المتعلقة بهذا الموضوع « جامعة القرويين بفاس لروم لاندو ، تعريب الاستاذ محمد الخطيب (ع 7 س 2) الرحالة المغاربة وآثارهم للعميد الاستاذ محمد الفاسي (ع 2 س 2) « الدولة العلوية واقطاعية ابن مشعل » للاستاذ عبد الهادي التازي (ع 9 س 2) ، « مرور احد عشر قرنا على تأسيس القرويين » للاستاذ عبد الله كنون (ع 3 س 3) ، « البربر والعروبة » للاستاذ حسن السائح (ع 4 س 3) و « عروبة البربر » لنفس الاستاذ (ع 7 س 3) و « حول مدرسة المترجمين بطليطلة » للاستاذ عبد اللطيف الخطيب (ع 7 س 3 و « مليلية في تاريخ المغرب القديم والحديث » لنفس الاستاذ (ع 8 س 3) و « التاريخ الحربي للمغرب » للاستاذ احمد احمد اليسري (ع 8 س 3) و « الست الحرة حاكمة تطوان» للاستاذ الكبير محمد داود (ع 1 س 4) و « آثار الفتح الاسلامي في المغرب » للاستاذ ابراهيم حركات (ع 3 س 4) وبحث « الممالك الاسلامية القديمة في افريقيا السوداء » للاستاذ قاسم الزهيري (الاعداد 6 و 8 و 9 و 10 س 5) و « المساجد وأثرها في اصلاح العقول » للاستاذ عبد الله الجراري (ع 1 س 6) و « السياسة الدولية بين سنة 1901 و 1907 » ترجمة الاستاذ عبد الحق بنيس (الاعداد 6 و 7 و 8 و 9 س 6) « موقف الدولة العلوية وفخرها المولى اسماعيل من مؤسسة الاحباس للاستاذ محمد الطنجي (ع 7 س 6) «حملات السعديين الى الغرب الافريقي » للاستاذ محمد الغربي (ع 8 و 9 س 7) و « معركة القصر الكبير » للاستاذ عبد الله العمراني (ع 1 و 2 س 8) و « الامبراطورية الموحدية » للاستاذ محمد المنوني (ع 2 س 8) و«الدور السياسي للزاوية الدلائية (1) » للاستاذ محمد حجي (ع 4 س 8) .

5) ابحاث الحضارة والهندسة المعمارية : وما قلناه عن الابحاث التاريخية احرى ان نقوله هنا ولا سيما فيما يتعلق بالمغرب ، وفي هذا الصدد ، نلمع الى بعض ابحاث الاستاذ عثمان عثمان اسماعيل « طراز الفن الاسلامي في بلاد المغرب والاندلس » (ع 8 س 3)

« الفن الاسلامي بالمغرب زمن الاغالبة » (ع 9 س 3) « الطراز المغربي ... الفن الاسلامي بالمغرب » (ع 10 س 3) وبحث الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله « من مظاهر الهندسة المعمارية في المساجد » (ع 1 س 6) وللاستاذ بنعبد الله اختصاص في هذه الابحاث ، وابحاث الاستاذ ابراهيم حركات « مسجد حسان » (ع 1 س 6) « العمران وفن البناء في عهد المرينيين (ع 6 س 7) و «حضارة الادارسة» (ع 6 س 4) و «التأثير القرطجني في الشمال الافريقي » (ع 2 س 5) و « حضارة المغرب في عهد الرومان » (ع 4 س 7) الى غير ذلك ، وابحاث الاستاذ عبد الله الجراري من مثل « قصة الرباط في مراحل التاريخ » (ع 7 س 8) و « رباط الفتح » (ع 5 س 8) .

6) التراجم التاريخيه : وبطبيعة الحال فان التعبير في هذا السبيل ولا سيما فيما يتعلق برجالات المغرب لا يحتاج الى اثبات ، وقد سدت مجلة « دعوة الحق » ولا سيما في سنواتها الاخيرة بعض النقص ، ونرجو ان تضاعف من اهتمامها به في المستقبل . ومن ذلك على سبيل المثال « محمد الثالث ومحمد الخامس » للاستاذ عبد الهادي التازي (ع 10 س 2) «والمولى اسماعيل » للاستاذ حسن السائح (ع 2 س 3) « بوليان الغماري» للاستاذ سعيد أعرب (ع 8 س 4) « ملوك ورسائل » للاستاذ محمد الدباغ (الاعداد 2 و 4 و 5 و 6 و 7 س 8) «ابن الخطيب السلماني » للاستاذ عبد الكريم الفهري الفاسي (ع 7 س 2) « لسان الدين ابن الخطيب في المغرب » للاستاذ عبد القادر زمامة (ع 5 و 6 س 7) .

7) التراجم الادبية واللغوية : نذكر منها على سبيل المثال « سابق البربري » للاستاذ عبد الله كنون (الاعداد 7 س 2 و 8 و 9 س 6 و 4 س 8) ، و « ابن عبد الملك المراكشي » للاستاذ البحاثة محمد العابد الفاسي (الاعداد 4 و 5 و 6 س 2) ، « وابن حبوس » للاستاذ عباس الجراري (ع 6 س 4) « وابو محمد ابن عبدون اليابري » للاستاذ محمد الامير محمد (ع 3 و 4 س 5) «وابن حزم عصره وانتاجه» للاستاذ فتحي النجار (ع 8 و 6 س 6) و « محمد السائح » للاستاذ محمد بنعبد الله (ع 2 س 8 و « سيبويه » للاستاذ عبد القادر زمامة (ع 8 و 9 س 5) « وابن جزي كاتب رحلة ابن بطوطة » للاستاذ محمد الدباغ (ع 10 س 5) .

8) الابحاث اللغوية : ونذكر منها على سبيل المثال « الالفاظ الاسلامية » للدكتور ابراهيم السمرائي (ع 1 س 4) « من النقد الى البلاغة » للاستاذ عباس الجراري (ع 2 و 3 س 4) « في مجمع اللغة العربية بالقاهرة » للاستاذ عبد الله كنون (ع 6 س 5) « لغة المغرب العربية » للاستاذ عبد الله الكامل الكتاني «واستمرار العربية بالمغرب» لنفس الاستاذ (ع 4 س6) « وازمة اللغة العربية » له ايضا (ع 4 س 6) « الفصلة في العربية » للاستاذ محمد بن تاويت (4 س 7) « وسوف لا ... وهل لا ... » لنفس الاستاذ (ع 2 س 7)، وسلسلة مقالات للاستاذ عبد الله كنون المتعددة الحلقات حول « منجد الآداب والعلوم » و « ظلال لغوية في الامثال المغربية » للاستاذ عبد القادر زمامة (ع 6 و7 س 8) .

9) الابحاث الادبية : وقد اهتمت بها المجلة غاية الاهتمام منذ السنة الثالثة ، والحق اننا نظفر بحصيلة لا باس بها في هذا المجال نكتفي بالاشارة الى الابحاث التالية منه : « شعر ابى العباس الجراوي » للاستاذ محمد بن تاويت (ع 7 س 2) « الاخطل وعبد الملك » للاستاذ محمد برادة (ع 3 س 2 « نشأة الادب العربي بالمغرب » للاستاذ عبد القادر زمامة (ع 6 س 2) « قافية ابن عمرو الرباطي » للاستاذ عبد الله كنون (ع 4 س 3) « الربيع في الشعر العربي » للاستاذ محمد زنيبر (ع 2 و 3 و 6 و 7 و 8 س 4) « خواطر حول اتجاهنا الادبي » للاستاذ عبد الله الجراري (ع 1 س 5) « في الحكم الادبي » للاستاذ عبد العلي الوزاني (6 س 5) « نظرات في البيان والتبيين » للاستاذ ابراهيم السلمى (ع 4 و 5 س 6) « شاعر الاشراق الالهي » محمد المنتصر الريسوني (ع 2 س 7) « ضرورة مسايرة الادب لتيار التطور » للاستاذ عبد اللطيف خالص (ع 2 و 4 س 7) « نجيب محفوظ » للاستاذ محمد زنيبر (الاعداد 1 و 2 و 3 و 4 و 6 و 7 س 8) .

10) الابحاث الفلسفية والتربوية : ونذكر منها « فلسفة القومية » للاستاذ الطاهر ابو بكر زنيبر (ع 2 س 2) « دور نظريات برجسون حول الالهام » للاستاذ محمد الفاسي (ع 8 س 2) « المعرفة والحدس عند برجسون » للاستاذ عبد الحميد مزيان (ع 10 س 2) « تاريخ التعليم الاسلامي بالمغرب » للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله (ع 7 س 4) « التوفيق بين الفلسفة والشريعة بين ابن رشد وسابقيه » للاستاذ عبد اللطيف ملين (ع 3 و 4 س 4) «فلسفة التربية» للاستاذ جمال الدين البغدادي (ع 3 س 4) ، وابحاث الدكتور محمد

---

1) فصل من كتابه عن الزاوية الدلائية .

عزيز الحبابي « الانسان : وحدة الكائن والشخص » (ع 2 س 5) « الشخص وشخصياته » (ع 4 س 5) « تحول الكائن الى الشخص » (ع 8 و 9 س 5) و « مفهوم الكائن » (ع 2 س 6) « الكائن والشعور بالكينونة » (ع 3 س 6) .

11) الابحاث الاجتماعية والسياسية : « هل بدعو تكاثر السكان الى تحديد النسل » للاستاذ عبد اللطيف خالص (ع 8 و 9 س 6) «ديبلوماسية بسمارك» للاستاذ عبد الحق بنيس (ع 2 و 3 س 7) ؛ وابحاث الاستاذ المهدي البرجالي الكثيرة في الميدان نذكر منها : « ظواهر مزمنة وظواهر جديدة في مجال الازمة التوحيدية العربية » (ع 4 س 7) « الى أين تسير الحركة الشيوعية في العالم » (ع 5 و 6 و 7 س 7) « اسرائيل والعالم الثالث » (ع 10 س 7) و « الهجرة وتوازن المجتمعات » للاستاذة فاطمة التهامي (ع 5 س7) و « تطور وظائف الاسرة » لنفس الاستاذة (ع 2 س8) « لانتربولوجيا » للاستاذ العربي الزنايدي (ع 4 و 5 و 6 و 7 س 8) .

12) الابحاث الفنية : وعلى الرغم من اهتمام المجلة بهذا الجانب ولا سيما بعد ان فتحت باب آفاق فنية » فان العناية به لا تزال بحاجة الى مضاعفة ،ويمكن التنويه في هذا المجال بأبحاث الاستاذ عباس الجراري « الفولكلور » (ع 2 و 4 س 6) « المسرح الكلاسكي » (ع 6 س 7) و « جذور الفن التجريدي وتطوره » ترجمة وتعليق الاستاذ محمد السرغيني (ع 7 س 6) و « التليفزيون كأداة اتصال بالجماهير » للاستاذ محمد العربي المساري (ع 6 س 6 ، وغيره ما نشره تحت باب « آفاق فنية » .

ونخلص من هذا العرض الطويل والذي لا يتناسب في الحقيقة مع هذا الرصيد الضخم من الابحاث والمقالات المنشورة بالمجلة خلال عشر سنوات الى الثناء على المجهودات الجبارة التي بذلها رؤساء التحرير وسائر الكتاب حتى أصبحت المجلة على مثل الحلة والمستوى اللذين توجد عليهما الان بحيث يمكن القول بانها تشرف وجه المغرب لا باخراجها وطبعها الانيق فحسب ، ولكن بما تحتويه من مواد مختلفة ، كما لا يفوتنا التنويه بمختلف الافتتاحيات للمجلة منذ نشأتها والتي روعي فيها دائما مختلف المناسبات الدينية والوطنية مع ارتباطها بالحركة الثقافية بالبلاد وكل رجائنا أن تتسم المجلة في أداء رسالتها السامية موجهة عنايتها الفائقة بالاضافة الى الدراسات الاسلامية والادبية والتاريخية، الى الابحاث المتعلقة بالتراث المغربي في مجالاته المختلفة ومزيدا من العمر والازدهار لمجلة «دعوة الحق» الغراء .

الرباط : محمد الامري



الإسلام

الكشف عنه بالانصاف لحاجة البشرية إليه

للأستاذ أنور الجندي

في ظل الاحداث الكبرى التي تواجه العرب والمسلمين في هذه الفترة الدقيقة التي تمر بها البشرية ومن خلال ازمة العصر الكبرى التي تواجه العالم في صراعه المتصاعد ، تستطيع الانسانية ان تتطلع الى الاسلام لتكشف عن جوهره ، بوصفه النور الجديد الذي لا بد ان يكون آخر مطاف البشرية بالمذاهب والدعوات ، وقد تطلع الى هذا المفهوم عشرات من الباحثين منذ اكثر من مائة عام حين احسوا بما تضطرب به الحضارة الغربية وتطلعوا الى افاق اخرى اشد كفالة للانسان ورعاية له .

ومن خلال القضايا الكبرى الثلاث التي تتأزم بها البشرية نجد الاسلام يحمل الحل النهائي : اما هذه القضايا فهي : الوحدة او الوحدات البشرية ، العدل الاجتماعي ، المساواة والقضاء على التفرقة العنصرية ، هذه هي أكبر معضلات الحضارة الغربية في السبعينات من القرن العشرين ، وقد وجد كثير من الباحثين الغربيين المنصفين ان الاسلام قد وضع لها حلولا غاية في اليسر والسماحة والعمق منذ أربع عشر قرنا ، وامامي في مراجع طويلة عدد من المؤلفات التي كتبها بعض الغربيين استطيع ان استخلص منها ان هناك تيارا جديدا في الفكر الانساني يتجه الى الاسلام بوضع مصدر « الاساة » للعصر والانسانية والحضارة .

فيليب دي طرازي : القرآن لغة عالمية للمسلمين
مارسيل كابي : القرآن كتاب موحى به .
سيديو : تاريخ العرب .
توماس كارليل : الابطال وعبادة الابطال .
د . اني بزنت : الديانات الموجودة في الهند .
اتيان دينيه : رسول الله .
امل درمنجم : القيم الخالدة في الاسلام .
د . لور افتشيا فاليري : محاسن الاسلام .
اسحق تيلر : ليس الاسلام عدوا للنصرانية
روم لاندو : الاسلام والعرب .
درابر : المنازعة بين العلم والدين .
جورج سارطون : تراث العلم ومشاركة المسلمين فيه .
د . فرانز روزنتال : مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي .
د . سجريد هونكه : شمس الله تسطع على الغرب .
مسمر : العلم مصدر ازدهار الاسلام .
د . لوسجي رينالدي : مدنية الاسلام في المغرب .
رينيه ميليه : الاسلام والحضارة الحديثة
توماس ارنولد : الدعوة الى الاسلام .
الدارد مونتيه : انتشار الاسلام .
د . عبد الكريم جرمانوس : لما ذا أسلمت .
د . ليوبولد فايس (محمد اسد) : الاسلام في مفترق الطرق .
ايفلين كوبلد : لما ذا أسلمت .

ومن خلال مراجع شاملة لهذه الابحاث استطيع ان اؤكد ان تيارا جديدا فى الفكر الانساني من خلال اللغات اللاتينية والجرمانية يحاول ان يشق طريقه ليكشف عن جوهر الاسلام فى مواجهة الحملة الضارية التي يقودها خصوم الاسلام من اولياء وزارات الاستعمار فى مختلف دول الغرب ، ولما كنا اليوم فى حاجة الى كل سلاح لندافع به عن فكرنا العربي الاسلامي ما اتهم به باطلا من عجز وقصور فقد كان لنا ان نتدبر اراء هذا التيار المنصف لننتفع به فى معركتنا للدفاع عن الاسلام كجزء من الدعوة اليه .

وامامي نماذج متعددة استطيع ان اقدمها فى مجال اقرار ما ذهبت اليه .

1 ـ القرآن وثيقة الاسلام الخالدة

لا يزال القرآن هو معجزة محمد الوحيدة يشير الى الان ساكن من يتلوه ، ولو لم يكن من الاتقياء العابدين ، فاسلوب المعجزة ، وقوة ابحاثه لا تزال لغزا . كان محمد يتحدى الانس والجن ان يأتوا بمثله ، وكان هذا التحدي اقوى دليل على صدق رسالته .

أميل درمنجم

* * *

اجمع معاصروه بأن ما في القرآن من تعاليم القرآن ليست من صنع محمد ، هذه التعاليم التي رقت عقول الملايين من البشر ولا تزال ترقي كل يوم شعوبا متاخرة باشرابها الحقائق الضرورية للذات البشرية من الوجهة الدينية والاجتماعية والخلقية والدينية .

2 ـ رسول الاسلام ((محمد))

لقد اتى محمد بمعجزة ، انها المعجزة الوحيدة التي منحت له ، ولكنها معجزة اقضت مضاجع المشركين ، واعني بها آيات القرآن . ان معجزات الانبياء كانت معجزات وقتية ، وبالتالي معرضة للنسيان السريع ، بينما نستطيع ان نسمي معجزة القرآن : المعجزة الخالدة .

اي رجل قيس بجميع المقاييس التي وضعت لوزن العظمة الانسانية اعظم منه ، اعظم من محمد .

لقد ظلت اخلاق محمد ثابتة لا تتبدل ايا كان العمل الذي يعمله ، سواء اكان يرعى الغنم فى البادية ، ام يبيع عطوره وانماطه فى الشام ، لم تتبدل امانته ، ولم يتغير صدقه ، بل بقيت فضائله ثابتة على الايام .

ان الاخلاص الذي تكشف عنه محمد فى اداء رسالته وما كان لاتباعه من ايمان كامل بما انزل اليه من وحي ، واختبار الاجيال والقرون ، كل اولئك يجعل من غير المعقول اتهام محمد بأي ضرب من الخداع ولم يعرف التاريخ قط اي تلفيق ديني متعمد ، حتى ولو كان صاحبه دجالا عبقريا استطاع ان يعمر طويلا . والاسلام لم يعمر حتى ما ينوف عن الف وثلاثمائة سنة وحسب ، بل انه لا يزال يكسب كل يوم اتباعا جددا .

3 ـ جوهر الاسلام

ان الاسلام رسالة اجتماعية تتمتع فيها مصلحة المجتمع الكلية بالاهمية الرئيسية ، فالفرد بما هو محجوب دائما بالمجموع وان التوكيد الاساسي في الاسلام منصب على قوة الله وقدرته .

لقد انشا الاسلام مفهوما لوحدة الله لا يعرف اللين البته ، الواقع ، ان هذا المفهوم قد مثل خطوة جبارة يخطوها الرجل العربي برغم ما كان يكتنفه من مئات الآلهة التي غصت بها الكعبة . والقرآن يؤكد على انه ليس ثمة اثم اشنع من الايمان بأن لله شركاء ، وذلك بأنه يقول : « ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » .

هل انحل الاسلام وبطل عمله ؟

لا يجيب على هذا السؤال بالاثبات الا من كان قليل العقل ؛ فان الدين الذي تحتفي به ملايين من النفوس تدافع عنه بأموالها وارواحها لا يعقل ان يكون على شفا الزوال .

4 ـ الاسلام والعلم

الاسلام لا يقوى ويزدهر الا بانتشار العلوم وتقدمها ، فان بينه وبينهارابطة اكيدة .

ان قواميس اللغات الاوربية تضج بالكلمات العربية سواء ما يتعلق منها بالحاجات اليومية والاطعمة والالبسة او العقاقير .

لقد كان المؤرخون المسلمون كما كان علماء الدين ايضا يعتمدون على الوثائق مدونة ولم يكن للمعارف التي تعتمد عليها الذاكرة شان فى تاليفهم

كان الملك الاسلامي العربي مملوءا بالمدارس والكليات وكانوا يكفون التلاميذ الفقراء مؤنة دفع أجر التعليم ويعطون الاساتذة مرتباتهم بكرم وسماحة .

5 ـ الاسلام والحضارة

لقد كان عادة العرب اذا دخلوا مدينة ان يؤسسوا فيها مسجدا ومدرسة ، وما كان اعظم جامعاتهم في بغداد والقاهرة وقرطبة وغرناطة واشبيلية وصقلية ، وكان فى الاندلس وحدها سبعون مكتبة ، وكان فى مكتبة قرطبة وحدها زهاء الستمائة الف مجلد ، وفى قرطبة كانت سبع وعشرين مدرسة تعلم أولاد الفقراء مجانا حتى لقد كان كل واحد فى الاندلس يعرف القراءة والكتابة ، بينما كان فى أوربا الجميع حتى النبلاء لا يفكرون فى التعليم .

* * *

يقول بعضهم ، اذا كنا نفرض ان المسلمين يسيرون فى طريق المدنية الغربية سيرا حثيثا فلما ذا نعتبر انه سيكون هناك مدنيتان ، ولماذا لا تفنى المدنية العربية الاسلامية فى جسم المدنية الغربية ، ما دام المسلمون يأخذون العلوم ، والعلوم اساس كل مدنية على اني لا اشارك اصحاب هذا الراي فى رايهم لان العلم له دائرة محدودة لا يتعداها وما وراء هذه الدائرة توجد افكار ومعتقدات ومثل عليا وقيم لها تأثير كبير ، وان العلم مهما اتسعت آفاقه فلا يزال امامه علم غامض وأنه لا يمكن للعلم ان يمحو سلطان الاديان على النفوس وعلى ذلك فلا ارى أحدا لبقاء الاسلام ، ذلك الدين الذي أتى بأحسن العقائد .

6 ـ الدعوة الى الاسلام وانتشاره

ان اهم ما دعا الى انتشار الاسلام هو بساطة العقيدة الاسلامية ، « لا اله الا الله محمد رسول الله » كل ما يطلب من الذي يدخل الاسلام ، قبول هاتين الشهادتين ، ان العقيدة البسيطة لا تتطلب تجربة كبيرة للايمان ولا تثير فى العادة مصاعب عقلية خاصة ، ولما كانت خالية من المخارج والحيل كان من الممكن ان يشرحها اي فرد .

* * *

الاسلام بما فيه من مكانة ، اذا كتبت له الغلبة في الشعوب الافريقية ولا سيما فى الزنوج ، فذلك لان فيه خاصية تلائم الشعوب الافريقية ولا سيما السود منهم وله قدرة فى تربية النفس بالنفس وتمكين الارادة والشجاعة في قلب كل من دان به .

* * *

هذه الحصيلة تمثل محاولة لفهم الاسلام والفكر العربي الاسلامي من جانب مجموعة من مفكرين غير مسلمين تختلف جنسياتهم واديانهم .

وقد كان علينا ان نواجه هذا التيار الجديد في الفكر العالمي وعلاماته تتزايد كل يوم دلالة على أنه قد أصبح هناك من يحاول ان يفكر خارج نطاق العقائد والفلسفات المرتبطة بحياته الحاضرة وماضيه ملتمسا طريقا جديدا لتحرير فكره ، او باحثا عن قيم جديدة خارج نطاق الفلسفات والعقائد التي تسيطر على الفكر العربي المعاصر وترتبط بالحضارة الحديثة .

وقد جاء هذا الاتصال بين الباحثين وبين الاسلام والفكر العربي الاسلامي من اكثر من طريق :

1) جاء من طريق وضوح الحقيقة التي طالما حاول الغرب انكارها واخفاءها ، وهي أن الفكر العربي الاسلامي هو مصدر هام من مصادر الحضارة الغربية والفكر الغربي ، وان الفكر العربي الاسلامي هو مبدع مذهب العلم المنهجي .

انقضى وقت طويل يزيد على اربعة قرون قبل ان يجرؤ مفكر غربي على الاعتراف بأن الجذور العربية الاسلامية هي مصدر الحركة العلمية .

2) جاء من تطلعات فردية لمفكرين أحرار واسعي الافق استهدفوا دراسة الاديان والثقافات الانسانية للبحث عن الحق مجردا من الوراثة والبيئة .

وقد كان الاعتراف بأثر الاسلام والفكر العربي الاسلامي فى جذور الحضارة والثقافة الحديثة مصدرا من مصادر التطلع الى جوهر الاسلام ، وهذه الحضارة ، كما بلغ فريق من المثقفين والاعلام والمنصفين ذوي النظر الحر ان يجدوا فى الاسلام حاجتهم العقلية والروحية وان يكشفوا عن جوهر هذا الفكر فى دراستهم .

ومن هنا استطاع الاسلام والفكر العربي ان يحفر مجرى بدا اول امره ضيقا ولكنه توسع من بعده وعمق والحق ان هذه المرحلة فى الكشف عن جوهر الاسلام والفكر العربي الاسلامي بانصاف قد امتدت اكثر من مائة عام على الاقل حتى اصبح فى الامكان ان يقال اليوم

ان « الاسلام والفكر العربي الاسلامي » استطاع ان يلفت النظر اليه على أنه عقيدة وفكر تقدمي ايجابي حي قادر على الحركة والحياة والالتقاء بالثقافات والحضارات المختلفة والمتجمة ، وان هذه الخاصية في جوهره مصدر حياته وقوته واستمراره ، وانها هي التي حالت دون سقوطه ، بعد ان ضعفت الامة التي تعتنقه . وقد سقطت كثير من العقائد مع الامم التي ضعفت وسقطت.

وفي ظل الحملة العتيقة على الاسلام والفكر العربي الاسلامي خلال اكثر من قرن ونصف وموالاة اتهامه بالضعف والقصور والتخلف واتهام رسوله وكتابه بكل منقصه ، هذه الحملة التي قادها الفكر الغربي المتمثل في القوى الاستعمارية والنفوذ التبشيري وما يواليه من نفوذ رسمي وطائفي واستشراقي ، وما يواليه من المتابعين للاستعمار والتغريب ومن دعاة الشعوبية واتباع المبشرين والمستشرقين في ظل هذه الحملة العتيقة يبرز هذا التيار ويستطيع بعض المثقفين المستبشرين ان يصلوا الى جوهر الاسلام من خلال كتابات خصومه والمتعصبين عليه ، وان يتاح لهم كشف الحقيقة .

ولقد اتسع نطاق هذه الظاهرة وعمق ، وكنا قد اصدرنا منذ ثلاث اعوام كتابنا « الاسلام في غزوة جديدة للفكر الانساني » حاولنا فيها تصوير المعركة بين الاسلام وخصومه وكشفنا عن نماذج من هذا التيار الذي بدا واضحا يلفت نظر الباحثين ، غير اننا في خلال هذه السنوات استطعنا ان نكشف مزيدا من الكتابات المتعمقة العلمية الصادرة عن انصاف ودراسة ، وقد توالت هذه الدراسات واتسع نطاقها واصبحت تمثل « ظاهرة » تحتاج الى تدريس ككل ، وان تبحث في مجموعها ، ولما كنا نحرص على ان لا نكرر انفسنا فقد اقمنا قواعد هذا البحث على ضوء الوثائق والاسانيد الجديدة التي وصلنا اليها والتي كانت منشورة هنا وهناك على ابعاد بعيدة وكانت في جزئياتها لا تمثل الا نظرات منوعه ، فاذا استطعنا جمعها وتنسيقها وفحصها وتقويمها ودراستها استطعنا ان نصل الى حقائق اساسية تكشف عن مفهوم الاسلام في نظر المثقف غير العربي وغير المسلم ؛ ولا نسارع في اصدار الحكم على صحة هذا المفهوم او خطأه ولكنا نرى اساسا انه يمثل اجتهاد الباحث الغربي المتطلع الى طاقة جديدة من النور للنفس الانسانية وللفكر الانساني وان الاسلام قد استطاع ان يعطيه ذلك الفيض الذي تطلع اليه .

ويمكن القول بأن ضياء الاسلام قد استطاع ان ينفذ الى النفس الغربية المثقفة ، وبدا ياخذ مكانا لا على انه تراث او تاريخ او ماض كان له احجار البناء في الحضارة البشرية المعاصرة فحسب ولكنه بوصفه قوة جديدة حية متفاعلة قادرة على تقدم للانسانية حاجتها في مجال الحياة والثقافة .

وعندي ان هذا التيار الجديد الذي بدا ضعيفا رقيقا ثم اخذ مجاله يتسع اليوم ويعمق هذا التيار لن يموت بل سيزداد مع السنوات القادمة قوة وتدفقا ، وانه لا يبعد ان يكون مصدر الضياء الجديد الذي ترقبه الانسانية بعد رحلة طويلة في البحث عن « منهج حياة » وقد اتيح لها منذ القرن الخامس عشر ان تطوف في آفاق المذاهب والفلسفات والعقائد خلال خمسة قرون كاملة توسع فيها العلم وبلغ مدى قدرته في الكشف عن آفاق البحث التكنيكي وفجر الذرة ، واستطاع ان ينفذ الى آفاق الجو بالصواريخ والاقمار . ورسم واقام في مجال المجتمعات نظما متعددة ، بين الراسمالية والشيوعية وفي السياسة بين القوميات والاحلاف والاتحادات فضلا عن عديد من المذاهب الفلسفية بين وجودية ومادية وبرجمالية وجدلية .

ولم تكن هذه جميعها الا محاولات لايجاد « منهج حياة » وحين اتصل الغرب بالشرق في العصر الحديث كانت محاولته ان يفرض فلسفاته على المناطق التي سيطر عليها بنفوذه السياسي والاقتصادي ، واستطاع ان يبلغ من ذلك ما شاء ، في بعض الاقطار ومع بعض الامم الا في نطاق العالم الاسلامي ، فان ذلك بدا له عسيرا غاية العسر ، فان مفهوم الاسلام في عقائده وفكره وثقافته وما ترسمه مقوماته ومفاهيمه قد حال كثيرا دون ان يخضع او يذوب او يتحول بالرغم من الحملات العنيفة التي وجهت اليه .

بل انه احدث في ظل تلك حدثا باهرا حين وسع نطاقه ونشر كلمته في آفاق العوالم الوثنية في افريقيا وجنوب شرق آسيا فحقق نتائج باهرة اذ هلت خصومه ومحاولي القضاء عليها فاعتنقه في خلال القرنين الاخيرين عددا ضخما لا يقل عن عدد اصحابه الاصليين .

بل ان الاسلام قد كشف عن جوهره حين كشف عن انه كان العامل الفعال الحي في حركات التحرر وانه كان رمزا على مقاومة النفوذ الاجنبي وآية الوحدة والتجمع وملاذ السود المضطهدين من جحيم التفرقة العنصرية في قلب افريقيا وفي قلب القارة الامريكية

وكانت تجربته الضخمة الباهرة قدرته على تزكية الثورة على الاحتلال في الجزائر وبروزه كقوة

فعالة فى الحيلولة دون القضاء على كيان أمة كاملة ضاعت لغتها ولكن الاسلام ظل هو عامل البقاء الوحيد.

ولكن شهد الغرب هذا الموقف كله وعجب كيف يكون الاسلام فى محنة، وقد جثمت عليه قوى الاستعمار وسيطر النفوذ الاجنبي على ارضه فازال وحدة دولته ومع ذلك فقد عجز ان يزيل فكره ، بل ان فكره هذا قد تجدد واستيقظ وبدا حركة المقاومة الضخمة الباهرة فى مواجهة محاولة القضاء عليه ، وكشف عن جوهره وصحح كثيرا من المفاهيم ، ورد كثيرا من الاتهامات وواجه الحياة المعاصرة والحضارة والثقافة الغربية بروح من السماحة والقدرة على الاخذ والعطاء ، وبدا الاسلام والفكر العربي الاسلامي قادرا على الحركة والايجابية ، وبرزت قيمه الاساسية قادرة على التلقي والامتصاص دون أن تتوقف أو تجمد أو تتعصب ، كانت آفاقها دائما متفتحة سمحة ، واضحة القوة والحيوية تقدمية القيم والمفاهيم .

ولقد استطاع النفوذ الغربي المعارض للاسلام والفكر العربي الاسلامي ان يشكل اهل الاسلام فى جوهر عقائدهم وثقافاتهم ، وحاول ذلك ايضا مع اهل الغرب انفسهم حتى يقول الدكتور خالد شلوريك : انه حين اراد ان يدرس الاسلام عجز ان يجد فى مكتبات وطنه كتبا منصفة وان كل ما وجده وهو كثير غاية الكثرة كان يحمل على الاسلام حملات متعصبة غاية فى الظلم .

ومع هذه المحاولات فقد استطاع هؤلاء ان ينفذوا الى ضياء الاسلام فيعرفوه ويواجهوه فى صراحة وتجرد ولسنا ندعي أن كل من كتب عن الاسلام كان سليما منصفا ولكنه كان على اي حال من وجهة نظر اصحابه متحررا من التعصب .

واعتقد انه من حق الاسلام علينا ونحن ندعو له وندافع عنه ان ننظر فى هذه الكلمات التي كتبها اكثر من 30 كاتبا وهي وحدة متكاملة لنرى راي كتاب منصفين فى فكرنا العربي الاسلامي وفى دين الاسلام والرسول محمد واللغة العربية والقرآن ، ولو اننا تجاهلنا هذا الذي كتب عنا من باب الانصاف لكان ذلك تباعدا بيننا وبين وجهة نظر جديدة تاخذ طريقها الى الفكر الانساني وتشق تلك الجبهة المتجهة التي كانت تحمل لواء الخصومة والتعصب منذ الحروب الصليبية الى اليوم .

واذا كان علينا أن نواجه اليوم راي خصوم الاسلام وما يثيرونه من شبهات فان علينا ايضا بنفس الاهمية ان نعرف وجهة نظر من بدا لهم الاسلام قادرا على حل مشاكل الانسانية ومنحها زادا من القوة والحيوية وبلسما لجراحها .

ونحن قد لا نرضى تمام الرضى عن كل ما يقال فى باب الانصاف ،لانه قد لا يصل الى مدى ايماننا بالاسلام والنبي والقرآن ، ولكننا لا نشجبه ولا نغضي عنه لانه يمثل وجهة نظر مفكرين بدأوا حياتهم فى معسكر اعداء الاسلام ثم استطاعوا ان ينفصلوا عنه وان يكونوا في انصاف وتجرد رأيا جديدا يخالف ما ورثوه وما درسوه في مطالع حياتهم .

ونحن كمسلمين نستبعد من هذه الاراء فى مجموعها فائدة اخرى ، تلك هي اننا نرى الاسلام فى ضوء العقل الانساني ومن خلال الفكر البشري ومن خلال نفسيات ذات طابع خاص فى حياتها وتفكيرها ربما كان مخالفا لطابعنا ومفاهيمنا الاساسية ، وبالجملة فان هذه « ظاهرة » فى تاريخ الاسلام المعاصر لا نستطيع ان نتجاهلها او نغمض عيوننا عنها .

ومن هنا تاتي اهمية النظرة التي تعطي الثقة بان الاسلام ما زال منذ مطالع فجره الى اليوم وهو يشق طريقه الى العقل الانساني والنفس الانسانية ، وانه كلما ازدادت حركة التطور الاجتماعي والحضارة ودراسات العقل والعلم والتجربة ازداد هو قدرة على اقتحام مجالات جديدة وعقليات جديدة .

وتلك احدى طوابعه الخالدة .

القاهرة : أنور الجندي



(2)

وكان من سوء حظ المسلمين ان احتلت بلادهم واستعمرت من طرف هذه القيادة الفاسدة ، التي وضعت المخططات الدقيقة والشاملة لتسميم الافكار ، وشل الارادات وتعويق كل انطلاق أو تحرر ، مما ادى بعالمنا الاسلامي الى ان يتيه في متاهات مصنوعة للبحث عن أي سبيل يفضي به الى استرداد كرامته ، وتحرير اقتصاده ، ورفع مستوى شعوبه ، واللحاق بالامم الراقية ، وفي ظلام هذه المتاهات ، وبدافع النزعة الى السهولة ظن بعضهم ان مجرد التقليد ، واستيراد الحلول ، واقتراض الآراء ، والاندفاع الاهوج لتطبيق مثل الاخرين ونظمهم كفيل بانقاذ امته وجعلها في عداد المتحضرين دون ان يشعر بالمتاهات التي طوق داخلها ، واريد له ان يشعر دائما بانه حر فيها ، ليظل الحل الحقيقي لمشكلته بعيدا عن مناله ، ولتحتد الخلافات بين المسلمين حول الحلول ، فتدفعهم الى التدابير والتقاطع والتباغض والاقتتال . ولا تقتنع مؤامرات الاستعمار بهذا النصر بل تعمد الى « تلقين » البعض مبادىء ومذاهب جاهزة مموهة ببريق شعارات مخدرة تستثير الحماس دون ان يكون لها أي رصيد من الاستجابة الحقيقية لمطامح الشعوب واهدافها . وبعد جيل او جيلين يكون الانحراف قد تقعد واصبح مناط الآمال واكتسب « القداسة » منزها عن كل عيب ، وهكذا يحاط بسياج من المحافظة وهالة من الاكبار . وهذا ما حاول اعداء الشعوب الاسلامية الوصول اليه بمؤامراتهم المتلاحقة منذ احقاب . .

ولكن تلك المتاهات لم تستطع ان تضم بين اسوارها وسراديبها طائفة واعية من المسلمين التي ادركت سر فشل العالم الاسلامي خلال قرن من الدعوة الى التحرر وساعدت الى التاريخ تستشيره وتستمد منه الحقائق ، كما انكبت على دراسة المذاهب والافكار المستوردة بكل عناية ودقة فاذا بها تجد ان الاسلام يكون تلك الشرارة الروحية التي اقتحمت على الجاهلية سدودها ففجرت في العرب طاقات روحية جبارة ووجهت هذه الطاقات لبناء اعظم حضارة عرفها التاريخ . وقد تطايرت هذه الشرارة المقدسة الى أقصى المغرب واقصى المشرق لتصنع المفجرات الباهرة ولتخرج شعوبا من الظلمات الى النور ولتبعث فيها الحياة مفعمة بالاشعاع .

والى تلك الشرارة يرجع الفضل في البطولات الرائعة التي ابدتها الشعوب الاسلامية غداة احتوشها الاستعمار من كل جانب ، ولم تعلن الاستسلام ابدا حتى تحقق لها النصر وطردته من بلاده شر طردة ، وما تزال تتربص الدوائر بمن يحاول ان يحافظ على بعض مظاهره !

وقد وجدت هذه الطائفة المؤمنة انه كلما كانت صلات المسلمين بدينهم قويا كانوا اعزاء عظماء ، وان أي تدهور يصيبهم ليس منشؤه سوى اضطراب في تلك الصلات ، وضعف في علاقتهم به مما يجعل روح المسلمين معزولة عن « المحرك » الطبيعي الخالد لها ، ويحول بينها وبين حركتها البناءة الهادفة .

فالاسلام في نظر كل مؤمن مخلص هو المنقذ الوحيد لما يتخبط فيه عالمنا الاسلامي الذي فقد سر دوافع حركته وفاعليتها ، وضمرت فيه تلك الروح الوثابة المتحررة التي عرف بها في فترات عظيمة من حياته ، وتبعا لذلك تمزقت شبكته الاجتماعية التي كانت تسلك الجميع في ضمير واحد ، وهدف واحد ، وارادة واحدة ، وتجعله كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى .

يقول الفيلسوف مالك بن نبي : « ولقد اكدت الفكرة الاسلامية فيما مضى صلاحيتها في بناء مجتمع استطاع ان يؤدي نشاطه المشترك ، بطريقة بلغة الدقة» ويرى أنها قادرة على اعادة هذا البناء بنفس الدقة ، ولا يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح أولها ، الا انه يجب العمل على تغيير جذري داخلي طبقا لقوله تعالى :

« ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم»

ومالك بن نبي ليس ممن يتطربهم الانشاء **ويندفعون وراء الكلمات ، ولكنه رجل علم يدرس الافكار بصرامة وجدية ومنهاجية ، ويخضع كل شيء لعقله الرياضي الدقيق ويستفيد من تجربته الشخصية** في العالم الاسلامي والعالم الغربي ، ولذلك كانت لفكرته قيمتها الكبرى التي يجب ان نستفيد منها قبل فوات الاوان .

اذن فالاسلام هو مصدر حضارتنا في الماضي ، وهو المعتمد في الانقاذ في الحاضر والمستقبل ؛ لانه نظام انساني شامل عادل يستجيب لمطامح الانسانية المادية والمعنوية ، ويؤمن بالفرد ايمانه بالجماعة على نحو توازني رائع ، ويبث ذلك في كيان اتباعه بتوجيه الغرائز نحو المثل الاعلى عن طريق تنظيمها وتوازنها والتسامي بها من مستوى الانفرادية والنوعية الى مستوى الشخصية التي ترتبط طبيعة ، بالجماعية ، وهذا هو الشرط الاساسي لكل نهضة او تقدم .

ومن مظاهر استجابة الاسلام محاجات الانسانية: انه حفظ للانسان كرامته يوم اعلن ابطال عبادة غير الله من الاشخاص والاصنام والاشياء ، لان في تلك العبادة امتهانا للعقل ، وعصيانا للفطرة وقلبا للاوضاع ، وكفرانا بالانسان نفسه . وقد دعا الاسلام اهل الكتاب لعقد ميثاق حفظ هذه الكرامة :

« قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » .

وقد انتهر رسول الله (ص) رئيس وفد عامر بن صعصعة عند ما خاطبه : « يا رسول الله أنت سيدنا وذو الطول علينا » قائلا له :

« السيد الله ، لا يستهوينكم الشيطان » .

ولتأكيد تكريم بني آدم استخلافهم في الارض ، وهذا الاستخلاف ليس محصورا في شخص واحد كالبابا او طبقة معينة كالاكليروس ، وانما هي مسؤولية وتكليف للانسان جميعه ، من أجل تعمير الارض باشاعة العدل واقامة الحق ومحاربة الظلم ، قال تعالى : « ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ، ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا » . يقول الشيخ ابن تيمية تعليقا على الآية « قال العلماء نزلت الآية في ولاة الامور ؛ عليهم ان يؤدوا الامانات الى اهلها ، واذا حكموا بين الناس ان يحكموا بالعدل ، فهذان جماع السياسة العادلة والولاية الصالحة » .

وقد عرف سلمان الفارسي رضي الله عنه الخليفة: بانه لا ياخذ الا حقا ولا يضعه الا في حق » ! !

والامة التي تحقق هذه الخلافة واهدافها هي التي يمتدحها الله بقوله :

« تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا » وقد بعث الله موسى وعيسى والرسول صلوات الله عليهم لادانة انحراف الفراعنة والرومان والاكاسرة والعصبية المقيتة ، وانتزاع القيادة من طغاتها لحفظ كرامة الانسان وصيانة نظام الله العادل .

ومن اسس هذا النظام العادل انه منبثق من الانسان نفسه وبارادته وباستشارته ، وقد أثنى الله على الامة المتشاورة حيث يقول :

« وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا . . . الى ان يقول جل علاه : والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون » .

ويقول ابو هريرة رضي الله عنه : « لم يكن احد اكثر مشورة لاصحابه من رسول الله (ص) .

ولذا لم يشأ الرسول صلى الله عليه وسلم ان يتدخل في ارادة اتباعه المؤمنين ويصرح بذلك في الحديث الشريف :

« لو كنت مؤمرا احدا دون شورى المسلمين لامرت (بتشديد الميم) ابن ام عبد (اي عبد الله بن مسعود) ، وهذا حديث عظيم في بيان ديمقراطية الحكم الاسلامي . وقد تركز هذا المبدأ في ضمير هذه الامة واصبح مقدسا ، وناضل دونه كثير من المسلمين ، وعند ما تحولت الخلافة الى ملك عضوض حافظ الامويون والعباسيون ومن بينهم على شكلية البيعة التي هي صورة من الخضوع لارادة المسلمين . فمبدأ شورى الحكم مقرر في الاسلام منذ فجره، والتفريط فيه تفريط في اهم دعائم الحكم الاسلامي ، بل وفي الاسلام نفسه باعتبار ان الاسلام وحدة لا تتجزأ .

وكما جعل الاسلام المسلمين المرجع فى الحكم ومصدرا للسلطة جعل المال ملكا لهم وليس لاحد ان يتصرف فيه الا وفق مصالحهم وارادتهم ، وهناك آيات واحاديث فى الموضوع يوردها البحاث وغيرهم على السواء لانها اصبحت مشتركة فى العلم بها بين المثقفين كما كان يعرف هذا المبدا ويحافظ عليه الخلفاء الراشدون ورعاياهم اقتداء برسول الله (ص) الذي توفى ولم يخلف شيئا من حطام الدنيا لاهله ومنع ان يورث ، لانه كان ابا للامة جميعها ، فالامة أولى بماله . وعند ما قال الربيع بن زياد الحارثي لعمر بن الخطاب : « يا امير المؤمنين ان احق الناس بطعام لين ومركب لين وملبس لين لانت » رفع عمر جريدة كانت معه فضرب بها راسه وقال :

« اما والله ما اردت بها الله ، وما أردت بها الا مقاربى ، هل تدري ما مثلي ومثل هؤلاء ؟ » قال : « وما مثلك ومثلهم » ؟ قال : « مثل قوم سافروا فدفعوا نفقاتهم الى رجل منهم فقالو له : انفق علينا فهل يحل له ان يستاثر منها بشيء » ، قال : « لا يا امير المؤمنين » قال : « فكذلك مثلي ومثلهم » .

وكتب عمر رضي الله عنه لعامل له : « ان اعط الناس اعطيتهم وارزاقهم » . فكتب اليه : « انا قد فعلنا وبقي شيء كثير » فكتب اليه عمر : « انه فيؤهم الذي افاء الله عليهم ليس هو لعمر ولا لآل عمر » . وقد ابى الحكم بن عمرو بن مجدع عند غزوه خراسان ان يتصرف فى الفيء حسبما امره بذلك زياد بن ابيه وانما رد عليه ان كتاب الله احق من أن يتبع . وقال للناس : « اعدوا على فيئكم فاقسموه » .

وفى الرسالة الرائعة التي كتبها سفيان الثوري رضى الله عنه لهرون الرشيد فى شأن عدم شرعية التصرف فى بيت مال المسلمين الا على اساس دستوري ووفق القرآن والسنة دليل على ان المال مال المسلمين، وهذا ما فهمه المسلمون على مر التاريخ .

ولم يعرف فى تاريخ الانسانية نظاما اهتم بالضمان الجماعي ووزع مال الامة على الامة مباشرة وبعدالة كنظام الاسلام ، والامثلة والشواهد التطبيقية كثيرة بحيث تصلح ان تكون موضوع رسالة جامعية ، ولكن سنقتصر على ذكر بعض تلك الامثلة ؛ فلقد ابى عمر رضى الله عنه ان يقسم بعض الاراضي بين الفاتحين المسلمين بل جعلها ملكا للامة المستمرة الدائمة ، ورد على من اراد التقسيم قائلا : « اذن اترك من بعدكم من المسلمين لا شيء لهم ، فقد اشرك الله المسلمين اولهم وآخرهم في هذا الفيء » .

وفى حديث سوادة بن ربيع الجرمي قال : « اتيت رسول الله (ص) بأمي فأمر لنا بشياه ، وقال لها : مري بنيك ان يقلموا اظفارهم ان يوجعوا او يعبطوا ضروع الغنم ، ومري بنيك ان يحسنوا غذاء رباعهم » .

والمبدا الاساسي هو ان الزكاة تؤخذ من الاغنياء وترد على الفقراء ، وكان رسل النبي (ص) يقومون بنشر الدعوة الاسلامية وتبليغها ، فاذا اسلم القوم وسلموا صدقاتهم ردها على فقرائهم .

وقد طبق مبدا التكافل والضمان الاجتماعي في عهود الخلفاء الراشدين ، ومنهم عمر بن عبد العزيز . وان التاريخ ليحفظ لنا اخبارا رائعة عن تلك المظاهر التطبيقية . فعمر رضى الله عنه يقول : « والله الذي لا اله الا هو ما من الناس احد الا له فى هذا المال حق اعطيه او منعه ، وما احد باحق به من احد الا عبد مملوك ، وما انا فيه الا كأحدهم ... والله لئن بقيت لياتين الراعي بجبل صنعاء حظه من هذا المال وهو مكانه » .

وكان عمر رضى الله عنه يفرض للمنفوس مائة درهم فاذا ترعرع بلغ به مائتي درهم ، فاذا بلغ زاده ، وكان اذا اتي باللقيط فرض له مائة درهم وفرض له رزقا ياخذه وليه كل شهر ما يصلحه ، ثم ينقله من سنة الى سنة ، وكان يوصي بهم خيرا ، ويجعل رضاعهم ونفقتهم من بيت المال .

وقصة عمر رضى الله عنه مشهورة مع الام المرضع التي كانت تحامل فطم رضيعها رغبة فى عطائه من بيت المال لان عمر كان يفرض الا للفطم ، فلما علم ذلك عمر ، ذهب وصلى الفجر ، وما يتبين الناس قراءته من غلبة البكاء ، فلما سلم ، قال : يا بؤسا لعمر كم قتل من أولاد المسلمين ! ثم امر مناديا فنادى : الا لا تعجلوا صبيانكم عن الفطام فانا نفرض لكل مولود فى الاسلام ، وكتب بذلك الى الافاق ..

وان هذا الضمان الجماعي يشمل حتى الذميين باعتبارهم مواطنين فى المجتمع الاسلامي . وعند ما تعاقد خالد بن الوليد مع نصارى الحيرة على اساس تادية الجزية اعفى الضعفاء منها بل تكفل باعانة العجزة منهم من بيت مال المسلمين اذا لم تكن لهم مساعدة من اخوانهم ، بعد ما كانوا يشهرون السلاح فى وجه الجيش الاسلامي ! ! !

وقد طبقت هذه المبادىء بشكل رائع على عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز ، وفي سيرته المشرقة ما يضيف صفحات لامعة لعهد الخلفاء والنبي (ص) ، ففي خلافته المباركة اختفى الفقر والعوز وأصبح المسلمون يعيشون في بحبوحة من الرغد والكفاية ، يقول يحيى بن سعيد : « بعثني عمر بن عبد العزيز على صدقات افريقية فاقتضيتها وطلبت فقراء نعطيها لهم فلم نجد بها فقيرا ، ولم نجد من يأخذها مني ؛ قد أغنى عمر بن عبد العزيز الناس ، فاشتريت بها رقابا فأعتقتهم وولاؤهم للمسلمين » .

وكان هذا الخليفة كمن سبقه من الخلفاء الراشدين يعتبر بأن المال ملك للمسلمين ولا حق له أو لاولاده فيه لذلك ابى ان يسلم لهم شيئا منه ، وقد رد على من نصحه بأن يترك لهم ما يدفع عنه شبح الفقر بعده قائلا: « فو الله ما ظلمتهم حقا هو لهم ، ولم اكن اعطيهم شيئا هو لغيرهم » ، في حين تراه يوزع هذا المال على اصحابه بالعدل ، فيصيب كل مواطن حظه حتى انه جعل لكل مقعدين وكل زمنين غلاما يخدمهما ، ولكل أعمى غلاما يقوده .

وعند ما اجتمعت لدى عامله بالكوفة زيد بن عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب اموال بعد اعطية الجند امره بأن يوزعها على من كان عليه دين في غير فساد ، او من تزوج فلم يقدر على نقد ، وكذلك على اهل الذمة لتقويتهم واعانتهم على فلاحتهم .

وانسانية الاسلام تنعكس ايضا على واقعيته وطريقة معالجته مشاكل الانسان ، وواقعية الاسلام ليست انقيادا لمألوف ولا خضوعا لهوى ولا تملقا لعاطفة او اعترافا بانحراف ، وانما واقعيته تستمد عناصرها من النظرة العميقة لفطرة الكائن البشري ، واستكناه طاقاتها وامكاناتها ، ومن ثم كان الاسلام انعكاسا لفطرة الانسان ، وتقويما لسلوكه وتسديدا لانحرافه ، ومعالم لسيره .

فالانسان في نظر الاسلام هو ذلك الكائن المصوغ من مادة وروح ، والمزود بالغرائز والعواطف والعقل ، وفيه استعداد نحو الخير والشر معا ، ولذلك كان خطاء بطبيعته ، ولكن هذا الخطأ قادر على التخلص من خطيئته والتحليق في اجواء الطهر وسماء الصفاء على اجنحة من التوبة والاستغفار ، فيجد هنالك الله توابا رحيما . ولا تحوجه ارادة التوبة الركوع امام بشر مثله ، ذليل النفس منكسر الخاطر ، يفضي اليه بأسراره ، ويلتمس منه المغفرة بل يفتح الله له طريق التوبة مباشرة :

« واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداعي اذا دعان » .

وهكذا يشارك هذا الخطاء الملائكة في طهرها ويصبح أقرب الى الله :

« كل بني آدم خطاء وخير الخاطئين التوابون »

هذه نظرة الانسان للاسلام باختصار ، وعلى اساسها يعالج مشاكله . فالزواج مثلا ، رباط مقدس ، وعقد قيم تحوم في ظلاله على الزوجين اجنحة السكينة والامن والسعادة « ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها » ، فالزواج ليس سوى اعادة امتزاج نفسين في نفس واحدة ، وفي هذا الامتزاج سكينة من ضجيج الحياة ، وملاذ من اشباح القلق والاضطراب ، ومن عناء العمل ومشاكله ، ومن هذا الامتزاج تترعرع شجرة الحياة تمتد اغصانها المورقة افياء وظلالا ، وغبطة وهناء في جزيرة السعادة الحالمة . ولكن هذا الرباط المقدس ، ككل مظهر بشري ، قد يتعرض الى ما يزعجه ويوهنه ، فينفض على النفسين سكينتها ، وهناك تتحول الرغبة الى اعراض ، والرضا الى سخط ، والبسمة الى عبوس ، والانفاس العاطرة الى زفرات حزن وآهات شكوى ، ويفرش العش الهنيىء بالاشواك ، ويتبدل الاس والياسمين الى حنظل ودفلى . وهنا تعاند المثالية فترغم النفسين على استمرار الاتحاد في افتراق ، والوفاق في شقاق ، والسعادة في شقاء .

اما الاسلام فقد اباح الطلاق كحل ضروري وحاسم لوضع حد لحياة شقية بعد استعصاء غير انه ابغض الحلال الى الله .

وها هي المثالية اليوم ، تخضع وتبيح الطلاق في عدة جهات كما اصبحت تعترف بان الرهبانية خطأ وتجيز زواج الرهبان مطلقا في بعض المذاهب وباذن في البعض الاخر ! !

وتبدو واقعية الاسلام في اباحة التعدد ، والتعدد كما هو معلوم مقيد ، وللمجتهدين ان يستنبطوا من تقيد القرآن له ما يجعله يقوم بوظيفته الاجتماعية ، اما هذا التعدد الذي نراه في بلاد المسلمين ففيه الكثير مما يجب منعه لما ينشأ عنه من اضرار خطيرة ، تزعزع كيان الاسرة ، فالتعدد ليس ميدانا للعبث والتلاعب ، وانما هو استجابة لدرء مفسدة ، تنشأ حتما بدونه في بعض الاحوال ، والفرق بين الاسلام والحضارة الغربية التي تدين هذا التعدد ، هو ان التعدد في العالم الغربي يقع بشكل بارز وظاهرة شائعة ، ولكن خارج القانون ، وان

الارقام المرتفعة للاولاد غير الشرعيين ليدل على ذلك.. اما في الاسلام فيقع التعدد داخل قانون . وهذا القانون في حد ذاته صارم .

وهكذا كانت معالجة الاسلام للنواحي المدنيــة والجنائية والاقتصادية وغيرها ،

واحب هنا ان اشير اشارة عابرة الى قضية تمس الحياة الاقتصادية وهي سعر الفائدة او النظام الربوي. فالاسلام سبق النظريات التقدمية التي تدعو لالغاء النظام الربوي لما فيه من استغلال الانسان للانسان ، وان سلاح هذا الاستغلال هو راس المال الذي يطغي صاحبه فيستبد بالضعيف ويتحكم فيه ، ويعبر القرآن العظيم عن ذلك بقوله : « ان الانســان ليطغــى ان رآه استغنى » ، وكان تحريم الربا اداتــة لليهود الذيــن لا يقتاتون الا في جو هذا الاستغلال .

وها نحن اليوم نقرأ ونسمع صيحات ترتفع هنا وهناك داعية لالغاء سعر الفائدة وللحد من سيطرة راس المال الذي اصبح غولا يلتهم القيم والمعاني الانسانيــة النبيلة . وقد الغت بعض الدول هذا النظام الفاسد ، كما حاولت الاخرى ولكن محاولاتها باءت بالفشل بسبب مؤامرات اليهود والمتحكمين في المقدرات الاقتصادية ، يقول احد اساتذة الاقتصاد الجامعيين : الدكتور عيسى عبده ابراهيم :

« ان الراسمالية تاثرت بتعاليــم اليهود الذيــن نشطوا الى تنظيــم المعامــلات الربويــة وحذقوهــا ، ولاسلافهم فيها تاريخ طويل ، وامكن لليهود ان يتحكموا في الاقتصاد كله لمجرد تخصصهم في حركة المال السائل، واهم اداة لهذا التحكم نظام الفائدة ، هذا النظام الذي هاجمه علمــاء متخصصــون في الفلسفــة والاجتمــاع والاقتصاد ولآرائهم وزن كبير ... وذلــك في البــلاد الراسمالية فضلا عن الجمهوريات الاشتراكية التــي سبقت الى الغاء المعاملات بالفائدة وان كانت ابقت عليها في بعض المعاملات الدولية » ويستشهد باراء الاقتصادي الانجليزي الكبير اللورد كنز الذي وضع الالغــام مــن تحت اسس المعاملات بالفائدة . ويقول : « اما الاسلام فقد جاء بأحكام متزنة تعترف بالملكية الخاصة ، وتهذبها بفرض الزكاة وتحريم الفائدة واية صــورة من صــور الربا . ولقد فهم اللورد كنز طرفا من عظمة الاسلام » ، وهكذا نرى ان الاسلام يقيم تشريعاته ونظرياتــه على اساس درء المفاسد وجلب المصالح بالنسبــة للانسان جميعه ، وعلى اساس فهم عميق شامل كامل للفطــرة والطبيعة البشــريتين ، دون التأثــر او الرضــوخ لاي انحراف واقع ، بل نراه يرفض هذا الواقــع فيقــاوم الانحراف ويقومه .

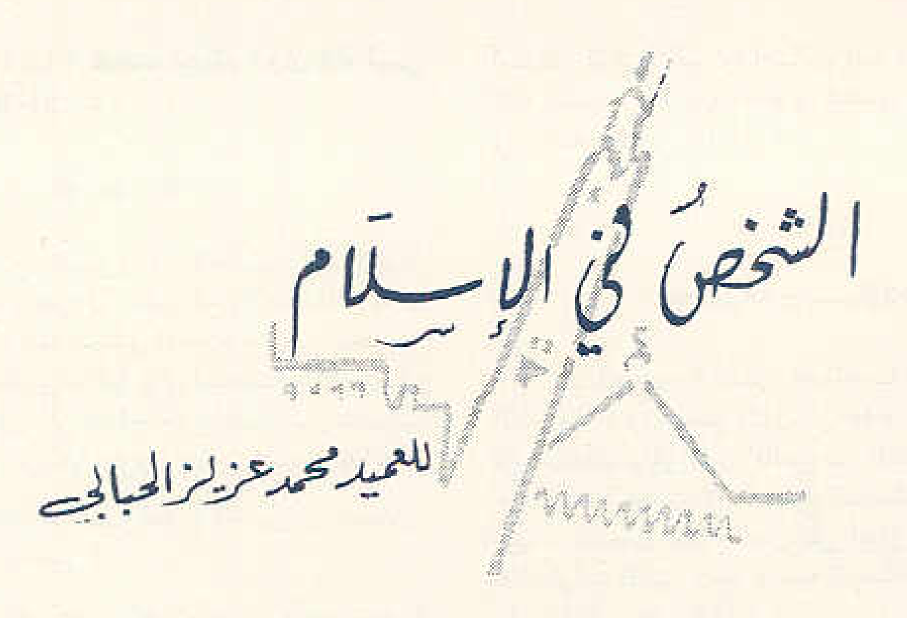
اما التشريعات الوضعية فانها تخضع لمسايرة الانسان وترجمة حياته الواقعية وعكسها الى قانون ، ولو كانت شديدة الانحراف ، من ذلــك عــدم اعتبار الشــذوذ الجنسي بين بالغين بارادتها جريمــة في بعض بلــدان الغرب ، واحاطة النظام الربوي بسياج من القانــون ، واعتبار اللون او الجنس اساسا للتفرقة ، والغاء الملكية الخاصة او اباحتها على نطاق واسع .

وتنظيم قانــون الاستعمــار ، وتاريخــه حافــل بالمخازي . وغير ذلك من المظاهر التي اصبحت تكون الامراض الفتاكة بهذه الحضارة المنهارة .

اما الاسلام فلا استغلال ولا حيف ، ولا انحراف ، ولا تزكية لظلم او مشايعة لهوى :

« يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين مــن قبلكم ، ويتوب عليكم والله عليم حكيم ، والله يريد ان يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلــوا ميلا عظيما ، يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانســان ضعيفا » صدق الله العظيم .

فاس : عبد السلام الهراس



-2-

3 ـ البيئة الاخلاقية المجتمعية :

تعتبر « خطبة الجبل » للنبي عيسى ، اصدق تعبير عن الاخلاقية المسيحية ، ولا نجد لها في الاسلام ، مقابلا ، لا آية قرآنية ، ولا حديثا ، ولا مجموعة من الخطب النبوية ، ولو « خطبة الوداع » .

فعلى من يريد أن يكون فكرة عن الاخلاقية الاسلامية ان يقوم بجمع عدد وافر من الآيات القرآنية ، وتوضيحها ، وتعزيزها بكثير من احاديث الرسول . ان عملا احصائيا كهذا جد واسع ، يتجاوز اطار موضوعنا، فلنكتف بنظرة موجزة .

* * *

راينا ما للشهادة من اهمية في الاسلام (ونعطي للشهادة هنا معناها الاعم) ، انها تبدو ، في آن واحد ، اساسا اونطولوجيا ومبدءا اخلاقيا . الا ان لـ «اخلاق» مفهوما خاصا في الاسلام ، مغايرا لما يدل عليه في الطقس المسيحي . جرت العادة ان يفرق النصارى بين الكنيسة كمجموع من المؤمنين وبين الكنيسة كسلطة كهنوتية ، كما يفرقون الدين المسيحي والعالم المسيحي . هكذا تتخذ الاخلاقية اوجها مختلفة :

يجب الخضوع لاوامر الاكليروس ، وللاخلاق الدينية ، ولروح المواطنة . اما في الاسلام ، فتأخذ الاخلاقية امتدادا يجهله الغرب : لا كهنوت ، ولا تمييز بين ما هو ديني وما هو علماني ، وتتسع روح المواطنة فتتعدى « الوطن » لتبلغ مستوى الشمول العالمي (الامة الانسانية (1)) .

يوحد الاسلام توحيدا متكاملا بين الايمان ، والعبادات ، والمعاملات المجتمعية ، اي انه لا يفرق ، مطلقا بين الروحيات والماديات : فبقدر ما يتدخل في الشؤون العامة يتدخل في الشؤون الخاصة ؛ انه دين « كلي » ، يهتم القرآن والسنة بالسلوك المجتمعي الاخلاقي ، والحياة القضائية والسياسية والاقتصادية، كما يهتمان بالحياة الدينية ، بله العالم الوجداني : يهيمن الاسلام على الحياة اليومية ، بكل معانيها ومجالاتها . فبالنسبة لوجود اي فرد ، يحصل الجمع بين تلك الانماط بواسطة التحام طبيعي يعتبر جزءا من الكيان الاسلامي نفسه . كل شيء يحدث على مراى من الله ، و « راس الحكمة مخافة الله » (حديث) . ان تلك المخافة تذكي ضمير المؤمن ، مما يجعل وعيه دائم اليقظة . فالله ، كما جاء في القرآن : « **معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير** » (57 : 4) . بفضل ما للضمير الاخلاقي من حيوية وصفاء ، يعكس الحضور الكلي الالهي ، هادفا باستمرار الى التجاوز ، والى التطلع الدائم نحو « نهضة جديدة » . لذا يرفض الاسلام استمرار فكرة « الخطيئة الاصلية » وعواقبها في العالم،

---

1) جاء في الاثر : « كلكم من آدم ، وآدم من تراب » ، حديث .

فالجحيم والجنة ، لما « **قدمت أيديكم ، وأن الله ليس بظلام للعبيد** » (8 :51) .

❊ ❊ ❊

يؤمن الاسلام بالصيرورة : العالم والانسانية يتطوران نحو نضج يتجلى فى التغيرات والاختلافات . ان التطور الانساني ، كما يتصور الاسلام ، ليس فحسب استعادة تكيف مطلق ، كما يرى أصحاب التحليل النفساني اذ يسعون الى ادماج جديد للمصابين بالمصاب فى البيئة السوية ، بل هو تحرر وتجاوز الانسان لذاته .

ان كل سيكولوجياتهم بالعلاج لابد من ان تتساءل: ماذا يجب أن نغير ؟

هل العالم الخارجي (العادات ، والدساتير ، والاعراف ، والوسط) ، ام العالم الداخلي ، اي الانسان ؟

على هذه الاسئلة اجاب القرآن :

« ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم » (13 : 11) . ويضيف : «**ذلك بأن الله لم يكن مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم** » **(8 : 53)**

فلن يعترف المرء بصدق أية حقيقة الا اذا عاناها، شخصيا ، أو على الاقل الا اذا نزع الى تجسيدها في حياته . أليس الانسان «**على نفسه بصيرة**» (75 : 14) .

❊ ❊ ❊

ذلك هو الدور الهام الذي يلعبه الضمير الاخلاقي بالنسبة لمجموع التصرفات الانسانية . وحسب حديث رواه مسلم : « البر حسن الخلق ، والاثم ما حاك في نفسك ، وكرهت ان يطلع عليه الناس » .

فتلك القوة الفعالة التي تقود النية ، وبالتالي افعال المسؤول الاخلاقي ، وتضيء علاقاته بالآخرين ، وعلاقات جميع الناس بالله ، هي ما يسمى فى الاسلام **بالقلب** : انه ، فى نفس الوقت مقر الحياة الباطنية ، ومقر الالزامية الاخلاقية . (1) يتجلى هذا المظهر المزدوج ، بكل وضوح ، فى حديث أورده الامامان : أحمد بن حنبل والدارمي ، ان الصحابي رابعة بن معبد الاسدي أتى النبي يسأله عن البر ، فأجابه الرسول : استفت قلبك ! البر ما اطمأنت اليه النفس ، واطمأن اليه القلب . والاثم ما حاك فى النفس ، وتردد فى الصدر، وان افتاك الناس وأفتوك » .

❊ ❊ ❊

تحفظات وتساؤلات

ان الصورة التي اخذناها عن الشخصانية الاسلامية ، فى القسم الاول من هذه الدراسة لا تخلو من ابهامات وثغرات . فالعروض السابقة تثير مشاكل من الاهمية بحيث لا يستطيع الباحث أن يغض الطرف عنها . سيعمل هذا الفصل على ابراز ما منها يبعث على الاضطراب الاكثر ، مع توجيه البحث نحو ما يمكن ان يوصلنا الى بعض الحلول .

1 ـ التعالي

يعتبر الاسلام الشخص كائنا خلقه الله ، قبل كل شيء ، ليعبده : « **وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون**» (51 : 52) . لكن يجب ان نتساءل : الا تحرم تلك الغائية الشخص من كل غاية ـ في ـ ذاته ؟ وهل يترك هذا الاستلاب مجالا لـ « شخصانية اسلامية » ؟

لو أن أصحاب « علم الكلام » حاولوا أن يردوا على هذا الاعتراض لما وجدوا ـ على ما يظهر لنا ـ الا جوابا واحدا ، هو : ان الله هو التعالي المطلق ، ومخلوقاته ليست جزءا منه ، ولا فيضا عنه ، ولا تجسدا لكينونته، الله خلق الانسان ، والكون ، ولكن مفهوم « خلق » هنا يتجاوز الذهن الانساني . أليس دور الوحي ، فى واقعه، الا تعويضا عن نقص ادراكنا ؟ ينير الوحي الطريق الذي يسير بنا الى أن ندرك التعالي الالهي . انه يوقظ مشاعرنا،ويفتح وعينا على بشريتنا وطبيعتها المحدودة.

هذه الاجابة ، كما نرى ، عوضا عن أن تحل المشكل المطروح قد تثير مسألتين أخريين ليستا أقل اشكالا ؛ الاولى خاصة بالتعالي ، والثانية بالوحي .

فمن السهل على أصحاب الكلام ، وعلى أصحاب اللاهوت بصفة عامة ، ان يعترضوا بما يأتي :

ما الذي يجيز لكم أن تضعوا مشكل التعالي الالهي طبقا لخطاطة من الافكار والمقولات تكونت فى ميدان غير ديني ؟

1) كلمة « ضمير » (بمعنى الشعور الاخلاقي ، الوازع) وكذلك لفظة «وجدان » (الشعور السيكولوجي) لم يظهرا فى اللغة العربية الا فى جو الاسلام .

بما ذا تبررون موقفكم عند ما تطبقـون المنطـق (الصوري ، أو الديكارتي ، أو اي منطـق آخـر) على ميدان المعتقدات ؟

فللايمان منطقه الخاص ، كما للعواطف منطقها . وحتى في الفيزياء ، ألا تتغير مقولات الفكر عند ما ننتقل من العالم المتناهي في الكبر (مثلا : عالم الافـلاك) الى العالم المتناهي في الصغر (مثلا : عالم الذرات والجراثيم)؟ لذا كان من الملح ، بأن نفصل بين الحياة الذهنية الدينية، وبين الحياة الذهنية في الميادين الاخرى .

ربما كان رد المتكلمين ، هـذا ، مقبولا . فليس هناك ، لا مبدئيا ولا عمليا ، شـيء يتعارض وذلـك التمييز بين الميدانين . بيد ان المتكلم لا يفسر سـر التعالي ، وبالتالي لا يحل المشكل المطروح . انـه رد لا يفعل اكثر من وضع المشكل في منظار يختلف ومنطقنـا المعتـــــاد .

واخيرا ، فحتى لو فرضنا ان المنكرين للمعنويات على حق ، واقتنعنا بدعواهم : ان كل ما ليس خاضعـا للحس وللزمان والمكان يصبح موضع تساؤل وريـب ؛ جاز لنا ان نطالب اولئك المنكرين بأن يبرهنوا ، مثـلا : على وجود الزمان بنفس منهجم .

أ ـ هل للزمان وجود ؟ :

سؤال يضعه الفلاسفة والعلمـاء واللاهتيـون ، ولكن لا أحد استطاع ، منذ غابر « الازمان » ، ان يعطي جوابا يريح قلق الفكر بخصوص هذا الموضوع . فعندما ننظر الى القضية ، نجد ان الماضي قد فات ، والمستقبل لم يأت ، ولا وسيلة لتثبيت الحاضر . اما « اللحظة » ، او « الفترة » ، أو « للآن » ، أو « الحين » ، فلا يجوز لنا التحدث عن أيهما الا اذا اتضح لنا ، مسبقا ، مفهوم « زمان » . اني الان أبحث في الزمان . ولكن : ما «الان»؟ انه « فترة » أو « لحظات » ، وهذا ليس تعريفا ، بـل دورا وتسلسلا ، لاننا دخلنا في حلقة مغلقة من المفاهيم ، كلها مجهولة لدينا ، ومع ذلك نحاول تحديد بعضهـــا بالآخـــر .

ومن جهة اخرى ، لنا عن « الان » صورة غامضة ، لانه يدل على «شيء» موهوم بين ماض انتهى، ومستقبل لم يحصل بعد . ثـم ان الزمان لا يقف لتثبـت اقـدام ومعالم « الحين » و « الان » ، انه تعالي .

فهل نستنتج من هذا ان الزمان غير موجود ؟

انجعل لفظة « زمان » مرادفة لـ « عدم » ؟

طبعا لا. ان الزمان موجود وجودا نحسه ونحياه . اننا نتحرك ، والحركة تقتضي الزمان ، ولنا ذاكـرة ، والتذكير يثبت « ماضينا » ، ولنا مخيلة ، والتخيـل يفترض انماطا : الزمان **الحاضر** (حاضر العملية) **والماضي** الذي يأوي اليـه التخيـل ليقتبس اطـرا للانطلاقات التصورية وللمقارنات ، **والمستقبل** الـذي تريده المخيلة مأوى للمشاريع المتخيلة .

فوجود الزمان ، وجود لاصق بوجودنا ، ولا يقبل العد والكم الا بعد أن نحياه . انه لحمة التاريخ ، ولكن لا تاريخ بدون **تاريخ** حي ، صار ، أو يصير (1) .

* * *

ب ـ الوحـــــي :

ذلك فيما يتصل بالتعالي ، اما فيما يخص الوحي ، فباستطاعة المتكلمين أن يجيبوا هكذا : اذا اخذنا الوحي في المعنى الذي نجده بالقرآن ، اصبحت المسألة اقـل اشكالا . هـدف الوحـي هو ان يرشـد الى الصراط المستقيم : « **فمن اتبع هداي فلا خوف عليهم ولا هـم يحزنون** » (2 : 37) . فالوحي ، في اساسه ، هداية وتوجيه ، وبهاته الصفة يعين الشخص على ان يتحقق، أخلاقيا وروحيا ، ويتفتح داخل عالم حيث الله يدبـر النظام ، ويهيمن على أسراره . ذلك أن سير الكـون ومصير الانسان لا يضعان لنا مشاكل محيرة ومقلقـة فحسب ، بل يلجان بنا عوالم الغموض والعماء . وامـا هذا الوضع ، يتجلى دور الوحي في ان يغمر المؤمنيـن باطمئنان ميتافيزيقي ، وان يمنحهم الامل ، فيجعلهـم يتقبلون بالحياة الروحية على التمرد والعبث .

لا غرو أن الانبياء المكلفين بتبليغ الوحي ليسـوا سوى مرشدين ، بالنسبة لمجموع الاخرين الذين هـم انداد لهم (اونطولوجيا) واخوانهم (انسـانيا) . لكـن ميزة الانبياء المرسلين الكبرى هي صلابتهم في الدفـاع عن الحق والخير ، بـ « الدعوة » المستديمة ، وبالسلوك اليومي ، في كل عمل : انهم هداة يجعلون من حياتهـم نموذجا قويا يحمل معه شهادته على نفسـه :

« وجعلناهـم (الانبياء) ائمـة يهدون بامرنـا ، وأوحينا اليهم فعل الخيرات ، واقام الصلاة ، وايتـاء

---

1) انظر الفرق بين تاريخ ، وتاريخ ، في م . ف .

الزكاة . وكانوا لنا عابدين » (21 : 73) .

ان لفظة « عبادة » ، الواردة في هذه الآية ، لا تنحصر في القيام بالشعائر الدينية ، وبترتيل سور من القرآن . فعبادة الله تكون ، ايضا ، عن طريق الشغل ، كما يؤكد الحديث : « الخدمة على العيال عبادة » . ول « عيال » ، معنى ضيق ، وآخر يدل على مجموع الانسانية ، كما يتضح ذلك في حديث آخر : « الخلق كلهم عيال الله ، واحبهم الى الله انفعهم لعياله » (1) . ويعد « عبادة » ، كذلك ، احترام القيم الاخلاقية والروحية ، على اختلاف المستويات . فالذي يعمل جاهدا على انفتاح شخصيته ، اكثر واحسن ما يمكن من الفتح ، يعبد الله لانه يصون رائعة من الروائع التي ابدعها تعالى : الانسان . فالشخص ، عند ما يؤنسن ذاته ويؤنسن ما يحيط بها ، يرمي الى تحقيق الكمال والتعالي ، ليجعل من العالم شيئا جميلا ، و « الله جميل يحب الجمال » . فالمخلوقات الجميلة (أي التي تنزع الى اكتمال الحسن) تشهد لمبدعها بالقدرة والروعة . ان الوحي يسهل السير في المشى الموصل الى هذا النوع من العبادة ، كما يدلنا على الانواع الاخرى ، العفوي منها والمقنن . فالكون بمجموعه ، مجال لا محدود لآيات الله : الصخرة ، وينبوع الماء ، والشجرة ، والنجمة ، والنملة ، والفكرة الناضجة ، كلها من آيات الله : « **يسبح له ما في السماوات السبع والارض ، ومن فيهن . وان من شيء الا يسبح بحمده** » (17 : 44) (2) .

* * *

الاعتراض الممكن توجيهه هنا ، هو ان **هــذا لا يماشي المعطيات « العلمية » ولا يعتمد على اي منهج « علمــي »** .

يجوز للمتكلمين ان يسالوا بصدد الاعتراض السابــق :

أيكفي لصنف من اصناف العلوم أن يصل الى حد كبير من الدقة والتطور ، ليفرض طرقه ، في البحث على الميادين الاخرى ، وينتصب رائدا ومعيارا ؟

فاذا كان لنوعين من المعرفة موضوعان مختلفان ، لزم ان تتوفر كلاهما على منهج مغايــر ، بالضــرورة ، لمنهج الاخرى ، مهما بلغت درجة تطور هذه او تلــك . فنمو منهج ما لا يعطى كمعيار خارج ميدانه .

ــ يتبــع ــ

الرباط : محمد عزيز الحبابي

---

1) يؤكد هذا رسول الاسلام ، مرات ومرات ، كما في قوله : « الناس كأسنان المشط ... » انظر المرشد في الدين الاسلامي ، ج 4 ، ص 22 .

2) انظــر كذلك ، 24 : 41 ــ 59 : او 24 ــ 61 : 1.

العَلَم والشّعار في الجاهلية والإسلام

للأستاذ إحسان النمر

تعاريـــف

الشعار هو الصبغة او الشارة التي يتفق عليها القوم او الفريق ليعرفوا بعضهم بها . واللواء من اللوى لانه يلوى لكبره وهو الكبير المستطيل ، والراية هـي المربعة التي تنشر ولا تلوى ، والمتفـق عليه انـه دون اللواء ، اما العلم فهو الاصطلاح الاخير الشامـل للواء والرايـــة .

قيمـة الشعـار والعلـم

وللشعار وما يتصل به من الوية ورايات واعـلام قيمة كبيرة ، كان يتوقف عليها النصر ، وقد ورد في كتب السيرة : ان ابا سفيان يوم احد قال يحمس بنـي عبد الدار : « يا بني عبد الدار انكم وليتم لواءنا يـوم بدر فاصابنا ما قد رايتم ، وانما يوتى الناس من قبـل راياتهم اذا زالوا زالت ، فاما ان تكفونا لواءنـا واما ان تخلوا بيننا وبينه فـستكفيكموه » . فهموا به وتواعدوه، فقالوا له بعنف : « نحن نـسلم اليك لواءنا ، ستعلم غدا اذا التقينا كيف نصنع » . وقد قتل منهم ثلاثة عشر رجلا دون اللواء .

وجاء في تاريخ الوزير العثماني جودت باشا نقلا عن تاريخ المؤرخ العثماني واصف افندي : « اذا اجتمع قوم تحت لواء واحد يحصل بينهم الاتحاد ، بمعنى ان هذا اللواء يكون علامة على اجتماع كلمتهم ودلالة على اتحاد قلوبهم فيكونون كالجسد الواحد ، ويالف بعضهم بعضا اشد من ائتلاف ذوي الارحـام ، واذا كانـوا في معركة القتال لا ييأسـون من الظفـر ما دام لواؤهـم منشورا ، بل تقوى همتهم ويشتد عزمهم ، فاذا سقط لواؤهم اخذوا من جانب الوهم وباتوا موضوعا للخوف والرهبة فينهزم بعضهم ويتبدد البعض الاخر بخلاف ما اذا كان علمهم مرفوعا خافقا مزدهيـا ، تبتهج بـه نفوسهم فتاخذهم نشأة الفرح والبسالة وتتسلط على اعدائهم هزة الرعب فتاخذ بمجامع قلوبهم . وكمـا ان الموسيقى العسكرية تنعش ارواحهـم وتحثهـم على الاقدام والشجاعة كذلك مناظر الالوية وتموجها ، فانها تحدث فيهم دواعي الغيرة وتجلب لاعدائهم الدهشـة والفتـــور » .

بعض مواقف الفداء دون اللواء وأثر ذلك :

في يوم الكلاب الثاني بين مذحج وتميم حملـت تميم على مذحج حملة صادقة ، فانهزم وعلة بن عبد الله صاحب لوائهم ، فتتابعت عليهم الهزائم .

ويوم الفجار الثاني قتل تحت راية بنـي الحارث ابن عبد مناف بن كنانة ، مائة رجل ، وهم صابرون،فكان ذلك سبب ظفر كنانة وقريش على قيس فانهزمت .

ويوم أحد توالى القتل في بني عبد الدار فقتـل دونـه ثـلاثـة عشـر ، آخرهـم غـلام حبشـي فقاتل حتى قطعت يداه ثم برك عليه فاخذ اللواء بصدره وعنقه حتى قتل وهو يقول : اللهم هل اعذرت ، ثم انهم

تركوا اللواء مطروحا حتى اخذته عمرة بنت علقمة الحارثية فلاذت به قريش فعيرهم بذلك حسان بن ثابت حيث قال :

فلولا لواء الحارثية اصبحوا
يباعون في الاسواق بيع الجلائب

ويوم القادسية قتل تحت لواء فارس العظيم عشرة آلاف فارس ، ويوم مؤته قتل القواد الثلاثة وهم: زيد بن حارثة ، وجعفر بن ابي طالب ، وعبد الله بن ابي رواحة ، ثم انفرط الجيش الى ان لم خالد شعثه وكانوا يعتزون باللواء ويحيطون به حتى يعودون منتصرين ، وفي ذلك يقول عمرو بن الاحوط :

ورحنا تخفق الرايات فينا
وابناء والملوك لهم احاح (1)

سلطة أصحاب اللواء :

ويتسلط اصحاب اللواء اذ يكون عليهم المعول ، وقد ورد في الاغاني انه لما كان لواء ربيعة في بكر بن وائل اتخذوا فرخ طائر كانوا يوثقونه بقارعة طريق فلا يجسر احد على ان يسلك من تلك الطريق بل يسلك عن يمينه او عن يساره . ولما صار الى تغلب اتخذوا جروا كان وائل يلقيه في اية بقعة شاء فلا يستطيع احد ان يرعى فيها او يسقي ابله الا باذنه ، فلقب وائل به اي كليب ، ولما انتقل الى النمر بن قاسط ظل رئيسهم عامر بن سعد لا يخرج للقضاء بين الناس الا في الضحى فلقبوه بالضحيان .

وقد حرص بنو عبد الدار على بقاء اللواء فيهم فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الفتح ابقاء اللواء فيهم ، فقال لهم : « الاسلام أوسع من ذلك » . وهذا دليل بعد نظره صلى الله عليه وسلم .

اللون الابيض هو الاصل :

كان لواء دول اليمن وقبائلها (ومنهم الاوس والخزرج) ابيض ، فأيد ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالمتفق عليه في كتب السيرة والتواريخ الاسلامية ان الويته في السرايا والغزوات بيضاء، اما قول اليعقوبي ان اللواء يوم خيبر كان اسود ، فقد رفض كأقواله الكثيرة التي خالف بها المؤرخون . وظل لواء الراشدين والامويين ابيض .

(1) احاح : حقد .

العلم النبوي في القسطنطينية ومصر :

وتناقل الخلفاء لواء الرسول صلى الله عليه وسلم فكانوا يرهبون به من يخرج عليهم وقد استغله سلاطين آل عثمان في المواقف الحرجة ضد الاتكشارية فأبادوهم به حين تمردوا . وهزموا به الاستعمار في الحرب العالمية الاولى .

وظهر في مصر علم ادعي انه العلم النبوي استغلوه ضد المماليك وضد الفرنسيين الا ان الاستاذ أحمد تيمور لم يؤكد انه لواء الرسول صلى الله عليه وسلم ، قال في رسالته عن الاثار النبوية : « والظاهر أن بعض قادتهم اختلق لهم ذلك ليزيد في تحمسهم فاعتقدوه . »

اللون الاحمر للتحدي :

كان امراء كندة يحكمون العدنانيين فظلموهم فثاروا عليهم كما هو معلوم وقتلوهم وغمسوا رايتهم البيضاء بالدم واتخذوا اللون الاحمر شعارا لهم يتحدون اليمنيين حيث قال شاعرهم :

وتبكم كبيرا قد سلبنا
ذخائره وكنا الحاكمينا

قتلناه ومن دمه صبغنا
على راياتنا علما مبينا

وقال عمرو بن كلثوم في معلقته :

ابا هند فلا تعجل علينا
وانظرنا نخبرك اليقينا

بانا نورد الرايات بيضا
ونصدرهن حمرا قد روينا

واتخذ العدنانيون الشعار الاحمر للسروج واللباس وخمر النساء والرايات والالوية تحديا ، وكذا جعلوا في عمائمهم شريطا احمر ، وكون الشعار الاحمر كان للتحدي ، فقد حرمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يرد ذكر لواء راية أو لباس احمر صدر الاسلام ، كما نص على ذلك الغزالي في الاحياء . واستعملت مضر وربيعة الشعار الاصفر والاسود والمختلط .

ولما أحيا الاميون الروح القبلية عاد الشعار الاحمر واستمر الى عهد قريب ، وقد عرف الفريقان بالقيس واليمن ، وقد شاهدت العمائم القيسية ذات الشريط الاحمر بعيني وكذلك اليمنية ذات الشريط الاصفر يضعها القرويون في جبال نابلس والقدس والخليل الى عهد قريب . وكانت خمر بنات القيس حمرا وبنات اليمن بيضا ، وكن يطرحنها تحت سنابك خيل اميرهن اذا زار الديرة واذا فاز على معتد غريب طرحت تحت سنابك خيله الخمر البيض والحمر . وانقسم المماليك الى شعارين : ابيض واحمر .

اما الراية العثمانية التي اظلت بلاد العرب فانما اتخذت بعد معركة قصوة حيث ظهرت صورة القمر في بركة الدم وامام القمر نجمة فقرروا اتخاذ علمهم على هذه الصورة : احمر عليه هلال ونجمة خماسية .

اللون الاسود :

يظهر ان الحمس (1) اتخذوا اللون الاسود شعارا لهم للعداء القائم بينهم وبين قيس . وقد كانت راية هوازن يوم حنين سوداء فارجح (2) ان لواء قريش كان أسود اسمه العقاب ، وقد ثبت انه كان للرسول راية سوداء اسمها العقاب ، وكان للمهاجرين في مقابلة اللواء الابيض للانصار .

أما سوى هذا فقد ثبت ان الشعار الاسود هو للثارات ، فقد ثبت في ايام العرب ان امرأ القيس خرج على وفد بني اسد بعمامة سوداء، وقد جعل الهاشميون شعارهم السواد ، وقد سموا السودة للثأر من الامويين ، ولم يكن للحزن كما ظن بعض المؤرخين .

وظل السواد شعار العباسيين الى ان انقرضت خلافتهم فقد ذكر المؤرخون ان المتوكل على الله لما خرج مع قونصوه الغوري كان عليه قباء أسود مطرزا .

اللون الاخضر :

لما ثار الطالبيون ضد العباسيين اتخذوا الشعار الاخضر تيمنا بكتيبة الرسول صلى الله عليه وسلم يوم الفتح .

واصبحت العمامة الخضراء خاصة بهم والتحرى عنها من وظائف نقيبهم . الا ان أصحاب الطريقة الرفاعية أ خيرا اربكوهم لان الشيخ احمد الرفاعي حسيني ، وصار هو يعطي اتباعه ترخيصا بوضع العمامة الخضراء ويلحقهم بنسبه ، وهكذا سار الامر — على قاعدة المحسوب كالمنسوب — فاختلط الامر . وكذا الدولة العثمانية عممت الشرف وامتيازاته لنسل الصحابة الكرام حتى عينت منهم نقباء أشراف ، فزاد الامر ارتباكا . وزورت أنساب كثيرة عن هذا الطريق للحصول على الاعفاء من الجندية والضرائب والتوقيف في دار نقيب الاشراف بدلا من السجن ، وهي امتيازات الاشراف في العهد العثماني .

اللون الاصفر :

ثبت في كتب السيرة ان الرسول صلى الله عليه وسلم اتخذ راية صفراء الى جانب السوداء ، وان راية أبي عبيدة يوم اليرموك كانت صفراء ، وان الايوبيين كانت رايتهم صفرا ، وعمائم اليمنيين صفرا . قال أبو تمام :

مصفرة محمرة فكأنها
عصب تيمن في الوغى وتمضر

الاتفاق والاختلاف في الشارات :

لم اقف على الشارات التي كان يتخذها العرب في الجاهلية ولم تكن الالوان مستمرة ، فقد كانت القبائل تبدل وتغير . اما في الاسلام ، فجميع الالوية والرايات كانت تحمل الشهادتين ، وزاد أهل السنة أسماء الخلفاء الراشدين على الزوايا الاربعة .

وقد اتخذ الظاهر بيبرس صورة الاسد واتخذ من بعده غيرها واستعمل العثمانيون الهلال والنجمة والطغراء ، فاهملت كتابة الشهادتين . واصبحت اعلام الخلفاء للمنابر والطرق الصوفية . قال الوزير جودت باشا العثماني في تاريخه : « ولما تغلب بعض الامراء والسلاطين على الخلفاء وتحكموا استكفوا عن استعمال تلك الالوية ووضعوا على الويتهم وسناجقهم كرة

1) الحمس وهم الذين كانوا يتحمسون ويتشددون للدين وهم قريش وأحلافهم .
2) لم أجد في الكتب شيئا عن لواء قريش وقد كلفت جهات مهمة لبحث ذلك ، فلم يجدوا ، ولهذا رجحت استنتاجا .

مذهبة تشبه فلكة المغزل ، واقاموا على الالوية الكبيرة صفائح مذهبة منقوشة بالاشعار وزينوها بألوان سود وميناء منقوشة . وهذه الالوية والرايات ذات الهلال الاسود والاخضر التي كانت في القديم مخصوصة بالخلفاء ، قد انتقلت الى مشايخ الطرق الصوفية والى الجوامع والتكايا ، وكانت تنشر أمام جنائز الاكابر وترفع في ايام عاشوراء وما ماثلها من الايام المشهورة . ولا غرو فان هذه عادة الدنيا في اهلها ، فانه متى انقضت ايام دولة او امارة منها اهملت رسومها وآثارها ، وما كان دليلا على شهرتها وطرحت في زوايا النسيان » .

اتخاذ الهلال رمزا للاسلام :

ثبت في كتب السيرة عامة ان لواء النبي صلى الله عليه وسلم كان على راسه هلال بوسطه شكل شمس . وقد وضع الهلال على رؤوس المآذن وقباب المساجد لتعيين جهة القبلة .

واستعمل الهلال على مظلة الخليفة الفاطمي ، وفي قلبه ثلاث كواكب .

اما الهلال العثماني فانما وضع على قلب الراية الحمراء وبوسطه نجمة خماسية كما قرر السلطان مراد الاول الذي شاهد الهلال في بركة الدم بعد ظفره على الصليبيين في معركة قوصوة . واصبح الهلال على الرايات والاعلام في بلاد الاسلام يقف بوجه الصليب واصبح يقال الصليب والهلال .

جمعية الهلال الاحمر :

أسس المسيو دونان السويسري جمعية اسعاف باسم الصليب الاحمر سنة 1859 بعد معركة كزينو ، ولم تكن تعنى بجرحى المسلمين .

ففي سنة 1910 اثناء الحرب العثمانية الايطالية في ليبيا تأسست جمعية الهلال الاحمر في مصر لاسعاف جرحى المسلمين ، قام بتأسيسها الامير محمد علي توفيق المصري ، والدكتور سليم الموصلي باشا ، والدكتور علي ابراهيم ، والدكتور محجوب ثابت . ثم عمت واصبحت تقف الى جانب جمعية الصليب الاحمر . وقد قامت وتقوم بأعمال جليلة .

العلم في العصر الحاضر :

لما تغيرت أصول الحرب واصبحت في الخنادق لم يعد للاعلام مفعولها الماضي ، على ان قدسية العلم باقية بأساليب سلمية ، فهي ترفرف على دور الحكومة والجيوش ، ويطلق على الجندية خدمة العلم . وتحيي العلم كل صباح ومساء حين رفعه وانزاله .

وها هي اعلام الدول العربية متباينة بينها فروق نرجو ان تزول فتتوحد الراية بحيث لا تبعد عن شكلها الاول .

نابلس ــ الاردن : احسان النمر



كثيرا ما تقترن اسماء الشعراء بلقب (المبدع) على افواه الناس ، وفي بطون الكتب ، واعمدة الصحف فنأخذ الكلمة مأخذا هينا ، دون أن نكلف انفسنا مشقة البحث عن سر هذا الابداع وشرائطه ، شأننا في التعامل مع اكثر الكلمات شيوعا على السنتنا ، وجريا مع اقلامنا ، وتهويما عبر خواطرنا . فهل لنا ان نقف وقفة قصيرة عند هذا الذي نسميه (ابداعا شعريا) فنجس نبضه ، لنرى مدى انطباقه على الصورة التي ارتسمت له في مخيلاتنا بحكم العادة والالف ؟ ذلك ما سيحاوله هذا المقال المتواضع ، ومن غير ادعاء للكلمة الفصل ، فانما هي محاولة تهدف الى اعطاء وجهة نظر لا أقل ولا اكثر .

وبادىء ذي بدء ، اود ان انبه الى ان جميع الشعراء ، على تفاوتهم سموا وانحطاطا ، يعتقدون انهم مبدعون ، يسحرون الناس ويفتنونهم عما حولهم بكلماتهم التي يجتهدون لجعلها مشعة نابضة . ولو ان شاعرا اعتقد يوما أنه خلو من الابداع ، عاجز كل العجز عن تقديم شيء طريف للناس ، لكف عن صياغة الشعر ، طاويا صحفه ، محطما اقلامه الى الابد . ذلك انه قد استقر في خلده ان المبرر الوحيد لوجوده كشاعر ، هو قدرته على اتحاف قرائه بشيء غير معهود لديهم ، بحيث يبهرهم وينتزع اعجابهم . فالشعر والابداع عنده صنوان ، لا يمكن ان ينفصل احدهما عن الآخر ، بقطع النظر عن كون الشاعر مستطيعا فعلا ان يكون مبدعا في شعره اولا .

فمن اين صدرت هذه الفكرة ، وكيف اتخذت سبيلها الى الشعراء لتكون من محاور تفكيرهم عندما ينتجون الشعر ؟ أحسب ان المصدر الرئيسي لهذه الفكرة المغرية هو المعاني والايحاءات التي احاطت بكلمة (شاعر) في ذاكرة السنين ، وعبر العصور والاجيال . فالشاعر هو ذلك الانسان المثالي ، الكائن الممتاز ، والساحر العجيب ، الذي تلهمه الآلهة ، وتوسوس له الشياطين ، وتوحي اليه الجن ، عالمه هو عالم السمو والاشراق والسحر والعرائس والملائكة والآلهة ، مع ما يقترن بها من معاني الغرابة والغموض والاسرار ، وبالرغم من أن تقدم الدراسات العلمية وضع الشاعر في في مكانه المحدد الواضح ، واماط اللثام عن ملكاته الخاصة ، التي هي سر قدرته الفنية ، فان تلك المعاني القديمة لم تفارق كلمة (شاعر) الى اليوم، والى ما شاء الله ، ذلك لانها من الآثار التي علقت بذاكرة الانسان ، من كثرة ما اندست في تضاعيف كلمات الشعراء ، واحاطت بمفهوم الشعر عند الشعوب . فنحن قد ورثنا كل ذلك فيما ورثناه عن الشعوب الغابرة من الوان القصيد ، وفنون البيان ، وهيهات ان يفارق ذاكرتنا ، لكوننا من صنع الماضي ، وأثرا من آثاره الحية الباقية . ولهذا فانت لا تعدم أن تجد من شعراء العصر من يكثر من ترديد كلمات (الهة الشعر) و (ربة الشعر) و(شيطان الشعر) فكأنه يأبى أن يجعل لشعره مصدرا آخر غير تلك الآلهة

التي توجه اليها الشاعر القديم ، لتوحي اليه روائع الكلم .

والمصدر الثاني لفكرة الابداع ، ما احاطت الانسانية به شعراءها من مظاهر التكريم والاجلال والقداسة ، وما بوأتهم من مقام رفيع ، حتى انها رفعتهم احيانا الى مستوى الزعامة ، واعتبرتهم لسانها الناطق ، وآيتها الخالدة ، واتخذت من اشعارهم نشيدا حلوا تردده في المحافل والمواسم ، فكان من جراء ذلك ان استقر في نفسية الشعوب ان الشعراء رمز كل ما هو طريف وسامي وبديع من المعاني التي تخطر بالبال ، والخواطر التي تجوس خلال الصدور ، وكأنما حمل ذلك الشعراء على توالي العصور ، على ان يحتفظوا بتلك المكانة التي تبوأها اسلافهم ، مطالبين معاصريهم بأن يحيطوها دائما بصيانتهم .

وربما كان هناك مصدر آخر للفكرة ، وهو الحاح النقاد في مختلف العهود على الشعراء ليكونوا مبدعين في كل طرائفهم ومحاور كلامهم ، الى جانب قسوتهم على ذلك الشاعر الذي يخيب املهم فيه . وللنقد سلطان على اهل الفن ، يؤثر في الوان نشاطهم ، ويوحي اليهم بالمثل الفنية العليا التي يجب ان يسموا وراءها . فهل لنا ان نرى ان بحث النقاد عن عنصر الابداع في شعر الشعراء كان احد الاسباب في اقتران الشعر بالابداع بالنسبة لكل شاعر ؟ اغلب الظن أن هذا صحيح ، ما لم يقم دليل على بطلانه .

هو وهم اذن يلازم الشعراء ، ولكنه وهم يكون قوة دافعة لهم ، ليقدموا للناس أحسن ما عندهم . فاذا صادف هذا الوهم عند شاعر ما شاعرية من النوع الممتاز ، صنع الاعاجيب ، وأتى بالآيات . ومن الاوهام ما يتفوق على الحقيقة ، من حيث الهام الانسان ودفعه الى الاقتحام والاجتراء ، فتوهم الغبي انه ذكي قد يحدث تطورا في أسلوب تفكيره ، وتوهم الشعب الضعيف أنه شعب قوي قد يحدث انقلابا في اوضاعه العامة ، وتوهم المريض انه سائر الى الشفاء قد يجدي فيه من حيث يعجز الطب ، وهكذا . بل ما لنا لا نتجاوز هذه البديهية الى بديهية اخرى ، وهي ان هذا الوهم الشعري — اي وهم — هو لب الحقيقة بالنسبة الى الشاعر ، اليس حقيقة ماثلة في نفسه ، مستولية على فكره ، مؤثرة في عمله ؟ وهل نريد حقيقة شعرية اشد حيوية من هذه ؟ فكل حقائق الشعراء ان هي الا شعورية لا تقاس بمقاييس الفكر المجرد ، وانما تقاس بملابساتها النفسية التي تصاحبها . فاحساس الشاعر هو حقيقته التي يجب الا توضع في غير اطارها . وليس من الضروري ان يكون فن الشاعر مطابقا لاعتقاده في نفسه . فتوهم الابداع اذا صادف امكانيات ذاتية ممتازة نفذ الى العمل الشعري ليكون منه شيئا رائعا ، واذا اعوزته ظل وهما جميلا يدغدغ حلم الشاعر ويغفو احساسه الفني ، منتظرا العوامل المساعدة من تفتح في الطاقة الشعرية ، الى سيطرة على الاداة اللغوية ، ليحدث آثاره السحرية العجيبة .

فهل نفسد على الشاعر حلمه الجميل ، عندما نذهب نشرح له حقيقة الابداع الشعري ، ونجعله امام حقيقته وجها لوجه ؟ هل لنا أن نتمسك بالحقيقة كما نراها بوصفنا نقادا للشعر ، في مواجهة حقيقته هو بوصفه شاعرا ؟ وهل من لقاء بين الحقيقة في مفهومها الاول ، وبينها في مفهومها الثاني ؟ اما عن الاولى فقد توالت الدراسات الشعرية حول الشعر ومفهومه وفلسفته وقضاياه ، من غير أن يحول ذلك دون توهم الشاعر — اي شاعر — ان فنه يتوفر على عنصر الابداع ، ومن اوهام النفس ما يبقى دائما راسخا لانه جزء من طبيعتها ، واما عن الثانية فللنقد معاييره التي لا يمكننا التنازل عنها ، لانها مستمدة من نصوص الشعر نفسها ، وبرهنت تطبيقاتها على صلاحيتها . واما عن الثالثة فحقيقة النقد ان هي الا امتداد للحقائق الشعرية كما هي ماثلة في نصوص الشعر ، او كما هي ماثلة في اذهان الشعراء واخيلتهم ، ولكن النقد يتناولها في صورتها العقلية التي لا تناقض صورتها الشعورية ، وانما تحاول ان تضع لها ابعادا مفهومة ، وان تستمد منها (فكرة) يمكن الاطمئنان اليها ، ليكون للشاعر جانبه الشعوري العاطفي بالنسبة الى الشعر والشاعر ، وجانبه الفكري بالنسبة الى الناقد ، مع شدة الاتصال بين وجهه الاول ووجهه الثاني . وعلى هذا فالنقد لا يحاول ان ينتزع من الشاعر توهمه انه مبدع ، لان ذلك ليس من مصلحة الشعر ولا من مهمة النقد ، وانما يحاول ان يفهمه ويدرسه ويضع له اطارا من البحث المنظم ، حتى يكون الشاعر على بصيرة من بعض خواطره الابداعية المبهمة ، وباختصار فالناقد يريد ان يساعد الشاعر على معرفة نفسه ، وتحديد امكانياته ، واذن لا تناقض بين الحقيقة قائمة في احساس الشاعر وفنه ، وبينها ماثلة في نصوص النقد .

والآن نريد أن نخلص من هذه الفذلكة فنضع هذا لاسؤال الصريح : ما الابداع الشعري ؟ ها هنا تواجهنا نظريات علم النفس التحليلي بتعقيداتها وتجريدها وجفافها ، ولكننا لا نريد في هذا الصدد أن نكتب فصلا في علم النفس ، وانما نريد فقط أن نبقى في محيط الدراسات الادبية ، هذه التي لا تهمل نتائج علم النفس اهمالا كليا ، ولكنها أيضا لا ترتمي في احضانها لتستخدم مصطلحاتها وطرقها الجافة القاتمة، والا تجافت عن أن تكون أدبا يقرأه الناس ليجدوا فيه ما يغذي عقولهم ويمتع نفوسهم في مزيج عجيب

ونبدأ بنفي المعاني الخاطئة التي تحيط بالابداع الشعري ، قبل الاقدام على وضع تعريف اراه صحيحا لا لبس فيه .

فمن النقاد من يعرف الابداع بأنه مجرد انعكاس الشخصية على الفن ، فاذا وفق الشاعر الى ايداع ما له من خصائص الذوق والشعور والفكر في كلماته ، فقد حقق لشعره ما يسمى ابداعا شعريا ، وهذا يكون صحيحا لو ان جميع الشعراء كانوا يحملون سر الابداع في تكوينهم الذاتي ، اما وفيهم من لا يرقى في احساسه الفني عن عامة الناس الا قليلا ، فهو عندما يعكس ذاته على شعره ، لا يقوى على أن يكون مبدعا ، ذلك ان تكوينه الذاتي نفسه ، لا يحمل كثيرا من اسباب التفرد والامتياز ، فأغلب مشاعره مشاعر عامة ، لا عمق فيها ولا سمو . قد يعترض على هذا الكلام بأن كل شخص يوجد في هذه الحياة يعتبر نسخة فريدة من نوعها ، لا تطابقها اية نسخة أخرى ، وهذا صحيح لا غبار عليه ، ولكن هذا لا ينافي كون نسبة المشاعر الفذة الى المشاعر الشائعة قد تكون ضئيلة ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فاختصاص الفرد بنوع من المشاعر وما يصاحبها من ملابسات نفسية ، لا يعني دائما انها مشاعر ممتازة مشرقة ، تصل الشاعر بشتى معاني الحياة على رحابتها . ومن جهة ثالثة فالابداع الشعري لا يكمن في مجرد انعكاس الشخصية على الشعر ، بقدر ما يستكن في الطريقة التي استخدمها الشاعر للوصول الى هذا الغرض . وكل صلة بين الشعر وبين شتى المعاني والخواطر ، انما تتحدد قيمتها على ضوء هذا المقياس ، فليس المهم ان يقول لنا الشاعر عن شيء ما انه جميل او قبيح ، وانما المهم قبل كل شيء، اسلوب الاداء الذي صاغ به احساسه بالجمال او القبح . وليس هذا الا مثالا من امثلة عديدة ، يصح أن تكون محكا لصدق هذه النظرية .

وليس الابداع الشعري هو الاغراب والترفع عن الوضوح ، لجعل قارىء الشعر أو سامعه تائها لا يعرف له رأسا من قدم ، فمن الإبداع ما يكون في نصوص شعرية واضحة ، مع احاطتها بظلال الفن التي تبتعد بها عن الابتذال ، وتهبها القدرة على الايحاء . والاغراب اذا كان يقصد لذاته ، ولا يجيء انعكاسا لحالة نفسية معينة ، يمجه الذوق ، ويحول دون اداء النص الشعري لمهمته ، وهي الوصول الى نفس المتلقي ، لاحداث الاثر المطلوب ، واثارة الاستجابة المرجوة .

وليس الابداع الشعري هو ان يتعمد الشاعر مخالفة الناس فيما يحبون وما يكرهون ، فاذا شرقوا غرب ، واذا غربوا شرق ، اذا احبوا شيئا تحامل عليه ، والعكس بالعكس ، دون ان يكون ذلك صادرا عن الطبيعة الذاتية للشاعر ، ممثلا لها اصدق تمثيل. كما أنه ليس تمويها ومغالطة وقلبا للحقائق وخروجا عن طبائع الاشياء ، ولا كلفا بتراقص الكلمات ، وتناغم العبارات ، كغرض اساسي يحشد له الشاعر جميع قواه الفنية ويقفها عليه .

وهو ليس مفاجأة الناس بفكرة لم تخطر لهم على بال ، أو احداث شيء من عدم ، اذ كل المعاني وانماط القول قديمة ، تعاد على مسامع الناس بطريقة أو بأخرى ، ويتولد بعضها عن بعض ، فلا نعدم أن نجد بينها اواصر قرابة ، لانحدارها من أصول واحدة تقريبا .

يجب الا نصور (الابداع) في شكل مهول ، حتى لا تذهب بنا الظنون بعيدا ، فنتصوره شيئا يكاد يكون مستحيلا تحقيقه الا بالنسبة لافراد قلائل يظهرون على رأس كل حقبة من السنين ، كما يجب الا ننزل به الى مستوى العاديات ، فنتخيل ان في مقدور كل من استخدم فن الكلمة ان يكون شاعرا مبدعا ، فالموقف الاول يقترن فيه الابداع بالكمال الفني ، ولو تصورنا الابداع كمالا ، لكنا متجنين على جمهرة كبيرة من الشعراء ، ولنصبنا الابداع هدفا تتضح دونه الاعناق . واما الموقف الثاني ففيه ابتذال لفن القول ، وسوء فهم لحقيقة الابداع الشعري ، اذ لو عمم على اكثرية الشعراء ، وظن بهم انهم مبدعون لفقد الابداع معناه ، لانه كسائر الاشياء النفيسة التي لا تتيسر لمجموع الاشياء العادية ، التي لا تستوقف احدا ، ولا تتوفر على مزية . فأقرب الى الصواب ان نتصور الابداع الشعري امرا يمكن تحققه بالنسبة لكل شاعر يملك شاعرية قوية ما دام الابداع في مفهومه البسيط ، صياغة فنية حية ، لعواطف وسوانح

متميزة خصبة . ولو انك اخذت هذا التعريف البسيط بالتحليل ، لوجدته يتكون من عناصر ، ليس فيها ما يدعو الى اعتبار الابداع كمالا او شيئا يشبه الكمال . فهو اولا صياغة تتركب من مادة هي الالفاظ والالفاظ مادة مشتركة موجودة ومستعملة ؛ فليس من داع الى خلق الفاظ جديدة ليتحقق الابداع ؛ وانما على الشاعر ان يعيد ترتيب تلك الالفاظ القديمة من جديد ، وعلى نحو خاص ، فيه حيوية واشراق . وهو — اي الابداع — عواطف وسوانح خصبة متميزة ، وهذه ملك كل من يتوفر على احساس قوي بمؤثرات الحياة الخارجية مادية ومعنوية ؛ مع طبيعة فنية تتلقى تلك المؤثرات ، لتحولها الى رصيد فني ، وما اكثر الناس الذين يهتزون للحياة من حولهم بهذا العمق ، فلا يمتاز الشاعر عليهم الا بكونه قادرا على أن يستفيد من الاستجابة لصالح الفن الذي يزاوله .

واذا كنا قد عرفنا الابداع في الشعر بأنه صياغة .. الخ. فنحن لا نقصد التركيز على الصياغة باعتبارها ابرز مقومات العمل الشعري الناجح ، بقدر ما نقصد الى شيء آخر ، وهو هذا الابداع لا يمكن تصوره معنى مجردا قائما في نفس الشاعر ، طالما كان (عملا) متمثلا في نص موضوع بين يدي القارىء ، او في متناول السامع . فلا معنى للابداع الشعري الا ممثلا في قالب من التعبير . ولا معنى لقولنا عن فلان : أنه شاعر مبدع ، الا بالنسبة لاعماله الشعرية التي تحققت فيها هذه الصفة . اما أن يعتبر (مبدعا) على الاطلاق ، فانا ارى ان في هذا نوعا من المجازفة والتساهل في اطلاق الالقاب الشعرية . اذ ليس الابداع في حقيقته مجرد صفة قائمة في الشخص ، وانما هو هذه النصوص الرائعة التي يضعها الشاعر بين أيدينا ، ونقراها فتبهرنا بالبابنا ، مع موافقتها للشروط التي وضعها كبار النقاد للعمل الشعري الممتاز . ولو اعتبر الابداع مجرد صفة ذاتية ، لكان معنى هذا ان من اتصف بهذه الصفة يكون مبدعا في كل ما صدر عنه من انتاج شعري . وهي نتيجة غير واقعية ، فانتاج كل شاعر لابد أن يكون متفاوتا قوة وضعفا ، تبعا للحظات الشعرية ، وتبعا لاختلاف الموضوعات التي يتناولها الشاعر ، والتي لابد ان يكون مستعدا للبراعة في بعضها دون البعض الآخر ، قياسا الى نوع الموهبة التي يتمتع بها .

ولفظ (الابداع) نفسه يتضمن معنى (الفعل) لان مؤداه : خلق او كون ، او انشىء ، او ابتكر ، وكلها معاني متصلة بعمل يتخذ حيزا من مكان ، ويشغل قطعة من زمان ، وحتى عند ما نقول عن شاعر ما انه مبدع ، فنحن في الحقيقة لا نتصور فيه صفة الابداع الا مقترنة بالنصوص الشعرية التي ظهرت فيها هذه الصفة ، بدليل ان كلمة (مبدع) لا تأتي غالبا الا بعد كلمة (شاعر) او (اديب) او (فنان) أو ما شاكل ذلك ، نظرا للتلازم الكائن بين الكلمة وبين العمل الفني المرتبط بها . واذن فوصف الشاعر بانه مبدع ، انما كان من باب التغليب ، أي اننا لما استقر عندنا انه بارع في جل ما صدر عنه من شعر ، او في جزء منه على الاقل ، سحبنا الصفة على اعماله كلها ، باعتبار انها تتكامل فيما بينها ، ويستعير بعضها مميزات البعض الآخر ، طبقا للمثل المعروف : (القرعاء تتباهى بشعر اختها) .

ومن معطيات كلمة (صياغة) ان الابداع ليس شيئا جاهزا عند الشاعر ، يخلعه على النص الشعري بل هو نتيجة علاقات لفظية ومعنوية ، نشأت عند الشروع في استخدام الالفاظ على نحو معين . ارايت الى عملية بزوغ الشمس ، كيف تبدأ خيوطا من نور خفيف ، ثم تاخذ في الارتفاع شيئا فشيئا فتمس الكائنات بضوئها الساطع ، الى ان تستوي في كبد السماء فتغمر الكون كله ؟ كذلك الشأن في عملية الابداع الشعري ، تبدأ خواطر تتردد في صدر الشاعر ثم تتحول الخواطر الى كلمات نابضة ، وكلما تقدم الشاعر في العملية الشعرية اخذت ملامح الابداع تتكون رويدا رويدا ، فلا يكاد الشاعر ينتهي من عمله الفني ، حتى تكون عملية الابداع قد انتهت . واذا كان الامر هكذا ، نتج عن ذلك أن وجود الابداع في عمل شعري ، لا يمكن بحال ان يكون أمرا محتوما عند الشاعر مقدما . اي ان الشاعر لا يعرف قبل الشروع في عملية انتاج الشعر ، ما اذا كان العمل الشعري الذي هو مقبل عليه ، سيكون موسوما بسمة الابداع ، لا لانه يشك في قدرته على الابداع ، وانما لشكه في أن تجد قدرته المبدعة جوا مناسبا وفرصا مواتية لتحقيق الهدف . فهو قد جرب مرارا ان عملية ابداع الشعر محاطة بكثير من العراقيل الداخلية والخارجية ، والتي قد تعترض العملية في طور من أطوارها ، فتحول بينها وبين الانطلاق . أما اذا شرع الشاعر فعلا في تكوين قطعته الشعرية ، ومضى في مراحلها مرحلة مرحلة ، فاذ ذاك يتبين له ما اذا كان لعمله الشعري قيمة ابداعية او لا . معنى ذلك بصريح العبارة أن توفر عنصر الابداع خاضع الى حد ما لعامل المصادفة الذي لا يتنافى مع الصناعة

الشعرية الخاضعة لقوانين وأصول . ذلك ان الابداع في الشعر ، ليس عملا اراديا صرفا ، نظرا لخضوعه لشتى الظروف والمناسبات التي ليس للشاعر سلطان عليها ، بدليل ان الشاعر قد يتوخى الطرافة والابتكار، فلا يوفق الى بعض ما يريد ، بينما يسعى الابداع اليه ، وهو بسبيل عمل شعري آخر ، حتى ليأخذه الدهش بعد الفراغ من عملية الخلق ، ان يكون هو حقا صاحب هذا الجمال الفني الرائع .

ومن المعاني التي تثيرها كلمة (صياغة) في الذهن المتأمل ، ان المادة التي يتكون منها الابداع ، يفرض انها موجودة عند الشاعر ، فكل ما عليه ان يقوم به ، هو ان يأخذ هذه المادة بأسلوب الصياغة ، وتتكشف عن اسرارها المكنونة ، واذا بها تكتسب على وعلى نحو من الانحاء ، فاذا بالمادة تتفجر بين اصابعه يده رونقا وجدة تأخذ بالالباب . وما أرى الا ان كلمة (صياغة) قد نقلت من المعادن الى ميدان الادب والنقد ومن ثم احتفظت بدلالتها الاصلية ، وهي في الاستعمال الفني ، وهي تعني اخذ مادة معدنية معينة ، وصهرها ثم تحويلها الى شكل من الاشكال ، وهذا يعني ان الابداع ليس صادرا عن الشاعر وحده ، ففيه نسبة مائوية تعود الى طبيعة المادة التي يصنع منها الشاعر عمله الشعري ، ولولا قابلية هذه المادة للتكيف ، ولولا العناصر الجمالية الكامنة فيها ، لما كان في وسع الشاعر ان يكون مبدعا ، بدليل اننا عند قراءتنا لقصيدة ما ، قد نمر ببعض الكلمات التي لم يستطع الشاعر ان يكون منها شيئا ذا بال ، لكونها باهتة اللون ، أو ليست شعرية بطبيعتها . ولكن ينبغي الا يعزب عن بالنا ان هذه العناصر الجمالية المكنونة في الالفاظ التي يستخدمها الشاعر ، هي في الحقيقة عناصر انسانية أي وضعها الانسان فيها ، لانه استخدمها طيلة عصور وعصور ، وما كان يعقل أن تحتوي عليها لولا الجهد الانساني ، وهذا يؤدي بنا الى هذه النتيجة ، وهي ان الابداع الشعري انساني في جملته وتفصيله ، بمعنى ان جزءا منه يعود الى الانسان باعتباره شاعرا معينا ، وجزءا آخر يعود الى الانسان باعتباره جماعة من الناس اتخذت من اللغة الشعرية اداة للتعبير عن ذات نفسها في حقب من تاريخها الادبي ، حتى لكأن الالفاظ اتخذت خزينة اسرار ، عامرة بودائع الفكر والروح والوجدان ، ليعود اليها الانسان كلما اقبل على عمل شعري جديد ، فيستمد منها ما هو في حاجة اليه ، وبالقدر الذي يتناسب مع استعداده وقدرته على الاخذ .

وكمون الاسرار الفنية في مادة الشاعر — اي الالفاظ — لا يعني أنه سجين هذه المادة ، تفرض عليه المعاني والخواطر الكامنة فيها ، بحيث لا تترك له مجالا للحرية والاختيار ، كما قد يتبادر الى الذهن ، ذلك انها مادة غنية بالايحاء ، حافلة بالرمز ، متشعبة الدلالة ، واسعة الآفاق ، سعة الانسانية في مختلف حالاتها ، حتى ان عمر اللفظة الواحدة قد يربو على عمر شعب بأسره ، وأجيال بكاملها ، ولو انك جمعت ألف شاعر ، والقيت اليهم بكلمة واحدة ، طالبا اليهم ان يعبروا عن عن مختلف المعاني والخواطر التي اثارتها في نفوسهم لوجدت بينهم من الاختلاف ، ما يوقفك على ما لكلمة واحدة من غنى معنوي يسع جميع العبقريات ، هذا بالنسبة لكلمة واحدة ، فكيف يكون الامر اذا نحن طبقنا نفس الخطة بالنسبة لمديد الكلمات التي تزخر بها لغة من اللغات الحية ؟ وليس تصور هذا الفرض محض خيال ممتنع على التحقيق ، فنحن لو وضعنا قاموسا أدبيا للكلمة الواحدة على حسب استعمالاتها الادبية الكثيرة ، لوصلنا الى نفس النتيجة . ولو افترضنا ان الشاعر كان مخيرا بين عدة مواد ، يختار منها ما شاء لبنائه الفني ، لما كان اوفر حرية مما هو عليه الآن ، لان المواد المختلفة حينئذ تكون موازية للمادة الواحدة، اذا نحن قسنا التعدد في الاولى الى العمق الموجود في الثانية ، نتيجة الالحاح عليها وحدها ، وأخذها دائما بفنون من المعالجة ، وتقليبها على مختلف وجوهها لاستغلال اكثر امكانياتها ، ولا تلازم بين تعدد وسائل العمل الفني وأدواته وبين حرية الفنان ، اذا نحن فهمنا الحرية على انها التجرد من كل قيد ، ذلك أنه اذ يعمد الى مادة معينة من بين مواد مختلفة — ولو على سبيل الافتراض — ليصوغ منها عمله الفني ، يكون في الحقيقة قد التجأ اليها بحكم الضرورة الفنية ، التي تستدعي نوعا معينا من المادة، لتلاؤمه مع طبيعة الاشياء المراد التعبير عنها ، واذن فالنتيجة واحدة ، سواء اكان الشاعر امام عدة أدوات كما افترضنا ، ام امام اداة واحدة كما هو الشأن في الواقع . بل نستطيع بمقتضى هذا المنطق أن نذهب الى أن الشاعر لا يمكن ان يملك الا اداة واحدة ، حتى لو خير بين عدة مواد كما افترضنا ، طالما كان تعدد المواد لا يسمح له باستخدامها كلها او جلها دفعة واحدة ، وطالما كان ملزما باصطناع واحدة معينة منها في لحظة معينة ، بحيث لا يؤدي غيرها ما تؤديه بالنسبة الى هذه اللحظة ، والى طبيعة المضمون الشعري ، بل اننا نجد الشاعر حتى داخل المادة اللغوية التي لا معدى له عنها ، لا يستطيع ان يختار منها الا صنفا معينا بالنسبة للعواطف التي يضطرب بها كيانه ، وبالنسبة للموضوع الذي

يعالجه ، فهو — مثلا — لا يستطيع ان يستخدم لغة الغزل في موضوع الهجاء او العكس . وقس على هذا .

والصياغة في عمقها هي مجموع الذكريات والاماني والقيم والمفاهيم والتأثرات ، وحصيلة الشاعر من مختلف تجاربه في الحياة ، وما حصله من ثقافات ، تبلورت في سياق غني منظم ، وليست الصياغة عملية مادية صرفة ، تقتصر على ضم كلمة الى اخرى . فاذا قال الشاعر العربي مثلا :

ابكت تلكم الحمامة أم غنـ
ـت على فرع غصنها المياد

تداخلت في سياق هذا البيت شتى النواحي ، منها ما ارتسم في ذاكرة الشاعر عن الحمامة ، واقتران هديلها بالبكاء تارة والغناء تارة اخرى ، وما تستدعيه الى الخاطر في كلتا الحالتين من معاني لا حصر لها ولا عد . وكذا ذكر الغصن المياد ، وما يخيل الينا او الى الشاعر من تلازم بينه وبين الحمامة ، لكوننا — والشاعر معنا — الفنا أن نتلقى صوتها المؤثر من اعلى اغصان الشجر . وكلمة (مياد) تضيف شحنة من الانفعالات الى الصورة المعبرة عن نفس الشاعر ، فكأن الحمام يتجافى عن الاغصان الصلبة ، ويأبى الا ان يستقر فوق الغصن الطري الذي يستجيب لاخف لمسة من لمسات النسيم فيميد ، ليكون هناك انسجام بين روعة الهديل في بكائه وغنائه ، وبين الجو المحيط بالحمامة ، وانتبه الى هذه التفرقة عند الشاعر ، بين البكاء والغناء ، فاذا كان البكاء قرين الحزن واللوعة ، فالغناء عنده قرين النشاط والحبور ، على حين اننا نظرا لاختلاف تجاربنا عن تجاربه ، قد نرى ان من الغناء ما يكون بكاء ، فالانسان يتغنى حزنه كما يتغنى فرحه ، والذبذبات الموسيقية توجد في عواطفنا الحزينة ، كما توجد في عواطفنا الباسمة . وذكر الحمام في سياق هذا البيت بصفة خاصة ، انما كان تعبيرا عن التربية الذوقية عند الشاعر ، وطبيعة الصدى الذي تخلفه بعض اصوات الكائنات في نفسه، وبوحي من هذا ربما كان يرى أن صوت الحمامة اصلح من غيره للتعبير عن معاني الحزن ومعاني السرور التي يريدها الشاعر . والحمام لا يكون معنى لبكائه وسروره الا من حيث كون الانسان هو الذي وضع لصوته هذه المعاني وامثالها . والشاعر انما قرن البكاء الى الغناء ليدل على انهما عنده سواء ، وقدر لنفسك كم من معاني انفعلت بها نفس الشاعر عند تسويته بين هذين المتناقضين : الحزن ، والسرور ، ففي ذلك رمز للفكر المتشكك الذي لا يقف عند الحواجز المعنوية التي اعتاد الناس الماديون ان يقيموها بين مختلف حالات النفس الانسانية ، وفيه اشارة الى الشعور بنتائجها البعيدة التي قد تكون متحدة ، على عكس نتائجها القريبة التي اعتاد الناس الوقوف عندها . وحينئذ يزول التناقض عند الشاعر بين الاشياء والمواقف التي يبدو للنظر المادي الا موضوع لالتقائها في مصير واحد . ثم ان اختيار الشاعر للبكاء والغناء بصفة خاصة ، وهو بصدد التعبير عن عبث الحياة ، انما يدل على اعتبار الشاعر هاتين الحالتين، من أقوى المظاهر النفسية التي تتمثل فيها المفارقة في اوضح صورة . ومجموع البيت المتقدم ، تتركز فيه بعض خبرات الشاعر وتجاربه وافكاره الفلسفية وقيمه الجميلة الى غير ذلك مما لا يحصى عددا .

ومن هنا نرى أن الصياغة تتضمن استدعاء جميع مقومات الشاعر الشخصية ، لتلتقي متعاونة على اخراج السياق الشعري في حقائقه الباطنة وصورته المطلوبة الظاهرة . فالتجارب الماضية تحيى من جديد ، ورواسب التربية الخلقية والفنية والاجتماعية والدينية تستثار لتؤدي وظيفتها اللازمة ، والمعلومات والمعارف التي ربما يكون قد مضى على تحصيلها زمن ليس بالقصير ، تدب فيها عوامل الحياة ، فتبعث بشيء من اشعتها وايحاءاتها الى النص الشعري . تركيب كيماوي عجيب ، لا يقل دقة عن أي تركيب يجري بالنسبة لابسط خلية من خلايا الطبيعة ، ونستفيد من هذا ان الصياغة هي اجتماع الماضي والحاضر والمستقبل في لحظة شعرية واحدة ، اذ ان التجربة الشعرية التي هي موضوع الصياغة تتضمن كل ما تسلل الى سمع الشاعر ، أو اثر في نفسه ، او تراءى لعينيه ، او تمثل لفكره في الماضي والحاضر ، أما المستقبل ، فلان تطلعات الشاعر الى غده المرموق ، واشواقه الى الحياة كما يود ان يحياها ، لها دخل كبير في تكييف حالته النفسية الحاضرة ، هذه التي هي لب عمله الشعري ، واذن لا فرق بين اسلوب الصياغة وبين مضمونها من خاطر وعاطفة فاي تغيير فيها يترتب عليه تغيير المضمون . ومن هذا يتضح لنا أن الابداع هو جوهر الصياغة ، ونكاد لا نتصور صياغة توفرت لها شرائطها الفنية ، الا وتضمنت نسبة من الابداع تقل او تكثر، حسب طبيعة هذه الصياغة ، ومدى ما استطاعت ان تمثله من مقومات الشاعر ، جازمين بان مجرد ضم كلمات بعضها الى بعض ، ليس كافيا لنصطلح على تسميته (صياغة) ما لم تتكون بين تلك الكلمات

علاقات جديدة يصلها خيط رفيع باحساس الشاعر ، والا كان اجتماعها — اي الكلمات —لا يزيد على أن يكون (تراكما) لفظيا لم يكسبها اي نوع من الايحاء الشعري ، فبقيت في موضعها من النص عاجزة عن أن تفتح امام قارئه أو سامعه ابوابا الى تأمل طريف ، أو شعور فياض ، بحيث لو انك اخذتها متفرقة لوجدتها لم تضف جديدا وهي مجتمعة في النص ، باستثناء المعنى المباشر الناشيء عن تركيبها على حسب قواعد اللغة والاعراب ، وانت تصادف كثيرا من النصوص التي ينطبق عليها هذا الذي نقول . خذ على ذلك مثالا بيت المتنبي الغني عن كل تعليق ، راثيا والدة سيف الدولة :

صلاة الله خالقنا حنوط
على الوجه المكفن بالجمال

وخذ ايضا قوله في مدح الامير :

لو لم تكن من ذا الورى اللذمنك هو
عقمت بمولد نسلها حواء

ثم قارن هذا الهزال بتلك القوة الشعرية البادية في روائع الشاعر لتلمس الفرق . دونك مثلا وصفه للاسد :

ورد اذا ورد البحيرة شاربا
ورد الفرات زئيره والنيلا
متخضب بدم الفوارس لابس
في غيله من لبدتيه غيلا
ما قوبلت عيناه الا ظنتا
تحت الدجى نار الفريق حلولا
في وحدة الرهبان الا انه
لا يعرف التحريم والتحليلا

في المعادن لا نقول عن اخذ قطعة منها ووضعها الى جانب قطع اخرى تجانسها انه صياغة ، ولا عن الذي يقوم بهذا العمل انه صائغ . فلاعطاء الكلمتين معنى دقيقا ، لابد من صهر المادة المعدنية ، لتحويلها الى قطعة فنية عليها طابع الجدة .. فخامة الذهب — مثلا — بهذه الطريقة يمكن تحويلها الى سوار أو خلخال او تمثال او أية حلية أخرى ، بحيث تتخذ المادة اشكالا مختلفة مرجعها الى اصل واحد . وهذا ينطبق تماما على الشاعر المبدع ، عندما يصوغ عمله الشعري من خاصة اللغة ، فهو لا يقتصر على نظم مجموعة من الوحدات اللغوية ، وانما يصهرها في احساسه الفني حتى تلين وتكتسب نوعا آخر من المرونة ، فيخلق منها نسبا جديدة مستمدة من استجابته الخاصة ، وهذه النسب هي التي يطلق عليها اسم (الابداع) .

فقد انتفى عندنا اذن أن تكون الصياغة مقصورة على التعبير المحسوس ، واتسع مدلولها ليشمل عالما من المعاني ومكونات الخيال والذوق والفكر والوجدان ، ولتمتد الى كثير من نواحي الحياة ، حتى لكأنها (تقطير) لذلك كله ، وتركيز له في وحدة صغيرة المبنى كبيرة المعنى . فهي تدخل فيها عمليات فكرية وشعورية ، وتأخذ شيئا من البيئة وشيئا من الوراثة ، مستفيدة من تجارب الشاعر وتجارب من سبقوه ، مازجة ذلك كله بعضه ببعض بمهارة عجيبة ، ولله در ذلك الاديب الذي شبه العمل الشعري بزهرة أو وردة عملت فيها عوامل طبيعية مختلفة ، من شمس وهواء وماء وسماد وتربة ، ولكنك اذ تراها أو تمسها لا تلمس فيها شيئا من هذه العوامل ، مع ان آثارها كامنة فيها ، وهي السبب في لونها الفاتن ، وشذاها المنعش ، وميسها الساحر .

واذا فهمنا الصياغة على هذا الاساس ، وبهذه النظرة الشاملة ، لم يبق عندنا فرق بين ترتيب الكلمات في نسق من الاسلوب ، وترتيب المعاني في نظام من الفكر ، وتناغم من العاطفة ، ولا بين سمو العبارة وحيويتها وتفردها وخصوبة العواطف وامتيازها ، لان هذه من تلك ، فهيهات ان يستطيع الشاعر الوصول الى صياغة شعرية حية ممتازة ، ما لم يكن ذا استعداد عاطفي ورصيد نفسي كبير ، يتهيأ له معه ان يحقق لشعره عنصر الابداع . فحياة المعنى من حياة اللفظ ، وقوة المحتوى من قوة الشكل ، اذ النسب والعلاقات اللفظية ، هي في الحقيقة نسب وعلاقات معنوية ، بحكم هذا الاتصال المتين بين الوجود الحسي للادب والشعر ، والوجود الداخلي الذي يجيء الوجود الحسي مظهرا له ، ولا سبيل الى فصل احدهما عن الآخر .

ما علاقة الابداع بالصناعة ؟

ليس الابداع كله رمية من غير رام ، فبالرغم من خضوعه للمصادفة كما تقدم ، ومجيئه بطريقة عفوية ، ليس من شك في أن جزءا كبيرا منه يعود الى المهارة المكتسبة بطول المران ، وأخذ العمل الشعري بالتنقيح والتهذيب ، حتى يخرج في صورة مرضية ، فاذا شئت مزيدا من التحليل ، كان في امكانك ان تفهم ان الصناعة الفنية التي يأخذ بها الشاعر ، لا تعني انها تضمن له نجاح عمله الشعري وتفوقه ، وانما تعني انها تجعل فرص نجاحه اكثر ، وتكون مهيئة للجو ، لتجد الالتماعات

الذهنية طريقها الى العمل الشعري ، اذ ان اعادة النظر فيه ، واخذه بالتنقيح ، يعطي الشاعر فرصة ان يعيش تجربته مرة اخرى ، ففي المرة الاولى عندما كان منهمكا في عملية الخلق ، كان يعاني التجربة باعتبارين : باعتبارها واقعا نفسيا تصحبه شتى الانفعالات والخواطر ، وباعتبارها موضوعا للصياغة الفنية بما يلازمها من تقاليد وقواعد واصول . وقد يؤدي ازدواج هاتين العمليتين ، الى مزالق ناشئة عن بعض الاندفاعات العاطفية ، وفورات الانفعال ، التي ربما تصرف عن التفكير الدقيق في اسس الصناعة اللفظية ، فكانما تريد ان تفصح عن نفسها بنفس التهويمات التي تموج بها في نفس الشاعر . ولكن عندما ينتهي الشاعر من عملية الخلق هذه ، ثم يعيد النظر فيها ، ليعيش التجربة مرة اخرى ، ربما يتضح له ان ذلك الجزء من عملية الخلق ، والذي بواسطته يتم التفاهم بينه وبين الناس ، يحتاج الى شيء من التزيين ، او الى بعض اللمسات ، ليستكمل طابعه الفني المقبول . وقد لا يكون في هذا ابداع الا من حيث كونه جلاء وتهذيبا للابداع الذي تم في العملية الاولى . وليس هناك الابداع الصناعي المحض ، والا كان كل شاعر قادرا على أن يكون مبدعا ، بل لكان الابداع في امكان كل من خط حرفا ، ما دامت الصناعة ذات أصول وقواعد ، وهذه يمكن تعلمها واكتسابها بمجهود خاص ، ولكن الذي يبتعد بالابداع عن هذا الابتذال ، انه مظهر من مظاهر الالهام الذي لم يعرف له اصل حتى الآن ، وان كان يخضع للصناعة .

واذا شئت مثالا محسوسا من الطبيعة يوضح لك هذه الفكرة ويمثلها اصدق تمثيل ، فدونك البساتين ، البست تجد زهورها ورياحينها تنبت وتنمو ، وتونع تحت عوامل الطبيعة المختلفة ، ومع ذلك فان البستاني يأخذها بشيء من الصناعة ، فهو يشذب اغصانها ، ويقتلع النباتات الطفيلية العالقة بها ، ويزرع بذورها في شكل خطوط هندسية جذابة ، دون ان يكون له دخل في صناعة بذورها ، أو في تكييف سوقها واوراقها وروائحها ، لان الطبيعة هي التي تتولى هذا العمل . واذا شئت مثالا ثانيا ، فانظر الى تلك الحسناء كيف وهبتها الطبيعة رشاقة في القد ، وصباحة في الوجه ، ورخامة في الصوت ، ونعومة في الشعر ، ومع ذلك فهي تحيط جمالها الباهر بالوان من الصناعة ، فالقامة تؤخذ بنوع من الرياضة لتزداد رشاقة وخفة ، والشعر يصفف تارة كالتاج ، ويرسل تارة كالعناقيد ، ويستدير اخرى كالحلقات ، ويلقى الى الوراء طورا كالشلال ، وهكذا تعمل الصناعة على استغلال امكانيات فاتنتنا ، لتظهر في مظهر رائع يكون فتنة الناظرين . وعلى هذا النحو تكون علاقة الابداع الشعري بالصناعة .

واذا كان من الناس من يحب جمال الطبيعة كما خلقه الله ، ناميا كيفما اتفق ، دون تهذيب ولا تشذيب، واذا كان منهم من يحب جمال المراة بخاتم ربه لم تمسسه يد ، واذا كان منهم من يرى اخطاء الطبيعة ذات سحر وجمال ، تفقدهما اذا هي خضعت لاصلاح الانسان ، فليس فيهم من يرى بعض النقص في عمل شاعر فيتجاوز عنه ، وانما كلهم ينتظرون من الشاعر أن يكون في شعره مطابقا للصورة المثالية التي ارتسمت له في اخيلتهم ، فهم يحاسبونه على كل كبيرة وصغيرة اذا كانوا قراء جادين ، فليكون عند حسن ظنهم لابد له من الصناعة ليقدم لهم شيئا محترما . ونادرا ما تجد شاعرا يخرج عن هذه القاعدة ، فيصدر عن مجرد الالهام .

فنحن لا نطيق ان نعامل انتاج الشاعر نفس المعاملة التي نسلكها او يسلكها بعضنا تجاه الطبيعة، ذلك ان الطبيعة تخاطبنا بلغتها الخاصة التي لا نملك منها شيئا . اما الشاعر فيخاطبنا بلغة مشتركة بيننا وبينه ، تباعد بيننا وبينه حينا ، وتقارب احيانا ، وهي على ذلك مجال واسع لاختلاف المفاهيم . ولو قدم الينا الشاعر تجاربه الاولى كما سودها في تلك الصحف التي يحتفظ بها لنفسه ، ويقدم الينا صورا مهذبة منها ، لعاملناها أسوا معاملة ، وحكمنا على صاحبها بالافلاس . والشاعر يعلم هذا مقدما فيخفي عنا وجها انتشرت فيه البقع ، وخططته التجاعيد ، ليبرز لنا وجها نظيفا نرتاح اليه .

ونحن قد نرضى عن مظاهر الفوضى في الطبيعة من حيث لا نرضى عن مظاهرها في الادب والشعر ، لان الفوضى في الطبيعة تفتح امامنا آفاقا للتخيل الحر الطليق ، وتثير فينا كثيرا من المعاني المبهمة . اهو حنين الانسان الى الطبيعة الام كما خلقها الله قبل عصور الحضارة ؟ أم هو اقرار بعجزه عن التفوق على الطبيعة رغم جهوده في مختلف الفنون ؟ ام هو ارضاء لغروره وتوهمه ان الطبيعة تفتقر الى بعض ما عنده من ابداع وفن ، لتصل الى اوجها الرفيع ؟ ام هو تنوط الانسان من تعقيد الحياة من حوله ، وشعوره بارتياح نفسي أن يجد نفسه أمام هذا الجمال الطليق من كل قيد ؟ قد يكون كل ذلك أو بعضه

صحيحا . ومهما يكن من امر ، فكثير منا ينجذب الى مظاهر الفوضى في رحاب الطبيعة ، فاذا هو طالعته هذه الفوضى في الاعمال الادبية والشعرية ، احس بخيبة امل ، وأنحى باللائمة على الاديب أو الشاعر . ومن أسرار هذا الاختلاف بين موقفه في الحالة الاولى وموقفه في الحالة الثانية ، انه في مواجهة الطبيعة أمام شيء أقوى منه ومن جميع وسائله — بصنعته شاعرا — وهفوات القوى لا تقل جلالا ومهابة عن حسناته ، أما في الاخرى فهو أمام عمل انساني صدر عن شخص يضارعه في نقائصه وضعفه ، وليس أجرا من الضعيف على ضعيف مثله ، فاذا تفاوتت الكفتان ، كان ضعف واستسلام من ناحية ، وسيطرة وجلال من ناحية اخرى ، فكان الطبيعة — تلك المعبودة القديمة — تهبها قوتها وجبروتها مطلق الحرية في أن تظهر بالمظهر الذي تشاء ، لانها جليلة على كل حال ، في نظر الانسان . على ان الطبيعة نفسها لا تغفل عنصر الصناعة في كثير من مظاهرها ، فهي — مثلا — تلون اجنحة الطيور ، وتحيط عنق الحمامة بالطوق ، وتخالف بين الوان الورود ، وتجعل الشجر اشكالا واوراقه اصنافا ، فاذا نقح الانسان شعره وفنه ، فقد اقتبس عملا من اعمال الطبيعة .

واذن يمكننا ان نحل (الابداع) الى هذه العناصر شاعرية قوية ، لغة مرنة جميلة ، نسب أسلوبية طريفة ، مشاعر خصبة سامية ، صناعة حاذقة تهيمن على ذلك كله ، باضافة ما يندرج تحت هذه الكليات من شتى الجزئيات التي سبق الحديث عنها . واذا شئنا اجمال ذلك كله في عبارة موجزة قلنا : الابداع صياغة قوية ممتازة .

وهل يعتبر الموضوع من عناصر الابداع ؟ الجواب بالنفي ، ذلك ان كل موضوع صالح لان يكون محورا للشعر ، وقد قيل شعر سخيف في اسمى المواضيع ، كما قيل شعر ممتاز في اشدها تفاهة . ولكن اذا اجتمع الموضوع السامي الى تلك العناصر بلغ الابداع اقوى مراتبه .

واطلاق اصطلاح (الابداع) على خصائص الشعر الممتاز ، يقتضي ان هناك اعترافا ضمنيا بمستوى عادي للفن الشعري ، اذا تجاوزه شاعر ما قلنا عنه انه مبدع ، واذا هو وقف عنده حرمناه من هذه الصفة ، لنحمله على تجويد شعره فينتزعها منا عن جدارة . فما هو هذا المستوى المتوسط ؟ ان الاجابة عن هذا السؤال المحرج تتطلب كثيرا من الدراسات المتشعبة ، لتقييم الحياة الادبية لشعب ما في ماضيه وحاضره الادبيين ، واستخلاص اعرافه الادبية الثابتة ، الامر الذي يساعدنا على ادراك مستويات الضعف والقوة وما بينهما . واذا كنا نعرف مقدما ان الشعوب تختلف اختلافا كبيرا في مقاييسها الادبية ، واذا كنا نعرف بناء على ذلك ، ان ما يعتبر ابداعا في بيئة ادبية ما ، قد يعتبر في اخرى عملا تافها وعاديا ، اتضح لنا مدى الصعوبة التي يلقاها الباحث اذا هو تصدى للاجابة عن ذلك السؤال . هذا علاوة على ما يكون بين قائلي الشعر ونقاده وقرائه من تفاوت في مستوى الذوق والفكر وسائر المقومات الادبية ، مما يضاعف من صعوبة الموقف . ولو ذهبنا الى ان العبرة بمعطيات الذورق العام لبيئة ما ، بعد طرح الاختلافات الفردية ، لم يكن في وسعنا الغاؤها بالمرة ، لانها موجودة فعلا ، ولها دخل في طبيعة المقياس الذي تقاس به القوة والضعف في اعمال الشعراء .

هل نحل المشكل بان نكل الامر الى الاستجابة الخاصة ، فنقول ان الطريقة التي يتلقى بها الفرد عملا شعريا هي التي تحدد قيمة هذا العمل ، فاذا تلقاه باعجاب واكبار ، كان فيه ابداع والا فلا ؟ اغلب الظن عندي ان الجميع لا يوافق على هذا الراي ، وذلك من عدة وجوه : أولا لان هذا يتنافى مع كل دراسة للابداع في الشعر ، طالما كانت الدراسات الادبية لا تبنى على الحالات الفردية لافتقارها الى الموضوعية المبنية على الذوق العام ، وثانيا لان مصير العمل الشعري سيتقرر تبعا للذوق الفردي ، واذن فسنجد اعمالا شعرية رائعة تصادف قارئا لا يرقى الى مستواها فيعاملها ببرود او لا مبالاة ، بينما أعمال شعرية اخرى قد تكون تافهة ، ولكنها تصادف عنده اعجابا بها ، لكونها ترضي فيه ذوقا رخيصا ، او تغذي فيه احساسا جنسيا ، أو تنسجم مع ميله الطائفي او الحزبي او المذهبي ، فيحكم لها بالروعة والامتياز . وثالثا لان هذا سيجر فوضى على المفاهيم الادبية ، فلا يمكن أي تفاهم على اساس من الموضوعية

واذن يجب ابعاد هذا الراي ، ليرجع الامر اولا وأخيرا الى الذوق العام لبيئة ادبية ما . وهنا ايضا تصادفنا مشكلة تحديد المراد بالذوق العام . أهو ذوق الاغلبية الساحقة من قراء الادب ؟ وكيف وهذه لا يتخذ ذوقها حجة في وزن الاعمال الادبية والشعرية ، لكونها لا ترقى الى مستوى مشاكله العويصة وقضاياه الهامة ؟ أم يراد به ذوق العلية من ارباب القلم والفكر ؟ وكيف وهذه لا تكون بالنسبة لاي مجتمع الا اقلية ضئيلة ، خصوصا بالنسبة للبلدان

المتخلفة أدبيا ، والتي تبعد فيها المسافة بين طبقات جمهور الادب والشعر ؟ واذا كنا أميل الى الاخذ بذوق هذه الاقلية لانها تقبض على زمام الحياة الادبية ، وتمثل الحضور الادبي في اسمى مراتبه ، فاين نضع ذوقها الفني ؟ انضعه في اطار الذوق العام ، ام في اطار الذوق الخاص ، ام في منزلة بين المنزلتين ؟ فها نحن نرى ان الاجابة على ذلك السؤال : ما هو المستوى المتوسط للعمل الشعري ؟ قد رمت بنا في اعماق مشكلة ليس من السهل ان نجد لها حلا نهائيا. وبناء على ذلك فلنكتف الآن على الاقل بفهم المستوى المتوسط على انه ما تعارف نقاد الادب ودارسوه في بيئة ادبية ما ، على وضعه موضعا وسطا بين الضعيف والقوي من الاعمال الشعرية ، لنخلص من ذلك الى شيء آخر ، لا يقل اهمية عن سابقه وهو : لو فرضنا اننا استخلصنا ذلك المتوسط من جهابذة الادب والنقد ، ومضينا نتخذه اساسا لتقدير الاعمال الشعرية ، فهل نفعل ذلك بالنسبة لمن يعاصرنا من الشعراء فقط ، أو نفعله حتى بالنسبة لمن تقدمهم في عصور ادبية خلت؟ ان كانت الاولى احتجنا الى مقاييس اخرى نعرض عليها انتاج العصور الماضية ، وان كانت الثانية ارتكبنا تعسفا لكوننا حكمنا احدث ما تمخضت عنه اوضاعنا الادبية الحالية المتأثرة بتيارات العصر الثقافية في الماضي الادبي الذي كانت له ظروفه الخاصة وما تسمح به من امكانيات ، كما يفعل بعض نقادنا المعاصرين ، عندما يأخذون نظام وحدة القصيدة عن النقد الاوروبي المعاصر ، ثم يذهبون يبحثون عن هذه الوحدة في الشعر العربي القديم ، فاما لا يجدون ضالتهم المنشودة ، ينحون باللائمة على شعرائنا القدماء ، هؤلاء الذين خضعوا لمقتضيات حقبة من التاريخ الادبي ، لم يكن لهم قبل بتجاوزها اذا نظرنا الى الاغلبية منهم ، مستثنين العباقرة الافذاذ الذين لا يقاس عليهم ، نظرا لانفرادهم بالهام خارق للعادة . لذلك كان الرأي عندي ان يقدر كل ادب حسب امكانياته وظروفه الخاصة ، بحيث لا يتحكم الجديد في القديم ، ولا القديم في الجديد ، وهذه فائدة دراسة تطورات النقد الادبي عبر العصور المختلفة . هذا مع العلم بأنه ليس من الضروري ان تكون جميع مقاييس القديم مختلفة عن جميع مقاييس الجديد ، فهناك دائما قدر مشترك اثبتت الايام صلاحيته لكل زمان ومكان ، نظرا لتجاوبه مع الفطرة السليمة ، وانطباقه على اصول الاشياء .

وذلك المستوى المتوسط الذي على اساسه نعرف مستوى الابداع ، اقتضت سنة التطور الادبي بقاءه مستقرا زمنا ليس بالقصير ، اذ الادب لارتباطه بأصول شخصية واجتماعية واقتصادية بطيء التطور الامر الذي أعطى المقاييس نوعا من الاستقرار ، ولو كان الادب سريع التطور لاحتيج الى تغييرها بكيفية مستمرة ، ومن ثم ينتفي أن تكون مقاييس على الاطلاق. وبهذا الاستقرار يثبت في الاذهان مستوى معين للابداع ، والا كنا لا نصطلح على تسمية نوع من المهارة في الشعر ابداعا ، حتى نعود لنسحب منه هذه الصفة لنردها على نص شعري آخر ، ثم نفعل مع هذا نفس الشيء ، وهكذا لا يكون في حياتنا الادبية شيء ثابت على الاطلاق .

لكن ينبغي الا يفهم مما تقدم ان هناك حدا فاصلا بين المتوسط والموسوم بالابداع في مستويات الشعر ، باعتبار ان كل ما في المستوى الاول يختلف عن كل ما في المستوى الثاني . فالحقيقة ان المبدعين انما يخرجون من المتوسط ، باستثناء النوابغ الذين يظهرون على حين غفلة ، فيكون ظهورهم اقوياء فلتة لا يكثر نظائرها ، ففيما عدا ذلك يجيء الابداع تطورا للمستوى المتوسط وامتدادا له ؛ بمعنى أن شعراء يكونون عاديين ، اذا بهم تشف اساليبهم وتسمو نظراتهم ، وتعمق مشاعرهم ، فيهيئهم ذلك ليصلوا الى مرتبة الصدارة ، وبذلك لا تنقطع الصلة بينهم وبين المستوى الذي كانوا فيه من قبل ؛ بل هم يأخذون بامكانياته ليطوروها ويحوروها مجيلين فيها يد التهذيب ، لتصل الى اوجها الرفيع ، ومن ثم تتخذ منهم الطبقة المتوسطة من الشعراء مثلها الاعلى الذي تسعى جاهدة لمحاكاته وفي سبيل اللحاق به . ثم هم بدورهم — اي المبدعون — قد لا يستطيعون دائما ان يحافظوا على مستواهم المبدع ، فتصدر عنهم اعمال شعرية عادية يرتدون بها الى المتوسط الذي انطلقوا منه ، ثم لا يلبثون ان يتجاوزوه مرة اخرى ، وهكذا دواليك . ومن هنا نرى أن الصلة متينة بين المستوى الاول والثاني ، صعودا وهبوطا ، ارتفاعا وانخفاضا ، وينبني على هذا كون الابداع ليس معناه قطع الصلة بكل ما دونه ، وان مستويات الشعر بينها تجاوب كبير ، من ضعفها تتكون القوة ومن بسيطها يتركب المعقد ، ومن عادياتها تصاغ مثلها العليا . بل ان آخر طبقة في الحياة الادبية مرتبطة بأول طبقة فيها ، انطلاقا من المتأدبين الى الادباء الكبار ، فهناك رباط يشد بعضهم الى بعض ،

يتمثل فى اللغة التي يستخدمونها جميعا ، والتي تصنع تصنع اقدارهم ، على حسب طرائقهم فى استخدامها ، وفى الفكر الذي يبدأ ضعيفا ضيق الجوانب ، ثم يأخذ فى اتساع الافق صعودا الى اعلى ، فلا نصل الى الطليعة حتى نجده جبارا طاغية يتزعم الحياة الادبية ، ويأخذ بيدها نحو النضج والاكتمال . وآية هذا الذي نقوله ، ان الابداع يجد فى المستويات الضعيفة والمتوسطة شعرا وادبا مادة غذاء لغروره وانخداعه بنفسه وثقته بها الى ابعد حد مستطاع ، فالمبدع عندما يقيس غيره الى نفسه ، يخرج من هذا القياس اشد وثوقا بنفسه وايمانا بامكانياته غير العادية ، فهو يعيش على حساب النواقص، ويعتمد فى شهرته ومجده على ما تظهر به من ضعف ازاء قوته . يصدر واياها عن أصل واحد ، ولكنه يمتص اجود مقوماته ، على حين تقف هي منه عاجزة او كالعاجزة .

وبالرغم من ان الشاعر المبدع قد ينتج احيانا شعرا يرده فى الحقيقة الى المستوى المتوسط ، فقد جرت العادة بان يحيط المبدعون طبقتهم بجدار منيع ، ويخلقوا جوا محيطا بهم ، عامرا بعطور الثناء والمدح ، ويركبوا فى الجمهور حاسة دقيقة تدفعه احيانا كثيرة الى التجاوز عن سيئاتهم وتفضيلها على حسنات غيرهم ممن هم دونهم ، ولو تعالت صيحات النقاد لمقاومة هذا الزيف .

فاس — عبد العلي الوزاني





للأستاذ ياسين رفاعية

منذ كنت سكرتيرا لتحرير مجلة المعرفة الدمشقية ، حتى رحيلي الى بيروت والبقاء هناك زهاء عامين ، ثم العودة الى دمشق ، حيث لا يستطيع الانسان أن يفارق مرتع الصبا والاحلام، والرسائل تذهب وتجيء ، بيني ، وبين المغترب الكبير الاديب جورج صيدح .. في تلك الرسائل كان ثمة اسئلة كثيرة ، وكان صيدح دائما اكثر كرما في الاجوبة، وكان لابد ان تتجمع لدي من خلال هذه الرسائل ، حصيلة ، غنية ، ومدهشة ، من حياة هذا الشاعر الكبير ، ومن مغامراته العديدة في سبيل الحياة الحرة الكريمة ، وكان اغنى ما في حياة صيدح ، ذكرياته ، مع الاوائل من شعراء ، وادباء ، وسياسيين .

يتحدث صيدح عن محاولاته الاولى في الشعر ، يقول :

بدأت نشر شعري في جريدة الاخطل الصغير ، نشر لي عام 1910 قصيدتين ، الاولى « اذكريني » لحنت وغناها المطربون :

اذكريني واذكري الحب معي
واذكري ما مر في تلك السنين
اذكريني واسالي قلبك كم
تسحق الذكرى قلوب العاشقين

والثانية قصيدة غرام :

اصبحت من جور الصدود تخالني
شبحا اذا مر النسيم تألما
تشكو الغرام جوارحي فكان لي
في كل جارحة فؤادا مغرما

وكنت انظم شعري على السجية ، لا اتعمد تقليد احد ، ولكني تاثرت أولا بشعر شوقي ، وثانيا بشعر ايليا ابي ماضي ، وكنت في المدرسة احفظ قصائد المتنبي دون ان افهمها لمجرد شغفي بموسيقاها ، ثم في مصر اتسعت مطالعاتي ، وتركزت ميولي فانصرف اعجابي الى شعراء الرقة والبساطة والعذوبة والمجون كابي فراس والرومي من القدامى ، واسماعيل صبري وحفني ناصف من المعاصرين . هذا هو ذوقي ، تحكم في انتاجي منذ الحداثة ، فكان ما لا ينشر من منظوماتي اكثر مما جاز لي نشره .

لما صرت في القاهرة ، شرعت انشر قصائدي في مجلة سركيس ، ومنذ عام 1912 الى 1924 لم تخل مجموعة من مجموعات المجلة من قصيدة لي ، كنت منصرفا الى تجاراتي بكل قواي ، لا حبا بها ، بل حفظا لكرامتي بين اهلي وعشيرتي .

وكنت (1912 – 1914) على اتصال دائم بجرجي الحداد ، اعب من ادبه وشعره في المراسلات . كان مراسلا لجريدة « المقطم » في دمشق ، فلما وقعت الحرب العالمية في خريف 1914 صار يحشو رسائله الموجهة الي بمقالات اسلمها انا للجريدة فتنشرها دون توقيع . ولم تنفضح الحيلة للرقابة في دمشق الا عندما تسلم جمال باشا الاحكام وراح يبطش برجال الراي

والفكر والعلم ، فالقي القبض على جرجي الحداد ، وحوكم ، وعلق على المشنقة في ساحة البرج مع بقية الشهداء الابرار .

رسائله كانت مجموعة من التحف الغالية عندي، قلما تخلو رسالة من قصيدة . ارسلت مرة واحدة منها الى الشاعر المرحوم ندره حداد لينشرها في جريدة السائح ، عنوانها « صبيحة العيد » فنشرها بعد مقدمة ثناء واعجاب ، واستزادني من امثالها ، فجمعت الرسائل واضفت اليها ملحمة « الغرام الساذج » عن واقعة حالي وارسلتها الى الشاعر ندره الذي عاجله القدر قبل ان ينشرها فبقيت في ادارة « السائح » في حكم المفقودة

رسالة واحدة بقيت عندي سهوا ، اقرا فيها كلمة شكر على رسم اهديته اليه :

اهلا بصورة من احب وان تكن
تركت عصي الدمع سهلا طيعا
بربية الافلاك ناشئة السنا
او ما ترى البدر اصطفاها مطلعا
اودعتها بين الضلوع وشخصه
أودعته من قبل فاجتمعا معا
ولثمتها الفا وما انا قانع
والله يشهد انني لن اقنعا

رحمه الله ما كان أوفاه . مات في الخامسة والعشرين من سنه ولو مد الله من عمره لكان من نوابغ سورية في الادب والشعر .

في مصر

في مصر ، فتحت مجلة سركيس صدرها لقصائدي ووصلتني بطائفة من الادباء : مطران ، انطوان الجميل ، بركات ، الدكتور محمود ثابت ، واحمد زكي باشا سكرتير مجلس الوزراء يومئذ . وكان يوسعني اغناء ثقافتي العربية بمجالستهم مساء بعد الفراغ من عملي التجاري كما كان متاحا لي التأدب بالمطالعة ساعات الليل لان ذلك العهد كان العهد الذهبي للادب العربي في مصر ، وفيه بلغ الشعر اوج مجده وراجت سوق عكاظ رواجا فريدا بهمة سليم سركيس ، فكنت احضر مهرجانات الشعر وحفلات تكريم لشوقي وحافظ والريحاني ومطران . ومرة دعيت الى القاء قصيدة في احدى الحفلات ، وشعرت باني لو عقلت ، لاوجدت لنفسي حيثية ادبية في ذلك المجتمع الراقي ، ومع الاسف كان طيش الصبا مسيطرا علي ، وكان اغراء اللذات اشد واقوى من تلك الحوافز الادبية . فصرفني عن مجالس الادب ، فأخفقت شاعرا كما اخفقت تاجرا .

في فنزويلا

اختلف الوضع في فنزويلا بل انقلب الى عكسه ، وجدت نفسي في دنيا عجيبة موحشة انا فيها الصوت العربي الوحيد بين مهاجرين عرب يترطنون بالاسبانية المستعربة ، لا اثر لشيء عربي ، كتاب ، جريدة ، ناد، جمعية ، قنصلية ، أو اي معلم آخر من معالم العروبة ، بلاد شاسعة ، واسعة ، رديئة المناخ ، قليلة السكان ، فقيرة في الثقافة وفي العمران، تعيش على زراعة البن ورعاية البقر ، لم تنصب عليها سيول النعمة من آبار البترول بعد . كان ذلك حينما دخلتها عام 1927 ، اما اليوم فهي في طليعة الجمهوريات الامريكية ثراء وعمرانا وترقيا ومكانا دوليا ، ومهاجرونا فيها تكاثروا فاصبحوا هيئة اجتماعية عزيزة الجانب ، ترعاها سفارات عربية تمركزت في كراكس عاصمة البلاد منذ اعوام .

كان انتقالي من مصر وأوروبا الى هذا المحيط حدثا مفجعا في حياتي ، وزادني غما حال اخواني المهاجرين ، اضاعوا لغتهم ونسبهم واعتنقوا الجنسية الفنزويلية لحماية كيانهم ومصالحهم حيث لا حكومة ترعاهم ولا راية تحميهم . ونظرا لقلة عددهم ولتفرقهم في انحاء البلاد لم تتجاوز مساكنهم ومتاجرهم في حي واحد كما في بقية المهاجر الامريكية حتى يتعارفوا ويتعاونوا . بل تشتتوا فرادى في احياء الشعب الفنزويلي واندمجوا فيه وتعودوا الكلام بلسانه حتى ثقل عليهم اللفظ ، فان اجتمعوا فيما بينهم كانت اللغة الاسبانية لغة الحديث .

هذه الظاهرة صدمتني في عاطفتي وفي آمالي . شعرت بقساوة الغربة وفداحة التضحية التي فرضت علي . لن اتقرب من اخواني المتأمركين ولن يطيب لي العيش معهم ان لم أنس لغتي وعروبتي واخاطبهم بلغتهم الجديدة التي هي لي اليوم ـ كما كانت في مطلع هجرتهم ـ لغة العمل ولغة الامل . ان لم اتعلمها فلا سبيل الى الرزق .

كان في جيبي ما يقارب ثلاثمائة دولار تكفي معاشا لشهر واحد في الفندق ، ونصب عيني افق اربد سوف يكتنف حياتي ابتداء من الشهر التالي ، ان رزقي موقوف على العمل ، والعمل موقوف على اللغة ، واللغة الاسبانية لا تكتسب في شهر واحد .

عنـــدي قصائـد وعنـــدي حكايـات
مـــن يبيعنـــي بهـــا كلمـــات

جـاء الفرج من كتاب توصية حملته الى تاجـر لبناني كبير اسمه الياس جرجورة ، كان قبل هجرتـه مولعا بالادب العربي تواقا الى الشعر . ارتاح لحديثي واحسن وفادتي ووعدني بعمل في متجره حالما استطيع الكلام بالاسبانية . فلزمت غرفتي ادرس اللغة في كتاب، وكان الاصوب معاشرة الناس في الاسواق وتعود الكلام معهم تدريجا حتى اباشر عملي في متجر الحداد قبـل ان ينقضـــي الشهـــر .

في منزل الياس حـــداد عرفت ابن اخيه نجيب حداد وهو شاب من مواليد مصر ، كان قبل هجرتـه يشتغل في مكاتب السكك الحديدية في القاهرة ، فصار معتمدا جوالا لشركة تجارية في كراكس ، الفت بيننـا محبة مصر وذكرياتها وادت المعاشرة الى ابتكار حـل لمشكلي ، كان من اغرب الحلول وابعدها عن المعقـول ولكن الضرورة حملتني على القبول .

في داخـــل البـــلاد

كان على نجيب حداد بحكم وظيفتـــه ان يقوم كل عام برحلتين الى داخـــل البلاد لاستيفاء ديـــون الشركة وعرض بضائعها على تجار القرى والدساكر ، وذلك قبل فصل الامطار الذي تنقطـع فيه المواصلات بين المدن الساحلية والمدن الداخلية ، ومعلوم ان مناخ فنزويلا استوائي لا يختلف فيه الصيف عن الشتاء الا بأن الاول هو فصل الجفاف الطويل ، والثاني هو فصل الامطار القصير ، ولم تكن في داخل البلاد طرق معبـدة للسيارات ، بل ممرات تتمهد من كثرة السير في اثناء الصيف وتغيب معالمها في اثنـاء الشتاء تحت السيول الجارفة والمياه الراكدة فتمتنع الاسفار الا على ظهور الخيل والبغال في شهور حزيران وتموز وآب .

كنا في مطلع نيسان ، ونجيب حداد على اهبـــة السفر منذ اول آذار وسيارة الشحن مهياه تنتظـــر ابلال سائق الشركة من مرضه حتى تنتقـــل بنجيب وحقائبه وصناديق المساطر الى محلات العملاء فـــي اقاصي البلاد ، فان طال مرض السائق شهرا آخـــر استحال السفر وتعطلت مصالح الشركة ، لذلك خطر لنجيب ان يسالني ان كنت اعمل بنصيحته واحل محل السائق المريض في قيادة الكميون حتى نقوم بالجولـــة التجارية معا وباسرع وقت ، فقبلت بعـــد التفكيـــر والتردد في ليلـــة ارق ونحيب

اذا لم يكـــن غيـــر الاسنة مركب
فمـــا حيلـــة المضطـــر الا ركوبهـــا

وجدت ان للمشروع مزايا عديدة ، اولا اتمـرن على الحديث بالاسبانية مع اهل البلاد الذين لا اخالط غيرهم مدة ثلاثة شهور ، ثانيا ادرس جغرافية البـلاد والمراكز التجارية فيها ، ثالثا اتعلم اساليب التجـارة وانواع البضاعة الرائجـــة ، رابعـــا : اقبض راتبا عدا نفقات المعيشة واعود من الرحلـــة رأسا الى العمـــل المقرر لي في متجر الياس حداد . بهذا المشروع تنحل مشكلتي واشق طريقي الى ميدان التجارة في فنزويلا لا بفضل عقلي وذكائي وادبي وعلمي ، ولا بفضل تمرسي السـابق بالتجارة ، بل بفضل المامي بقيادة السيارات ، وكان يغريني ان ارى امثالي من المهاجريـــن الجـــدد يفتتحون جهادهم بحمل الكشة على اكتافهم والسفـــر على اقدامهم والتفاهم مع اهل البلاد بالايماء والحركات، اقتضاني الاستعداد للسفر اسبوعين ، اولا للحصول على رخصة القيادة من دائرة السير بعد امتحان عسير وفحوص طبية . وثانيا لشراء جهاز جديد من الملابس الملائمة للمهنة اسوة برفيقي نجيب ، بدلا مـــن ملابس الجوخ والحرير . وثالثا لتجديد شباب سيارة الشحن بمعالجة ميكانيكية لقلبها التعب . وفي اليوم العشرين من نيسان 1927 نفخنا في صدر السيارة وسرنا على بركات الله نضرب في مناكبها .

ويعاني الاستاذ صيدح في هذه الرحلة المصاعب والمتاعب والالم الى ان يقول على هذه الوتيرة من الكفاح والعذاب قطعنا في ثلاثة ايام ثلث المستنقعات التـــي تفصلنا عن ساحل البلاد الشرقـــي ، وفيه مدينـــة برسلونة الزاهرة ، دخلناها حامدين الله تعالى الـــذي ابقى على رمق فينا ، ولم نبال بالشحوب المرتسم على وجوهنا والسقم العالق باجسامنا :

مشينـــاهـــا خطـــى كتبت علينـــا
ومـــن كتبت عليـــه خطـــى مشاهـــا

في برسلونة تركت رفيقي نجيب يعالج شؤونـــه التجارية وركبت الباخرة عائدا الى العاصمة فبلغتهـا في آخر حزيران وفي جيبي 200 دولار جديد ، وفي بدني ثلاثة امراض وبيلة ، فضلا عن خسارة عشرة كيلوات من اللحم والدم . لم اتسلم عملي في محل الياس حداد الا بعد شهر من الراحة والمعالجة وكان طبيبي مواطـــن دمشقي يعرفني من مدرسة الاسيـــة ويتوجع لمصيري، اسمه الدكتور جورج طحان (ابن عم البطريرك السابق) هو الذي عالجني وشفى ما يستطاع شفاؤه من علتـــي

مجانا لوجه الله . فكافأته بأن انعمت عليه طبيب جنابي الخاص ، وبأن توسطت لدى فارس بك الخوري لكي ينعم عليه بمنصب قنصل فخري لسوريا فى فنزويلا .

ومنذ ذلك الحين ، اخذت اشق دربي الى النجاح

الانقـــــاذ

شيئان انقذاني من المـــوت الادبي ، الاول كانت الاسفـــار التي اقتضتها اشغالي الى نيويورك وسان باولو وبونس آيرس حيث الجوالي العربية كبيـــرة ، والحياة الادبية نشيطة ، هناك مجالس للادباء انتعشت فيها قريحتي وتغنيت بالشعـــر فى عشر قصائد ، ولا اذكر اسفاري الى كولومبيا لان حال الادب العربي فيها كان أسوا من حاله فى فنزويلا ، والثاني كان انعتاقـي من التجارة قبل ان ابارح كراكس بأربع سنين ، فمنذ عام 1942 اخذت بتصفية اشغالي وجميـــع اموالـــي وتبذيرها ، فى هذه السنين نظمت لنفسي ولوطنـــي ما يزيد على ثلاثين قصيدة تجدها فى ديوان « النوافل »

كتبـــي الاخـــرى

واضافة الى « النوافل » الذي صدر عام 1947 هناك كتب اخرى وهي : حكاية مغترب (عـــام 1960) و : أدبنا وادباؤنا فى المهاجر الامريكية (عام 1965) ومن ذكرياتي مع ادباء المهاجر : شخصيا لم اعرف جبـــران ولم اعرف نعيمة الا فى لبنان ، ولم اعرف الريحاني الا فى مصـــر ، ولكن اتصالي برفاقهم فى الرابطة القلميـــة بنيويورك كانت شخصية ، ومثلها كـــانت اتصالاتـــي بعشرة ادباء آخرين من خارج الرابطة ، فكنا نلتقي في فترات قليلة متباعدة حينما ازور نيويورك ونتراسل عن بعد من حين الى حين ، ولمـــا تواترت اسفاري الى نيويورك ابتداء من عام 1929 كان جبران قد انتقـــل الى رحمة الله ، ونعيمة استقر فى بسكنتا ، والريحاني فى الفريكة ، فلم تتوثق صلات المعاشرة والمراسلة الا مع ايليا ابى ماضي من أدباء الشمال . اما أدباء الجنـــوب فى البرازيل والارجنتين بنوع خاص ، فقد عشت بينهم وعاشرت كل فرد منهم تقريبا ، وعـــرفت احوالهـــم وسيرتهم على مدى السنين بطبيعة الحـــال ، دون ان اتعمد البحث والاستطلاع ، فجاءت دراساتي عنهـــم اوسع واعمق ، وقد اصاب نعيمة بقوله : انـــي كنت متعبا فى كتابتي عن ادباء الشمـــال ، ومستريحـــا فى كتابتي عن ادبـــاء الجنـــوب .

دمشـــق : ياسين رفاعيـــة



طريق الطعن الموازي في القانون المغربي

للأستاذ محمد اللعبي

مقدمـــة

اذا تصفحنا النصوص التشريعية الصادرة بشان القضاء الاداري ببلادنا اتضح لنا ان المشرع المغربي لم ياخذ بنظام القضاء الموحد القائم على وحدة جهة القضاء واختصاصها بنظر جميع انواع المنازعات فى الدولة سواء كانت منازعات فردية او منازعات ادارية ، والمعروف بـ « النظام الانجلوسكسوني » . كما ان مشرعنا لم ياخذ بنظام القضاء المزدوج القائم على وجود جهتين قضائيتين: جهة القضاء العادي التي تختص بنظر المنازعات الفردية، وجهة القضاء الاداري التي تختص بنظر المنازعات الادارية ، والذي اخذت به معظم الدول الحديثة ، وفي طليعتها فرنسا التي ابتدعته رغبة منها فى تحقيق استقلال الادارة فى مواجهة المحاكم القضائية العادية ، بل ان القانون المغربي ابتكر طريقة جديدة اخذ بها وكان يرمي من ورائها الى الجمع بين مزايا كل من النظامين وتلافي عيوبهما دون ان يخرج بذلك عن اعتبار ما يمتاز به نظام القضاء الموحد من البساطة وسيادة القانون بالنسبة لاشخاص القانون العام والقانون الخاص على السواء ، وما يمتاز به نظام القضاء المزدوج من مراعاة اختلاف طبيعة العلاقات الفردية عن العلاقات العامةمع ما يتطلبه ذلك من اختلاف التنظيمات التي يتعين ان يخضع لها كل منهما .

وهكذا نرى المشرع المغربي بعد ما اسند النظر الي المحاكم المحدثة بظهير 12 غشت سنة 1913 — والتي ادمجت باجهزتها وقوانينها فى المحاكم المغربية الموحدة — اسند اليها حق النظر وحدها فى جميع المنازعات التي تكون الادارة طرفا فيها ، فكان الاختصاص بالنسبة لقضاء المسؤولية مقررا للمحاكم الاقليمية والاستينافية باعتبارها اول وثاني درجة ، وهي التي تملك حق الحكم بالتعويض عن الاضرار التي تسببها الادارة للافراد بسبب اعمالها القانونية او المادية . بصفتها محاكم عادية ، مع وجوب امتناعها ان تامر بصورة اساسية او تبعية بكل اجراء من شانه تعطيل عمل الادارات العمومية او الفاؤه او عرقلة تنفيذه . كما اسند المشرع المغربي بالفقرة الثانية من الفصل الاول من ظهير 27 شتنبر سنة 1957 الاختصاص الى المجلس الاعلى بالنظر في طبقات الفاء القرارات الصادرة من السلطات الادارية بدعوى الشطط فى استعمال السلطة .

ونص الفصل الثاني من الظهير المشار اليه على تقسيم المجلس الاعلى الى غرف منها واحدة ادارية يكون من اختصاصها — عملا بالفصل 17 منه — النظر في :

1) مطالب النقض المرفوعة ضد الاحكام الصادرة فى القضايا التي يكون فيها احد الخصوم شخصا عموميا. (اى قضاء المسؤولية) .

2) طلبات الالغاء الموجهة ضد مقررات السلطة الادارية بدعوى الشطط فى استعمال السلطة (اي قضاء الالغـــاء) .

ومن مقتضيات الفصل 17 من الظهير التاسيسي للمجلس الاعلى انه « يصح ان تبحث وتحكم كل غرفة فى القضايا المعروضة على المجلس ايا كان نوعها ». وبهذا النص يتأكد ما ورد فى الفصل الاول من هذا الظهير من اسناد الاختصاص للبت فى طلبات الفاء القرارات الادارية الى المجلس الاعلى لا الى غرفة معينة منه ، وبهذا النص ايضا تعتبر الفرفة الادارية جزءا من المجلس الاعلى الذي يسوغ لكل غرفة منه ان تبحث وتحكم في كل القضايا المعروضة على المجلس سواء كانت ادارية او غير ادارية . ويختلف اختصاصها بنظر المنازعات الادارية باختلاف نوع القضاء ، ففي قضاء الالغاء هـو

اختصاص بنظر موضوع النزاع في أول وآخر درجة للتحقق من كون القرار المطعون فيه والمطلوب الغاؤه مخالفا للقانون او موافقا له ، فيحكم بالغاء هذا القرار في الحالة الاولى . او برفض طلب الالغاء في الحالة الثانية. اما في قضاء التعويض فهو اختصاص بنظر صحة تطبيق القانون على النزاع ثم الحكم بنقض او عدم الحكم الصادر فيه وفقا لما اذا كان متفقا او غير متفق مع القانون . فاذا قضت الغرفة الادارية بنقض الحكم فانها اما ان تحيل القضية على محكمة اخرى واما ان تتصدى الغرفة بنفسها لنظر القضية والبت فيها نهائيا .

وبالتأمل في هذا النظام المبتدع نجد القانون المغربي قد رجح بصفة عامة نظام القضاء الموحد ومال الى الاخذ به ، غير انه اضاف الى ذلك بعض مظاهر نظام القضاء المزدوج جامعا بين مزايا كل من النظامين ومتلافيا عيوبهما .

* * *

وبعد ، فقد جعل القانون المغربي من بين الشروط الشكلية التي يجب توافرها في دعوى الغاء القرارات الادارية بسبب الشطط في استعمال السلطة ، انتفاء طريق الطعن المقابل أو الموازي (Recours parallèle) اي ان لا يكون في وسع المدعي الوصول الى حقه بالالتجاء الى طريق قضائي آخر .

فقد نص في آخر الفصل 14 من الظهير التاسيسي للمجلس الاعلى على انه « لا يقبل طلب الالغاء الموجه ضد المقررات الادارية اذا كان في استطاعة من يعنيهم الامر المطالبة بحقوقهم لدى المحاكم العادية » . ولا شك ان الامر هنا يتعلق بحقوق تتعلق بقرار اداري من مصلحة صاحب الحق الغاؤه ، ومع ذلك حرمه القانون من الالتجاء الى طريقة الالغاء الاصلية الا اذا لم يكن في استطاعته الحصول على حقوقه عن طريق القضاء العادي.

فما هو اصل هذه القاعدة في القانون المغربي ؟

وما هو اساسها ومدى تطبيقها ؟

وهل يستطيع القضاء العادي ان يفصل بمقتضاه في الدعوى المعروضة عليه دون ان يتعرض للقرار الاداري ؟

وما هي حدود هذا التعرض ؟

ان هذه النظرية ابتدعها مجلس الدولة الفرنسي دون ان يستند في ذلك الى اي نص قانوني ، وهي تقضي بعدم قبول دعوى الالغاء اذا كان في امكان المدعي ان يحقق بالتجائه الى طريق قضائي آخر نفس النتائج التي يريد الحصول عليها عن طريق دعوى الالغاء ، وقد تبنى المشرع المغربي هذه النظرية وضمنها الفصل 14 من ظهير 27 شتنبر سنة 1957 فاصبحت قانونا .

واساس النظرية الفرنسية هو ان مجلس الدولة وان كان هو المختص وحده كقاعدة عامة بالغاء القرارات الادارية ، الا ان الجهات القضائية الاخرى كان لها الحق في كثير من الاحيان ان تقدر مشروعية هذه القرارات عند النظر في النزاعات المعروضة عليها (Appréciation de la légalité) فتقرر لزوم أو عدم لزوم آثارها للافراد تبعا لما اذا كانت معيبة أو غير معيبة ، دون ان تلغي القرار الاداري او ان توقف تنفيذه ، نعم كان بامكانها ان تشل آثاره عمليا وذلك بالنسبة لرافع الدعوى فقط ، وهنا لا يكون اي فرق بالنسبة لصاحب المصلحة بين التجائه الى قضاء الالغاء او الى غيره ما دام الحق الذي يطلب الحصول عليه سوف يتحقق بهذه الطريقة او بتلك ، نعم هناك فرق جوهري وهو ان القاضي الذي يثار امامه الدفع بعدم شرعية قرار ما ، اثناء نظر قضية من القضايا ، وتبين له انه مخالف للقانون، لا يملك سلطة الغائه أو ايقاف تنفيذه كما سبق، غير انه يستبعد تطبيقه على القضية المعروضة عليه فقط ، ويكون مفعول هذا الاستبعاد ساريا بالنسبة لطرفي النزاع في هذه القضية دون غيرها على قاعدة نسبية الاحكام . اما دعوى الالغاء فيترتب عنها الحكم ببطلان القرار والغائه في مواجهة الجميع وليس بالنسبة لرافع الدعوى وحده ، عملا بقاعدة ان الطعن بالالغاء هو طعن عيني وليس طعنا شخصيا بمعنى انه لا يتضمن مخاصمة جهة الادارة وانما ينصب على القرار الاداري نفسه ، لكن هذا الفرق الجوهري تظهر اهميته من الناحية النظرية الصرف ، اما من الناحية العملية فان صاحب المصلحة لا يهمه الا ان يفلت شخصيا من مفعول القرار ، وكلتا الطريقتين تحقق له نفس المقصود .

ولبيان مدى تطبيق هذه النظرية ياتي فقهاء القانون الاداري ببعض الامثال ، منها انه عند صدور قرار اداري معيب يمنع القيام بعمل مثلا فان بامكان الافراد اما ان يلتجئوا الى الجهة المختصة بالغاء القرارات الادارية ليطالبوا بالغاء القرار المعيب ، واما ان ينتظروا حتى تصدر عنهم مخالفة لهذا القرار ويحالون من اجل ارتكابها على المحكمة العادية المختصة لمعاقبتهم، فيدفعون حينئذ بعدم مشروعية القرار ، (Exception d'illégalité) . وفي هذه الحالة تحكم المحكمة

الجزائية ببراءتهم مستبعدة تطبيق القرار الاداري المعيب دون أن تلغيه .

وهذا المثال يوضح كيفية اثارة الطعن المقابل ضد القرارات الادارية أمام المحاكم لعادية ، ولكن فى صورة دفع فقط ، والدفع كما هو معلوم ليس الا مجرد وسيلة دفاع ، بخلاف الدعوى التي هي وسيلة هجوم ، والصورة التي يتجلى فيها الوصول بواسطة الدعوى امام القضاء العادي الى شل آثار القرار الاداري هي حالة ما اذا رأى الاشخاص ان الادارة قد فرضت عليهم اداءات بدون مبرر فان بامكانهم ان يلتجئوا الى القضاء العادي ليطالبوا الادارة باسترداد ما تسلمته منهم بدون موجب، دون أن يلتجئوا الى قضاء الالغاء ليطالبوا بالغاء القرار الاداري الذي فرض عليهم هذا الاداء ، ففي هذه الصورة يتجلى بصورة اوضح معنى طريق الطعن المقابل الذي يحرم الاجتهاد القضائي الفرنسي والقانون المغربي الافراد من رفع دعوى الالغاء اذا كان باستطاعتهم التوصل الى حقوقهم عن طريقه .

* * *

راينا ان اساس النظرية هو السلطة التي تملكها المحاكم القضائية لفحص مشروعية القرارات الادارية ، وبهذا الصدد نرى أن عمل المحاكم جرى بانه اذا طلب منها تطبيق تشريع معيب فانها تمتنع من تطبيقه لانه يعتبر غير موجود او على الاقل غير واجب التطبيق ، فاذا عرض عليها تطبيق قرار اداري لم يتقيد فيموضوعه بالتشريع الاسمى منه درجة مثلا ، فانها لا تملك الحكم ببطلان هذا القرار عملا بمبدأ الفصل بين السلطات ، ولكنها تملك فى هذه الحالة ان تمتنع عن تطبيقه على القضية المعروضة عليها ، وهي تملك ان تقوم بذلك تلقائيا لان مخالفة القرار الاداري للقانون الاعلى منه درجة يعتبر من النظام العام .

وقد اتجه القضاء الفرنسي الى ان القرار الاداري يكون قد لحقه عيب جسيم اذا صدر مخالفا للقانون ، وفى هذه الحالة يمكن للقضاء العادي ان يتعرض له باعتباره حامي الحرية الفردية والملكية الخاصة ، ويستطيع — خلافا للقواعد العامة — ان لا يقتصر على الحكم بالتعويض فقط بل يكون له ان يحكم على الادارة بعمل ايجابي كالرد والطرد والهدم .

(انظر الحكم الصادر من محكمة التنازع الفرنسية يوم 4 يونيه سنة 1940 فى قضية (Société Schneider)

وقد ردد القضاء المغربي فى بعض احكامه هذه القواعد العامة المتعلقة بسلطة المحاكم العادية لتقدير مشروعية القرارات الادارية ، وتاثر بالاتجاه الرامي الى ان وجود محاكم ادارية ليس معناه اطلاقا الاستغناء، عن اختصاص المحاكم القضائية فقد ورد فى حكم صدر بالرباط يوم 7 يبراير سنة 1947 ما يلي :

« اذا كان الفصل الثامن من الظهير الصادر بشأن التنظيم القضائي يمنع المحاكم القضائية من اتخاذ اي اجراء من شأنه عرقلة سير المصالح العمومية ، فانه لا يمنع هذه المحاكم من أن تتحقق فى كل الحالات هل توافرت الشروط الجوهرية اللازمة للقول بان هناك عملا اداريا ، وبأن تنفيذه وقع وفقا للقانون وللمقتضيات الآمرة والمباديء العامة » .

(مجموعة القرارات الصادرة من محكمة الاستيناف بالرباط ، لشهر يناير سنة 1947 ، صحيفة 133)

وورد فى حكم صدر بالرباط يوم فاتح ابريل سنة 1947 ما نصه :

لا يمكن مخالفة مقتضيات الفصل الثامن من الظهير المتعلق بالتنظيم القضائي الذي يمنع على المحاكم المدنية ان تامر بأي اجراء يهدف الى عرقلة سير المصالح العمومية ، وذلك بالحيلولة دون تنفيذ القرارات التي تتخذها ، غير انه يستثني من ذلك حالة ما اذا كانت هذه القرارات ، وبصفة عامة كل القرارات التي تتخذها الادارة بناء على نصوص تشريعية او تنظيمية ، غير موافقة الى هذه النصوص بحيث لم تعد تشكل فى الواقع الا اعتداء ماديا » .

(مجموعة القرارات الصادرة عن محكمة الاستيناف بالرباط لسنة 1947 صحيفة 182) .

وجاء فى حكم صدر بالرباط ايضا بتاريخ 8 يونيه سنة 1948 ما نصه :

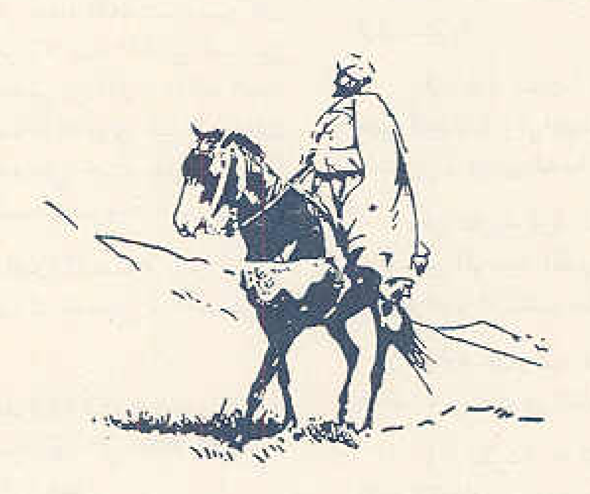
« اذا كانت القاعدة العامة تقضي بان المحاكم القضائية لا يمكنها — الا فى حالات محدودة — ان تبت بشأن مشروعية القرارات الادارية التنظيمية والفردية على السواء ، فان الامر يكون بخلاف ذلك عند ما يتعذر بصورة واضحة اسناد القرار الاداري الى نص تشريعي او تنظيمي ، بحيث لم يعد يمثل الا ما بحرمة مسكن وبالتالي ما بالحرية الشخصية وباحترام حق الملكية أي اعتداء ماديا » .

(مجموعة القرارات الصادرة عن محكمة الاستيناف بالرباط لسنة 1949 صحيفة 35) .

فيتضح من كل ما سبـق ان اختصاص المحاكـم القضائية بمراقبة اعمال الادارة اوسع مما يتصور ، وان الاجماع منعقد على ان هذه المحاكم يجب ان تمتنع عن تطبيق اي قرار اداري يعرض عليها اذا لم تتوافر فيـه الشروط الشكلية اللازمة لصحته ، او اذا لم يتقيـد بالتشريعات الاسمى منه درجة ، وبصفة عامة في كـل حالة لحق القرار الاداري عيب من العيوب الشكلية او الموضوعية ، بل ان لها ابعد من ذلك ان تحكم على الادارة بعمل ايجابي كالطرد مثلا وذلك في الحالة التي يكون فيها العيب اللاحق بالقرار جسيما .

واذا كان المشرع لم ينص على هذه القواعد صراحة الا انها تتمشى مع القواعد العامـة في القانون الاداري ويمكن التسليم بها بدون حاجة الى نص .

مراكش : محمد اللعبـي





للأستاذ : الراجي التهامي الهاشمي

(10)

8 ـ لهجة ازد شنوءة

يعرف الناس لهذه القبيلة صيغتين :

1) شنوءة ، بنون ممدودة بضم ، بعدها همزة مفتوحة ، وهذه هي الصيغة التي ذهب اليها صاحب « نهاية الارب (1) » واخبرنا ان هذه اللفظة اسم كان يطلق على ابيهم ، وهذا الاب هو : « عبد الله بن كعب بن عبد الله بن كعب بن مالك بن نصر بن الازد » كما أثبته صاحب « اللباب (2) » أما معناها اللغوي فيوضحه لنا صاحب « التاج » نقلا عن الخفاجي حيث يقول (3) : « رجل شنوءة اي طاهر النسب ذو مروءة » .

2) شنوة ، لا شك انهم قلبوا الهمزة واوا ، ثم ادغموا الواوين،وهي رغم خفتها لم تشتهر كما اشتهرت الاولى .

وهنا ملاحظة لا بد من ابدائها : ذلك أن خير الدين الزركلي يقول (4) : «انقسم بنوه (5) الى ثلاثة اقسام : ازد شنوءة ، وازد السراة ، وازد عمان » .

فالقبيلة ، ازد شنوءة ، جزء من ثلاثة أقسام عند صاحب الاعلام ، بينما يرى المستشرق (G. Strenziok) ان لفظة شنوءة التي تطلق عادة على ازد السراة تسمية غامضة (6) واذن لا ينقسم بنو الازد الا الى قسمين :

1) ازد السراة : وهي التي تهمنا ، اذا اعتمدنا دائرة المعارف ، ولا مانع من ذلك ، كان مسكنهم اهضاب عسير ، وكان افراد هذه القبيلة يتعاطون للحياكة ، ولذا كانوا لا يرحلون عن ارضهم التي كانت تمتد، من الشاطىء الاعلى لوادي قنوصي الى الشمال الشرقي من الطائف. واعتقد أنه يستحيل الان معرفة القبائل التي تنتمي الى ازد شنوءة .

2) ازد عمان : وهي التي تتكون من اولاد مالك بن فهم كحناء ، وفراهيد ، وتوى ، وغيرها . ومن اولاد نصر بن زهوان كحدان ومعاول .

ان تاريخ ازد شنوءة يكاد يكون مجهولا بتمامه . والشاعر الوحيد الذي اشتهر في هذه القبيلة هو الحاجز ابن عوف. اعتنقت هذه القبيلة الاسلام سنة 10 هجرية

ولقد شاركت هذه القبيلةفي القرآن الكريم بثمانية الفاظ ، وزعت في كتاب الله العزيز على الشكل التالي :

1) مفردة : « لاشية » الكائنة في سورة البقرة الآية 71 التي جاء فيها:«قال انه يقول انها بقرة تثير الارض ولا تسقي الحرث ، مسلمة لا شية فيها : قالوا الان جئت بالحق ، فذبحوها وما كادوا يفعلون » . ومعناها بلغة ازد شنوءة لا وضح .

قال في تفسيرها ابو الفضل شهاب الدين محمد

1) نهاية الارب ، صفحة 253 .
2) اللباب ، صفحة 30 من الجزء الثاني .
3) التاج صفحة 82 من الجزء الاول .
4) الاعلام الجزء الاول صفحة 288 من الطبعة الثانية
5) ويقصد ازد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان ، وهو الجد الجاهلي .
6) (Encyclopédie de l'Islam) الجزء الاول صفحة 835 من طبعة 58 .

الالوسي المتوفى سنة 1270 (7) «أي لا لون فيها يخالف لونها تأكيدا ... ووهم غير واحد فزعم انه للمبالغة والشية مصدر وشيت الثوب ، أشيه وشيا اذا زينته بخطوط مختلفة الالوان ، فحذف فاؤه كعدة وزنة »

أما أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري المتوفى سنة 616 هجرية فيقول عنها (8) : « والاحسن ان يكون صفة ، والاصل فى شية وشية ، لانه من وشا يشي ، فلما حذفت الواو فى الفعل حذفت فى المصدر وعوضت التاء من المحذوف ، ووزنها الان علة » .

2) كلمة : « تعضلوهن » فى سورة البقرة الآية 232 التي جاء فيها « واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان يومن بالله واليوم الاخر، ذلكم أزكى لكم واطهر والله يعلم وأنتم لا تعلمون » ومعناها بلغة هذهالقبيلة تحبوهن . والحبس هنا واقع على النكاح . ويجوز فى مضارعها الضم والكسر . قال الاصمعي : « عضل الرجل ايمه ، اذا منعها من الترويج» وهي مفردة كثيرة التداول فى اللغة العربية اعطت عبارات مشهورة ، كثيرة الاستعمال ، مثل « داء عضال » اي شديد ، اعيا الاطباء و « أعضلني فلان » أي اعياني امره . و « امر معضل » لا يهتدى لوجهه و « المعضلات» الشدائد . وهذا الاستعمال الواسع ، يدل ما فى ذلك من شك، على ان هذه المفردة الازدية دخلت اللغة العربية الفصيحة ، فى وقت مبكر ، ووجدت ارضا خصبة في اللغة العربية .

3) كلمة : « امة » فى سورة هود ، الآية 8 التي يقول فيها الحق سبحانه « ولئن اخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة ليقولن ما يحبسه ، الا يوم ياتيهم ليس مصروفا عنهم ، وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون » ومعناها بهذه اللغة « سنين » .

ولهذه المفردة وجه آخر، وجب علي ان أشير اليه، لان المعنى يستقيم به تمام الاستقامة ، وقد ذهب اليه جمهور كبير من المفسرين ، منهم الزمخشري والراغب الاصفهاني والزجاج وغيرهم كثير ؛ وهي ان تكون لهذه الكلمة معنى « جماعة » ولها امثلة اخرى فى القرآن الكريم ، منها الآية « ان ابراهيم كان امة قانتا لله » و « ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة » .

4) لفظة « الرس » فى سورة الفرقان الآية 38 التي جاء فيها « وعادا وثمودا واصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا » . ومعناها بلغة ازد شنوءة (البئر) .

لكن هذه المفردة بقيت غامضة فى كتب المفسرين. فالزمخشري مثلا يعطينا خمسة أوجه لتفسيرها ، لا يذكر البئر الا فى وجهين منها ؛ وملخص هذه التأويلات هي (9) :

1 — أصحاب الرس قوم من عبدة الاصنام ، اصحاب آبار ومواش .

2 — أصحاب النبي حنظلة بن صفوان .

3 — الرس قرية بفلج اليمامة .

4 — أصحاب الاخدود ، والرس هو الاخدود .

5 — الرس بانطاكية ، كذبوا نبيهم ، ورسوه فى بئر ، اي دسوه فيها .

اما ابو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفاني المتوفى سنة 502 هجرية ، فيقول مفسرا لفظة الرس (10) : « اصحاب الرس ، قيل هو واد » واستشهد بالشطر الاخير لبيت من شعر شاعر ، لم يذكر اسمه ، ولعله زهير بن ابى سلمى ، الذي قال :

بكرن بكورا واستحرن بسحرة
فهن ووادي الرس كاليد للفم

وبحث ابو القاسم الحسين هذا عن أصل هذه المفردةفقال: «اصل الرس الاثر القليل الموجود فى الشيء» فهو ، على كل حال ، لم يعطه معنى البئر الذي هو الاصل الاصيل فى هذا الامر .

وتعرض لها حديث الاستاذ محمد اسماعيل ابراهيم فقال (11) : « اصحاب الرس من اعلام القرآن .

7) « روح المعاني فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني » صفحة 291 .

8) « املاء ما من به الرحمن من وجوه الاعراب والقراءات فى جميع القرآن » الجزء الاول ، صفحة 43، الطبعة الاولى بالقاهرة ، سنة 1961 .

9) الكشاف ، الجزء 3 صفحة 97 .

10) المفردات فى غريب القرآن ، طبعة القاهرة 1961 صفحة 194 .

11) قاموس الالفاظ والاعلام القرآنية ، صفحة 144 الطبعة الاولى 1961 .

ذكر القرآن اسما لا يعلم حقيقة امرهم الا الله بين قوم نوح وعاد وثمود واصحاب الرس ممن كذبوا رسلهم وحق عليهم العذاب ، وكانت لهم مواقف تشبه مواقف قريش مع النبي ، وقص الله اخبارهم ، للعظة والاعتبار » .

وقد ذكرت هذه المفردة مرة اخرى في القرآن الكريم في الاية 12 من سورة ق ، والملاحظ انها وردت في الآيتين معا ، مقرونة بأصحاب .

5) كلمة : « بعلا » في الاية 125 من سورة الصافات . وهي مفردة سبق ان قلنا (12) انها من لهجة قبيلة حمير ، تستعمل بنفس المعنى في القبيلتين .

6) لفظة : «كاظمين » الاية 18 من سورة غافر التي يقول فيها جلت قدرته « وانذرهم يوم الازفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ، ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع » ومعناها بلغة ازد شنوءة مكروبين .

7) مفردة : « غسلين » في الاية 36 من سورة الحاقة التي جاء فيها «ولا طعام الا من غسلين» ومعناها كما قال العلامة ابو القاسم ابن سلام (13)في ذيل تفسير القرآن العظيم للامامين محمد بن احمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي : « الماء الحار الذي قد انتهى غليانه شدة ، بلغة ازد شنوءة » .

وعرفها جل المفسرين بانها غسالة اهل النار ، وما يسيل من ابدانهم من الصديد والدم . ومن هؤلاء الامام الزمخشري (14) ، وابو القاسم الحسين بن محمد الراغب الاصفهاني (15)،ومحمد اسماعيل ابراهيم(16).

ومعلوم ان غسلين اتت على وزن فعلين ، بزيادة الياء والنون .

8) كلمة : « لواحة » الكائنة في سورة المدثر الاية 29 التي جاء فيها « لواحة للبشر » ومعناها بلغة ازد شنوءة حراقة. والكلام عن سقر الواردة في الاية 27 من نفس السورة .

يخيل الي ان لها صلة متينة بلفظة اللوح المضمومة اللام التي بمعنى العطش ، لان شدة العطش يحرق الكبد ايضا .

هذه هي الفاظ لهجة ازد شنوءة كما وصلت اليها في بحثي ، وغير مستبعد ان يجد فيه المتضلع الماهر هفوات وسقطات ، ما اظن انه سيبخل علي بارشاداته وتوجيهاته ، وله الشكر سلفا . .

لهجة قبيلة عمان :

شاركت لغة عمان في القرآن الكريم بثمانية الفاظ، وزعت في كتاب الله على الشكل الآتي :

1) مفردة : « الصاعقة » الموجودة في سورة البقرة الآية 55 التي قال فيها جلت قدرته : « واذ قلتم يا موسى لن نومن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون » وقد وردت في الكتاب المبين على صيغ مختلفة ، اتت ماضيا في الاية 68 من سورة الزمر واتت مضارعا في الطور الاية 45 ، واتت اسما على صيغة الجمع في الاية 19 من سورة البقرة، وفي الرعد الاية 13 . ومعناها بلغة عمان الموتة .

لكن المفسرين لما اعطوها هذا المعنى خافوا ان يشمل ايضا الاية 143 من سورة الاعراف حيث ذكر نبي الله موسى الذي قال عن الحق سبحانه وتعالى في هذه الاية : « وخر موسى صعقا » فأولوها ب: « مغشيا» برر الامام الزمخشري هذا التأويل بقوله (17) : « وموسى عليه السلام لم تكن صعقته موتا ، ولكن غشية بدليل قوله تعالى : « فلما افاق » .

ولقد اعجبني تاويل الراغب الاصفهاني لهذه الكلمة حيث جعلها على ثلاثة أوجه (18) ، الموت ، والعذاب ، والنار . ثم قال شارحا هذا الاتجاه : « وما ذكره (أي القرآن (19) فهو اشياء حاصلة من الصاعقة ، فان

---

(12) دعوة الحق ــ العدد السادس والسابع من السنة التاسعة ــ صفحة 26 .
(13) الجلالين ، صفحة 254 من الجزء الثاني .
(14) الكشاف ، الجزء الرابع ، صفحة 136 .
(15) المفردات في غريب القرآن ، الصفحتان : 360 ــ 261 .
(16) قاموس الاعلام والالفاظ القرآنية ، صفحة 274.
(17) الكشاف صفحة 70 ، الجزء الاول .
(18) المفردات في غريب القرآن ، صفحة 281 .
(19) الزيادة من كاتب هذه السطور .

الصاعقة هي الصوت الشديد من الجو ، ثم يكون منه نار فقط أو عذاب أو موت ، وهي في ذاتها شيء واحد ، وهذه الاشياء تأثيرات منها » .

2) لفظة « خبالا » الاية 118 من سورة آل عمران التي جاء فيها « يا أيها الذين ءامنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يالونكم خبالا ودوا ما عندتم ، قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدرهم اكبر ، قد بينا لكم الايات ان كنتم تعقلون » . ومعناها « غيا » عمان .

ولقد وردت مرة ثانية في القرآن الكريم في الاية 47 من سورة التوبة « لو خرجوا فيكم ما زادكم الا خبالا » .

ويرى بعض اللغويين أن الخبال خاص بالحيوان يصيبه فيورثه اضطرابا (20) وقد وردت هذه المفردة في الحديث الشريف . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من شرب الخمر ثلاثا كان حقا على الله تعالى ان يسقيه من طينة الخبال » .

3) لفظة : « نفقا » في سورة الانعام الاية 35 التي جاء فيها : « وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء فتاتيهم باية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين » ، ومعناها بلغة عمان « سربا » له مخلص الى مكان .

والقرآن الكريم هو الذي وسع معناه ، فجعل الذي يدخل الاسلام من باب ويخرج من باب آخر منافقا . وما اظن ان هذه اللفظة ، بهذا المعنى ، كانت معروفة عند العرب قبل نزول القرآن الكريم . ويجعل بعض اللغويين اصل هذه المفردة « نافقا » اليربوع » .

ولم استطع ان اعرف الان ، تاريخ ظهور المثل العربي ، الذي يقول : « ضل دريص نفقه » . اهو قبل نزول القرآن أم بعده ؟ .

4) كلمة : « خمرا » الكائنة في سورة يوسف الاية 36 التي يقول فيها سبحانه وتعالى : « ودخل معه السجن فتيان ، قال احدهما اني أراني اعصر خمرا ، وقال الاخر اني اراني احمل فوق راسي خبزا تاكل الطير منه ، نبئنا بتاويله انا نراك من المحسنين » ، ومعناها بلغة عمان عنبا . ويقراها ابن مسعود (21) « عنبا » كما اثبت ذلك الزمخشري (22) .

الراجي التهامي الهاشمي

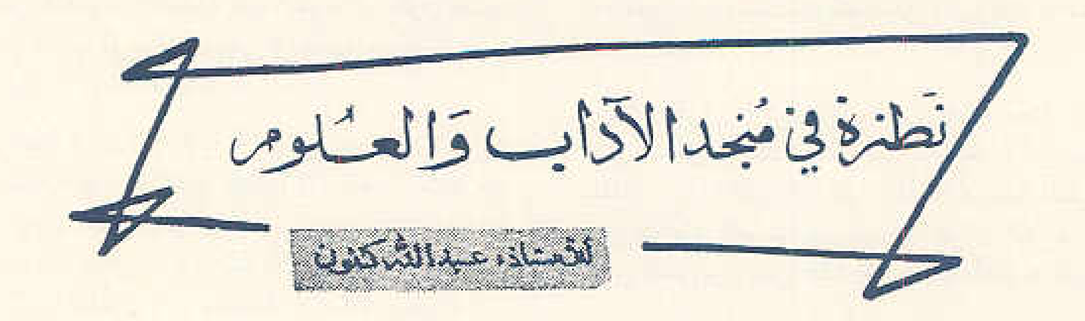
---

20) المفردات في غريب القرآن ، صفحة 142 .
21) (Jeffery) صفحة 49 .
22) الكشاف ، صفحة 255 الجزء الثاني .

كلنا يبغي الحياة

ارى كلنا يبغي الحياة لنفسه
حريصا عليها مستهاما بها صبا
فحب الجبان النفس اورده التقى
وحب الشجاع النفس اوردة الحربا

المتنبي



(18)

492) فى ص 428 ، ع ل كتب ما يلي : كاديكس (Cadix) راجع وادي ياش .. ولم يرد في هذه المادة المحال عليها شيء عن كلمة كاديكس . والمفهوم من الرسم الاجنبي للكلمة انها قادس المدينة الاسبانية المعروفة . وقد ذكرها المنجد فى حرف القاف وان كتبها قادس بالشين المعجمة ، فلو انه احال عليها هنا لهان الخطب . على ان الصواب حذف هذه الكلمة جملة والاكتفاء بما ذكر فى حرف القاف عن قادس فلم يقل احد فيها كاديكس حتى الاسبان انفسهم الذين يرسمونها بحرف (x) انما ينطقونها بالسين دون كاف ، وكذلك الامر فى وادي آش (Guadix) التي اشتبهت عليه بـ (Cadix)

493) فى ص 429 ، ع ن فى ترجمة للعالم الشيعي المعروف محمد حسين كاشف الفطاء ضبط فيها الفطاء بفتح الفين وهو بكسرها .

494) وفى المكان نفسه ترجمة للشاعر المصري المشهور احمد الكاشف سماه عمر وانما اسمه احمد وعمر اسم جده ، ولكنه لا يعرف به .

495) فى ص 433 ، ع ل ذكر كتاب الشعراني فى ابن عربي المسمى بالكبريت الاحمر وضبط الكبريت بفتح الكاف وهو بكسرها .

496) وفى نفس العمود ترجمة للشاعر ابي كبير الهذلي جعله الهزلي بالزاي والتصغير وهو خطا مزدوج

497) فى ص 434 ، ع ل ترجمة للعلامة ابن جعفر الكتاني قال فيها : من بني كتان ، ولا ندري من اين اتى بهذا العلم ولا اين يوجد بنو كتان هؤلاء . والمعروف ان الاشراف الكتانيين ينسبون الى احد اجدادهم الذي كان له اخبية من الكتان ، فقيل فيه الكتاني بسبب ذلك .

ثم قال المنجد من مصنفاته سلوة الانفاس ومحادثة الاكياس (مما) اقبر (فى) العلماء والصلحاء بفاس وصواب الفقرة الثانية من اسم الكتاب فيمن اقبر من العلماء الخ وفاته ان يشير الى كون الكتاب مطبوعا فى 3 مجلدات طبع حجر بفاس .

498) وفى هذا العمود بعنوان كتلان ، قال سكان اسبانيا الخ . ثم زاد قائلا اطلب قطلونية ، والمراد ان نقول ان الكتلان هم احد الاجناس الذين يتكون منهم سكان اسبانيا ، وليسوا وحدهم سكانها حتى يصح الاطلاق . وقد رجعنا الى المادة التي احال عليها فى حرف القاف عسى ان يكون فيها ما يفيد هذا الاطلاق فلم نجد لها ذكرا عنده .

499) فى ص 439 ، ع ل ترجمة لكسيلة الاوربي الزعيم المغربي المذكور فى تاريخ الفتح الاسلامي . ضبط اسمه فيها بصورة المصغر ، والمعروف انه بفتح فكسر على وزن قبيلة مكبرا .

500) وفى نفس العمود ترجمة لكشاجم الشاعر الاديب المشهور ، قال فيها له كتاب ادب النديم .. وينسب اليه كتاب البزيرة فى الصيد مخطوط فى غوطا . وهو يريد البيزرة فلعله تصحيف مطبعي ثم ان المعروف لكشاجم فى الموضوع هو كتاب المصايد والمطارد وهو مطبوع .

501) وفيه ايضا تعريف بكتاب كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ، قال فيه معجم لغوي في اكثر ما يحتاج (به) فى تحصيل العلوم والفنون باصطلاحاتها الخاصة بها .. وهو من الركاكة بمكان زيادة على ان الكتاب ليس معجما لغويا بل علميا كما يقضي بذلك اسمه .

502) وفي ع نى من هذه الصفحة ترجمة للشيخ حسن الكفراوي معرب الاجرومية المشهور ، جاء فيها تردد الى الامير احمد بك ابى الذهب ، فقرره ثالث ثلثة المفتين بمصر مع احمد الدردير المالكي والعريشي الحنفي .. وظاهر ان المراد ثالث ثلاثة مفتين بفاء فتاء بدليل مقارنته بالدردير المالكي والعريشي الحنفي مع انعلم بان الكفراوي كان شافعيا ، واما ان يجعل مفتيا مع هذين الشيخين فهو من اغرب الغرائب .

503) فى ص 440 ، ع نى بعنوان علم الكلام ما يلي : هو علم القواعد الشرعية المكتسبة عن الادلة .. وليس هذا تعريفا لعلم الكلام الذي يراد به علم التوحيد بل هو اقرب الى ان يكون تعريفا لعلم الفقه .

504) وفيها بنفس العمود ترجمة للسيدة ام كلثوم بنت النبي (ص) جاء فيها : يقال انها تزوجت احد ابناء ابى لهب دون ان تعقب ولدا .. وقد تزيد المنجد فى هذا الكلام ، فان ما قيل هو انها كان عقد عليها لعتيبة ابن ابي لهب ولكنه لم يدخل بها بل فارقها بضغط من ابيه لما اشتد الخصام بينه وبين الرسول عليه السلام ، وهي كانت اصغر بناته ، بدليل انها آخرهن زواجا ، فكيف يقول المنجد تزوجت احد ابناء ابي لهب دون ان تعقب ، موهما دخوله بها ؟ ومعلوم ان عثمان (ض) تزوجها بعد وفاة اختها رقية عنده ، وقد حكي المنجد ذلك بصيغة التمريض وهو امر لا مراء فيه .

505) فى ص 442 ، ع ل تعريف بالحرث بن كلدة طبيب العرب المشهور ضبط فيها كلدة بسكون اللام وهو بفتحها .

506) فى ص 443 ع ل كلمة تعريف بكتاب كليلة ودمنة ضبط فيها اسم دمنة بضم الدال وهو بكسرها

507) وفى نفس العمود كلمة عن بلدة قليبية التونسية بالقاف جعلها كليبية بالكاف وذلك من خطأ الترجمة .

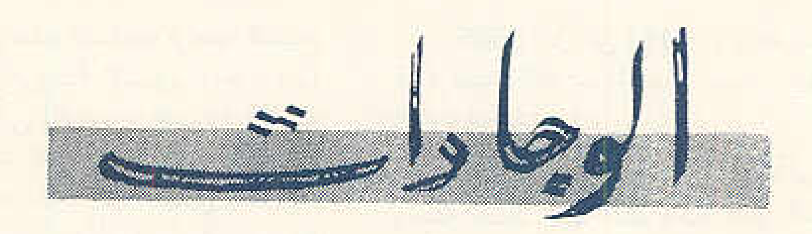
508) فى ص 444 ، ع نى تعريف بقبيلة كنانة قال فيه كنانة بن حزيمة بالحاء وهو خزيمة بالخاء المعجمة .

509) فى ص 445 ، ع نى كلمة عن كتاب الكنز المدفون والفلك المشحون ضبط فيها الفلك بفتحتين وهو بضم فسكون يعني هذا المركب المائي الذي يعرف ايضا بالسفينة . وقد احسن المنجد فى هذا التعريف بنسبة الكتاب الى مؤلفالحقيقة يونس المالكي لا الى السيوطي كما طبع منسوبا اليه خطأ .

510) فى ص 450 ، ع ل ترجمة شيخ المختار الكنتي المعروف جعله فيها الكونتي بواو بعد الكاف وهو خطأ .

طنجة : عبد الله كنون





للأستاذ عبد القادر زمامة

(5)

72 ـ الى البلوط .. ! ثم الى النخل .. !

وجدت في القسم الثالث من كتاب « المقتبس » لابن حيان ، الذي نشره ـ الاب ملشور . م . انطونية ـ بباريس سنة 1937 م ص 13 .

ان الاعرابي العذري الذي وفد على ابراهيم بن حجاج امير اشبيلية من الحجاز كان فصيح اللسان ذا قطع مستحسنة . منها قوله في بلوط الاندلس الفحصي المفضل لما طعمه . ففاضل بينه وبين التمر وذكر ناقته:

تحن الى البلوط حتى اذا اتت
بلادا بها البلوط حنت الى النخل
لقد ذكرتني اذرعات وهيجت
غرام فؤاد سرمد الخفق والخبل

73 ـ كأس .. ! وبسباس .. !

ووجدت فيه ايضا ... ان هذا الاعرابي دخل على شرب من اخوانه باشبيلية يتنقلون ببسباس رطب، دعوه الى الشرب فابى عليهم ، ومال على بسباسهم يرتعيه ويقول :

اذا لم يكن كأس فبسباس .. !
نرعى اذا شرب الناس .. !

74 ـ حبل الثوم ... ! !

ووجدت فيه ايضا طرفا من السباب والمهاجاة التي كانت بين اديب الاندلس ابن عبد ربه وبين الشاعر الهجاء المعروف بـ « القلفاط » .

ومن جملتها ان كتاب « العقد » الذي الفه ابن عبد ربه وكان يسميه « عقد الدر » ... ويسميه الناس « العقد الفريد » سماه «القلفاط» باسم آخر .. وهو : حبل الثوم ... ! !

75 ـ في بيت الوزارة
13 وزيرا ... !!

ووجدت فيه ايضا ان الامير عبد الله بن محمد الاموي .. السابع من امراء بني امية بالاندلس ... هو اول من استوسع في عدد الوزراء .. ! واكثر منهم حتى لاجتمع في بيت الوزارة منهم في بعض اوقاته ثلاثة عشر وزيرا ... ! ! !

76 ـ حتى تجالس بعدهم ابليسا ... ! !

في طبقات الاطباء والحكماء لابن جلجل الاندلسي مطبعة المعهد العلمي الفرنسي بالقاهرة سنة 1955 هـ ص 104 في ترجمة سعيد بن عبد ربه ... وهو ابن اخ الاديب الاندلسي احمد بن عبد ربه صاحب « العقد » وقد كان حكيما طبيبا ... وفصد في بعض الايام فبعث الى عمه : احمد بن عبد ربه الشاعر الاديب ان يحضره ، فلم يجبه الى ذلك وابطأ عنه ، فكتب اليه..

لما عدمت مؤنسا وجليسا
نادمت بقراطا وجالينوسا
وجعلت كتبهما شفاء تفردي
وهما الشفاء لكل جرح يوسى
ووجدت علمهما اذا حصلته
يذكي ويحيي للجسوم نفوسا

فأوصل الابيات الى عمه احمد ... فجاوبه بأبيات لم أجدني احفظ منها الا ثلاثة ، يقول فيها :

الفيت بقراطا وجالينوسا
لا يأكلان ويرزآن جليسا
فجعلتهم دون الاقارب جنة
ورضيت منهم صاحبا وانيسا
واظن بخلك لا يرى لك تاركا
حتى تجالس بعدهم ابليسا ... !

77 ـ مات فى الجنة جوعا ... !!

فى ترجمة ابي اسحق الحصري القيرواني صاحب كتاب « زهر الآداب » انه لما كان مقيما بطنجة ارسل غلاق الى المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية واسمها في بلادهم « حمص » فأبطا عنه ، وبلغه ان المعتمد لم يحفل به ... !! فقال :

نبه الركب الهجوعا
ولم الدعر الفجوعا
حمص الجنة قالت
لغلامي لا رجوعا
رحم الله غلامي
مات في الجنة جوعا ... !!

78 ـ أبو العلاء المعري ... وابن سيدة الاندلسي

فى كتاب : أخبار وتراجم اندلسية ، مستخرجة من معجم ـ السفر ـ للحافظ السلفي . ص 109

« سمعت ابا عبد الله محمد بن الحسن بن ابى زرارة اللغوي يقول :

« كان بالمشرق لغوي .. وبالمغرب لغوي .. في عصر واحد .. ولم يكن لهما ثالث ، وهما ضربان ... فالمشرقي ابو العلاء التنوخي بالمعرة .. والمغربي ابن سيدة الاندلسي ...

« وابن سيدة اعلم من المعري .. املى من صدره كتاب « المحكم » ثلاثين مجلدا ... !! وما فى كتب اللغة أحسن منه .. »

79 ـ لم يحتج أبدا الى طبيب ... !!

وفيه ايضا قال الحافظ السلفي : ص 126 .

« سمعت « مكية » بنت عمر بن هانىء التجيبي الاندلسي بالاسكندرية تقول : سمعت الحكيم ابا عبد الله الاشقر الطبيب بالمرية من مدن الاندلس يقول :

« من اكل الخبز بالزبيب .. لم يحتج ابدا الى طبيب ... !!! » .

80 ـ ينزل من السماء وعليه طابع المرابطين ... !!!

نقل ابن الخطيب فى كتابه « اعمال الاعلام » هذه النادرة فى اخبار ابن قسي الثائر الاندلسي الشهير الذي خرج اواخر عهد المرابطين . وزعم ان المال ينزل عليه من السماء ... !!

« ومن النوادر فى ذلك ان رجلا من البادية قال لبعض اصحابه وقد اعطاه : « عجبا لهذا المال الذي يصل الامام من السماء .. ! كيف عليه طابع المرابطين ... ؟؟ » .

« ولم يكن عليه طابع غير ذلك ... ونقل له هذا الحديث .. فكان آخر العهد بذلك الرجل .. ! »

81 ـ ويجهل من ـ فضله ـ جهله

وجدت فى ديوان الشاعر الفحل سيدي الفاطمي الصقلي المتوفى بالحجاز اواخر سنة 1310 هـ ... في وصف جهول ..

ولي صاحب بهرت اهله
خلال على اظهرت فضله
يجيد الخطا .. ! ، ويجي غلطا
ويجهل ـ من فضله ـ جهله

82 ـ ولكن النجوم لنا علامة .. !

ووجدت فى الديوان ايضا هذه القطعة :

وليل جنني فجننت منه
اذا قلت أصبح .. أسرى ظلامه
اطال بطوله سهري حتى
تخيلت انه يوم القيامة

فلولا انجم العليـــا تبــــدت
وبــان لـه الهـلال كما القلامـــة
تحقــق مــا تخيلـــه فـــؤادي
ولكن النجوم لنا علامــــة ...

83 ـ اشقـر وادهـم

في كتاب « نثار الازهار » المطبوع بالقسطنطينية سنة 1298 هـ هذان البيتان منسوبان للشاعر الاندلسي ابن اللبانـــة :

يجـري النهار الى رضاك وليلـــه
وكلاهمـا متعاقبـان لا يســـأم
فكأنما الاصباح تحتك اشقر ... !
وكأنما الاظلام تحتـك ادهـم .. !

84 ـ ليخرج من دائرة الشــك .. !!

وجدت في كتاب « عنـوان الدرايـة » ص 122 في ترجمة الامام ابى عبد الله محمد بن ابراهيم الاصولي هذه النادرة :

« ومن طرفه رحمه الله انه وقع الحضور بمجلس امير المؤمنين ، واحضرت لآلي نفيسة في طبق ، وعرضت على الحاضرين في المجلس واستحسنوها فعدت ، وفقدت منها واحدة ... ! ! فهـم امير المؤمنيـن بتفتيـش الحاضرين .. !!

« فأشار عليه بسوق قلة من ماء مملوءة ويدخل فيها كل انسان يده ... ستـــرا على الفاعـل ... ! فسيقت القلـة ... وابتديء بمن عن يمين الفقيـــه الاصولي .. او من عن يمين امير المؤمنين .. وكان هو عن يساره ، فلما انتهت القلة اليه ليدخل يده فيها امتنـع وقال .. صبوها .. ! فان وجدتم حاجتكـم .. والا فهي عندي .. !! فصبوها .. فوجدوها .. !! فخلص من الشك فيه .. ! ! »

85 ـ اول من ادخل قراءة « نافع » الى افريقيـة ...

وجدت في بعض المقيدات : ان ابا جعفر محمد بن محمد ابن خيرون المعافري الاندلسي اصلا القيرواني مستقرا .. هو اول من ادخل قراءة نافع بن ابى نعيـم الى افريقيـة .. ! وكان الغالـب على اهـل المغـرب والاندلس القراءة بحرف حمزة ... فشاع حرف نافع من يومئذ .. بعد ان كان لا يقرا به الا الخواص ...

وقتل ابن خيرون سنة 306 هـ على يد عبيد الله الشيعي .. ! ! ومسجد ابن خيرون ما زال معروفا بهذا الاسم الى الان في مدينة القيروان ... ! !

ولابن خيرون تراجم شهيرة في المعاجم التاريخية الاندلسية والافريقية ...

86 ـ ليلا يبتلي بها غيري من المسلمين ... !

وجدت في كتاب « معالم الايمان » :

« كان ابو بكر بن اللباد متزوجا امراة سليطـــة تؤذيه بلسانها وفعلها . وقاسى منها الشدائد فأشـار عليه بعض اخوانه بطلاقها .. فقال :

« انما ابقيتها من اجل ابيها .. ! وذلك اني خطبت الى جماعة من الناس فردوني وقالوا : لا نزوج بنتنا من صاحب محبرة .. وقلم ... ! ثم خطبت الى ابي هذه فزوجنيها لله عز وجل .. ! ! افتكون مكافأة له طلاق ابنته ... ؟ ثم اني اخشى ان اطلقها ان يبتلى بها غيري من المسلمين .. !!! »

87 ـ القهوة ... ! وابو الحسن الشاذلي .. !

وجدت ان الشيخ ابا الحسن الشاذلي رضى الله عنه المتوفى بصحراء عيذاب سنة 656 هـ .. هو الذي اشهر شراب قهوة البن بين اصحابه ليستعينوا بذلك على قيام الليل بالصلاة والذكر ...

ولهذا ما زال بعض الناس في الشـرق اذا قـدم اليهم كأس القهوة ... اخذه وقال :

« شى لله .. ! يا شاذلي ... ! ! »

88 ـ الرحالة ابن جبير بالاسكندرية ...

توفى الرحالة الاندلسي ابن جبير بالاسكندريـة سنة 614 هـ وهو صاحب الرحلة الممتعة التي سجلت جانبا من تاريخ الحروب الصليبية والدولـة الايوبيـة والحالة الاجتماعية والاقتصادية في الشرق ... وقد عرف ابن جبير هناك باسم « سيدي جابر » ، وما زالت عدة اشياء هناك في الاسكندرية تضاف اليه ...

ـــ محطة سيدي جابر .. !!
ـــ مسجد سيدي جابر .. !!
ـــ تين سيدي جابر .. !!

89 – شفاعـــة ... !!!

فى الجزء الثاني من كتاب الاحاطة ، تاليف لسان الدين ابن الخطيب ص 127 من الطبعة الاولى سنة 1319

فى ترجمة القاضي ابى بكر بن سعد الاشعري ...
« رفعت اليه امراة رقعة مضمونها .. انها محبه فى مطلقها .. ! وتبتغي من يشفع لها في ردها .. ! فتناول الرقعة .. ووقع فى ظهرها للحين من غير مهلة.

« الحمد لله ، من وقف على ما فى هذا المكتوب ، فليصغ لسماعه اصغاء مغيث ... ويشفع للمراة عند زوجها تاسيا بشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم «لبريرة» فى «مغيث(1)» والله يسلم لنا العقل والدين ..! ويسلك بنا مسالك المهدين ... »

90 – رثـاء قطـة

وجدت فى ديوان سيدي الفاطمي الصقلي هذه الابيات فى رثاء قطته . وقد التزم فيها ما لا يلزم :

واحسرتا لهريرة رزئناها
من بعد ما كان بالاحشاء مغناها
يا عين جودي بوبل وابك طلعتها
اذ صار فى قعر بير الدار سكناها
كانت لها خفة كالبرق حيث رات
فارا سطت به يسراها ويمناها
كانها ليث غاب فى مخايلها
وفى الفعال وفى أشكال مبناها
براثن كنبال السم بادية
وجمرتان من النيران عيناها
مهولة الخلق لكن فى غريزتها
من خلة الخلق اعلاها واسناها
تالف كل صفير لا تضربه
وهى على الفار مثل الصقر قسناها
ترضى اليسير ولم تخطف اذا منعت
لم تعو قط لو ان الضر اضناها
ما شانها غير ان الدهر غيرها
وقادها قدر المولى فافناها
صبرا فؤادي واسترجع وقل علنا
عند الذي حتم الموت احتسبناها

91 – مـد يـدك ... !

وجدت فى بعض الكناشات هذين البيتين :

ارقد اذا كانت الايام راقدة
ولا تعاند زمان السوء ان قصدك
ولا تقم لزمان السعد تطلبه
حتى تقول لك الايام مد يدك .. !

فاس : عبد القادر زمامة

1) قصة بريرة مع مغيث شهيرة فى كتب السيرة .

تـواضـع ...

كالضوء يصغر جرمه في نفسه
ويفيض عنه النور من مصباحه

نجيب الحداد



ملحمة الجهاد

« تحية لجهاد المغرب العظيم في ذكرى العشرين من غشت »

للأستاذ الشاعر: عمر بهاء الدين الأميري
نزيل رباط الفتح

قطوف من قصائد سابقة ، ومقاطع وليدة من وحي « عشرين غشت » الف منها الاستاذ الشاعر عمر بهاء الدين الاميري نزيل رباط الفتح ملحمة الجهاد ، لما دعى ، في العام الماضي للمشاركة في أعياد الذكرى المجيدة ، وقد أجرى فيها الشاعر لمسات جديدة ، وخص بها « دعوة الحق » التي تنشرها معتزة شاكرة .

1 ـ حوار في السماء :

قال : انى جاعل في هذه الارض خليفه
فأجابوا : يسفكون الدم ، فيها يفسدون ! ؟
نحن في أفلاك مجدك يا مليك من ملك
نحن في تسبيح حمدك نحن في التقديس لك
واله الكون ، في حكمته آى حصيفه
قال : انى عالم الغيب وما لا تعلمون

2 ـ آدم والشيطان

ومن الطين كان آدم ، لكن
ليس طين التكوين الا سلاله

نفخ الله فيه من روحه الاسمى
وقال : اسجدوا ، فتم الرسالة !

❊

وأبى ابليس ، بل جادل رب العالمين ! ؟
قال : هل أسجد للمخلوق من طين مهين ! ؟
وأنا من عنصر النار ! ؟ وقد ضل ضلالا !
عزة السجدة — للساجد — حبا وامتثالا
قال ابليس — وقد قبحه الله رجيما —
سأرى آدم — ان أخرتنى — كيدا عظيما
لاضلن بنى آدم اغواء ومكرا
فتضج الارض من ويلاتهم ، نكرا وكفرا

❊

وجرى آدم .. والشيطان يستقصى خطاه
مغويا ، مستدرجا فى جنة الخلد ، خطاه
كانت الذلة ، والتوبة ، والعفو الرحيم
ومشيناها خطى ، فى دورة الدهر المقيم
ومضى اغواء ابليس بمكر وعناد
ومضينا نعمر الدنيا ، ونحيا فى كباد
حشد الشيطان للشر جنودا وجنودا
ورفعنا ، فى سبيل الله ، للخير بنودا
من هنا ، نادى أذان الله : حى على الجهاد
فانطلقنا ، ولرب الخلق فى الخلق مراد

3 — قوافل النبوات

وتتالى عمر الانسان فى الدهر المديد
ألهدى ، والزيغ ، والكبوة ، والعزم السديد

أنبيــــاء ، وملـــوك ، ورســـــالات ، ودعـــــوة
واهتــداء ، وارتــداد ، وهنـــاءات ، وشــقـــــوه
وبــدا فى فلـــك الاقـــدار اشـــراق وســــــؤدد
لفـــت الـنــاس الــى اللــه ، فقــد جــاء محمــد
واذا للنـــور ، نــور اللــه فى الاكـــوان هــالــــه
تصنــــع الانســـــان بالقــرآن فتحــــا ورسالــــه
انهــا معجــزة الصحــراء ، واللــه لــه فى العــرب آيــه
تنبــت الامجــاد ، بالاســلام ، للــدنيــا هــدايـــه

4 ـ العروبــة والاســلام

قــالـــوا : « العروبــة » قلنـــا : انــهـــا رحـــم
ومـــوطــــىء ومـــــروءات ووجـــــدان
أمـــا العقيـــدة والــهـــدى المنيـــر لـنـــا
درب الـحـيـــاة ، فـأســـلام وقـــــرآن
وسرعـــة قــد تــآخــت فى ســمــاحـتـهــا
وعــدلهـــا الـفـذ أجـنـــاس وألــــوان
قلب مـــن الــنــور يحــى جـســم حــاملـــه
لـــه جنـــاحـــان : ايـمــــان واحـســــان
اذا تبــاهــت حـضـــارات ، بــمـجـدهـــا
وشـــاد مجـــد بنـــى الانـســـان انـســـان
فـــذروة الــعـــز فى ممتـــد عـــالمـــه
ورافـــع الصــــرح مـــا دانـــاه بنيـــان
« محمـــد » اللــــه ، أنـمـــاه وأبــدعـــه
أمـــرا حـكـيـمـــا ، وشــأنـــا دونـــه الـشــان
رســالـــة ورســـول جـــل ربهمـــا
والـديـــن أجــدر مـــن يــرعـــاه ديـــان

5 – ظلمات بعد نور

ومضى الامر ،،، وكنا رحمة للعالمين
وحكمنا الكون بالعدل ، وبالحق اليقين
ثم كانت – واه منها – نكسة من بعد قوه
فهوينا ،،، وهوينا ،،، هوة فى قعر هوه
قد تغيرنا ، فغار الله ، والله غيور
دول دالت ، ودولاب مع السعى يدور
وسطا فى الارض حكم أغفل الروح وضلا
خان عهد الله واستملى ، وأمر الله أعلى

6 – بأسنا بيننا شديد ،،،

وكأنا لم يكفنا ما دهانا ،،،
من وبال الاعداء والتهديد
فانتضى بعضنا ليضرب بعضا
سيف بأس ، بين العشير ، شديد
ضربات أحسها فى كيانى
وطعان اخاله فى وريدى
رب ضر يصيب حرا قصيا
يتراءى كأنه فى شهودى
والمروءات كم تقرب هما
رغم بيد يحجبنه خلف بيد

❋

آه ، يا ويح مقلتى ، كم تعانى
فى هوى أمتى لظى التسهيد
أمة حرة تحاول مجدا
لم يزل بينها بقايا عبيد

« عمـــلاء » للـغـــرب والـشـــرق حـــادوا
عــن حـيـاد هــاد ، ونــهــج رشـيـــــد
وأســـاری أطـمـــاعـهـــم وهــواهـــم
فـتـكـهـم فی الـبـــلاد فـتـــك لـــدود
وظـهـــور الفســـاد والجـهـــل والعصـيـــان
فــی أمـــة يـبـيـــد ويـــودی

7 — صيحة فی النائميـن

ضـج صبـــر الزمـــان مـــن سطـــوة الغـــرب
ضـجـيـجـــا ومـــال نـحـــو الـنـضـــود
لـــم يعـــد منطـــق الحيـــاة لـيـرضـــى
بـامـتـيـــازات سـيـــد ومســـود
فی حـــدود الاقـســـاط والـحـــق ، يـحـيـــا
الـنـــاس طـــرا مـــن قـائـــد ومـقـــود
فخـــذوا الـعـــدل ديـدنـــا ومنـــارا
فـهـــو للـحـكـــم مصـــدر الـتـوطـيـــد
وخـــذوا الـعـلـــم قـــوة وبـنـــاء
مشـــرقـيـــا ومـغـــربـــی الـــورود
وسلـــوه هـــل كـــان ينمـــى الـيـنـــا
يـــوم كـنـــا للعلـــم مـهـــد الـمـهـــود
وخـــذوا الـنـــشء بالتقويـــم مـــن الاخـــلاق
ان الاخـــلاق بـــاب الـخـلـــود
ان فـــی مـجـدنـــا الـعـريـــق سـجـايـــا
خـالـــدات رغـــم الجحـــود الحســـود
فـلـنـــا فی سـلامـنـــا عـــزم صـــدق ،
واتـجـــاه فـــی الـحـــرب غـيـــر مبـيـــد

كـــم بـــذلنـــا لـلـكـــون هـــديـــا ونـــــورا
ان جــــود الايـمـــــان أخـصـب جــــــود
ســـوف نـبـقـى عـلـــى الانـــام شـهـــودا
وسـيـبـقـى الـرســـول خـيـــر شـهـيــد
أمـــة القصـــد والـتـوسـط فى الـدنـيــــا
وروح الـمـغـــزى ، وبـيــت الـقـصـيــد
كـنـتـم خـيـر أمـــة أخـرجـت لـلـنـــاس
" هـديـــا ورفـعـــة فـــى الـوجــــــود

8 ــ المغـرب يستيقـظ :

ومضـى يعلـــن مـــن طنجـة ليث عـربــــى
صيحـــة تستلهـم الاقـــدام مـــن روح النبـــى
انـــه « محمـــد الخـامـس » مــــن آل محمـــد
نفخ الصـور الـــى الثـــورة ، والشعب ممهـــد :
« يـــا بـنـى الـعـــرب ، هــــل تـــرون وراء
الغيـــب ، دربـــا مـــا عـــاد بـالمســـدود
صــرخـات الـجـهـاد فى جـنـبـــات الـكــون ،
" تـلـقـــى مـنـــا حـفـــى الـــردود
فـــى تـرامـــى الاصـقـــاع تـســمـــع :
« لبيـــك » صـــدى مـن نجـودنـــا والوهـــود
« كـــأوان مـسـتـطـرقـات » يسيـل الـــدم
" فـيـهـــا بـمـسـتـوى مـنـضـــود
ان احـداثـنـــا الجســـام لـضــــرب
مـــن ضــروب الارهـــاص والـتـمـهـيــد
وسـيـــوف الـفـتـــوح بـعـد ركـــود
تـتـمـطـــى نـصـولهـــا فـــى الـغـمـــود

حكمة الله تمهل الظلم حينا
فتنة منه للظلوم الجحود
فاذا جاء امره صدق الوعد
ويا هول أخذه بالوعيد
سنة الله قد خلت فى الطواغيت
„قديما من قبل خلق ثمود
وستبقى ما دام فى الكون بغى
فترقب يا شعب صدق الوعود
سيؤوب المظلوم وهو سعيد
ومصير الظلوم غير سعيد »

٩ — جنون الظالمين

ذهل المستعمر واختل صوابه
أخذته عزة بالاثم واشتد اصطخابه
خلع « السلطان » والسلطان طود لا يزعزع
من يكن فى كل قلب عرشه ، هيهات يخلع
واذا المغرب بحر غاضب لا يستقر
واذا الثورة فى الشعب جهاد مستمر
وتتالى موكب المجد يضم الشهداء
عزمات ودماء هاجها ثأر الدماء
ودنى الاسلام كالبركان يغلى ويفور
فهنا شعب يلبى ، وهنا شعب يثور

10 — الى المعركة :

أخى فى الهدى أرهف الحس من
ضميرك ، واسمع نداء البطاح
تمازج فيه هتاف الثكالى :

الـــى الـثـــأر ! حـــل محـــل الـنـــواح
وصـــوت المـــؤذن : اللّـــه أكـبـــر ،،،
يـحـــدو الـجـمـــوع ، ويـشـفـى الـجـــراح
وزمـجـــرة الـبـــأس فى فـتـيـــة
لـقـــوا اللـــه زحـفـــا بـأمـضـــى ســلاح
بـــايـمـــانـهـــم ، قـــد تــلاقـــوا بـــه
هـــزال الـســـلاح ، وخـاضـــوا الـكـفـــاح
نـــداء ربـــى الـمـغـــرب الـحـــر هـــــذا
تـئـــن وتـــزأر مـنـــه الـريـــاح
جـهـــاد وأبـطـالـــه يـصـرعـــون
ولـلـمـجـد حـــق ، ولـلـنـصـــر ســـاح
الا يـــا مـــروءات فـاسـتـنـفـــرى
ذويـــك ، وهـــزى الـقـنـــا والـــرمـــاح
حـــرام عـلـــى الـحـــر طـيـــب المـنـــام
ولـيـــس الـمـبـــاح الـغـــداة مـبـــــاح

11 — وكـــان الظفـــر :

وكـــانـــت مـــواقـــع حـمـــر غـــــرر
وآى مـــن اللـــه فـيـهـــا عـبـــر
بـطـــولات شـعـــب جـلـيـــل الـخـطـــر
يـغـيـــر فـتـفـــزع مـنـــه الـغـيـــر
ويمـلـــى عـلـــى الـمـجـد اسـمـى سـيـــر
وكـــان الـجـهـــاد لـســـان الـقـــدر
فـعـــاد المـلـيـــك ، وكـــان الـظـفـــر

12 — درس من النصـــر :

يـــا صـائـنـيـــن ، برغـم البغـــى ، دينكـــم

وظافرين ، وقد صينوا بما صانوا
يا عصبة كتب الله العزيز ، بهم
لاغلبن ، فما حادوا ولا هانوا
ان الغيوب ، بحور الله تمخرها
أقداره ، وقضاء الله ربان
بنت لكم ، بأعاديكم ، مرابعكم
فكلها اليوم جنات وأفنان
ووسدتكم عروشا كان يحكمكم
منها الطغاة ، وكم جاروا وكم مانوا
كم أبرموا كيدهم ، فى فتك ذى طبع ،
على ابادتكم ، والعزم غيان
فكان من أمرهم ما كان ، واندثرت
أيامهم ، فكأن القوم ما كانوا
وأعقب الصبر مجدا من تألفه
تشدو الدنى ، ومنى العلياء تزدان
والبذل لله ، موصول الجزاء به
ولا حساب اذا ما من رحمن

❋

يا « مغرب » المجد ، غيض الماء ، وانتقدت
لك الحياة ، ولم يغليك طوفان
عناة أمسك قد عادوا غطارفة
وحاق بالبغى والباغين خسران
محاذرن أن يحيد السعى عن جدد
،، الايمان ، ان صراط الحق ميزان
وغيرة الله ، لا تنفك مصلتة

يقظى ، وللحكم عند الله ابان

*

تفاءلت فى دمى ، بالنصر ، ثورته
على الظلام ، ونور الله هتان
أكاد أنظر ، والرجوى موجهة
الى السماء ، وللتصميم امعان
يوما هو الفتح ، اذ صحت عزائمنا
على الجهاد ، وأمر الله فرقان
هيهات تقدر أن تجتث ما غرست
يد الاله ، طواغيت ، وأوثان

13 — وأعدوا ...

هدى النبوة ، يا ابنها ، ما زال مقدوح الزناد
هذى رحى الارزاء تطحننا ، وللامر اشتداد
كان الذى قد كان ، والدنيا انقباض وامتداد
والعاقل المقدام لا يثنيه عن سعى ، حداد
وأراك تدرك كيف حاد القوم فى غرر الحياد
و «تقدموا» فتأخروا ! والسير دون هدى ، ارتداد
وتفاخروا وتهاتروا ، و «ازرق» و «احمر» المداد !
فكن المجاهر باعتناق الحق ، وابتدر الجهاد
عبء الامانة يستحثك ، والحروب لها عناد
للامة الوسط الشهادة والسيادة والسداد
والمغرب المغوار للاسلام والفصحى عماد
من سار فيه على هدى الرحمن ، أولاه انقياد
فاجمع على الله العباد فانه رب العباد
وحد صفوف العرب ، بالاسلام وانتهج الرشاد
فالقوم فى الصف المشتت ليس ينفعهم عتاد

الله في الميدان ، والمدد الملائك في تناد
فاقدم جنود الخير والايمان واقتحم الجلاد
وامدد فلسطين السليبة بالمضمرة الجياد
واشدد على أعدائها الباغين « بالقوم » الشداد
وخض الوغى ، فالنصر وعدك ، والطغاة الى نفاد

14 — دعاء المجاهد

فجر اللهم في عزمي من نورك نورا
واصطنعني ، لغد الانسان ، في الآفاق صورا
تثب الدعوة من شدقيه ، بعثا ونشورا
كانطلاق الفجر بعد الليل ، اشراقا طهورا
حاكما عدلا ، بهدى الله صبارا شكورا
أنا يا ألله ، من روحك روح لن يحورا
فأنا للحق كالبرهان لا يترك زورا
وعلى الباطل كالبركان ويلا وثبورا
أنا نسر في السماوات العلى أم النسورا
أنا معنى في كتاب الكون قد زان السطورا
أنا قلب خافق أيقظ في الناس الشعورا
أنا قرآنك فانشر صحفي أهد العصورا
أنا أمر لك ، ان تصدره ، ذللت الامورا
أنا جنديك فابعثني لاقتاد الدهورا
وأقم حولي من سر مقاديرك سورا
ان دولاب الهدى في الكون دوني لن يدورا

عمر بهاء الدين الاميري (حلب)

نزيل رباط الفتح

الجولة الأولى

للشاعر: محمد الحلوي

كفكف الدمع ولا تجزع لما حل ... وخضها بثبات وصمود
جولة كانت وما أكثر جولاتك ... يا ثائر فى هذا الوجود !
قد كتبت النصر فيها سورا ... وكسوت الارض محمر البنود
بالضحايا شدتها شامخة ... والجماهير وبالعزم الحديدي
وطريق المجد لم يفرش لمن سار ... عليه بالزرابي والورودي !
ان تكن فاجعة العرب التي ... نزفت بالدم منهم والصديد
فلكم ذاقوا شبيهات لها ... وانجلت كالليل بالفجر الوليد
عركوا الدهر وذاقوا مره ... ومشوا كالسيل في بأس الاسود
أمة عزت على الخطب فما ... راعها باغ ولا حقد حسود
كل خطب يبتليها قوة ... ودم يدفعها نحو الخلود
ما عنت يوما لها ناصية ... لا ، ولا ذلت لجبار عنيد
كم تحداها الردى فانتفضت ... ومشت في الركب تسعى من جديد

* * *

هل درت صهيون أنا عرب ... لا ، ولا ذلت لجبار عنيد
كيف تخشى الاسد في آجامها ... صولة الاذؤب او زحف القرود ؟
هل نسوا ماضينا فاستأسدوا ... ام نسوا ماضيهم تحت القيود ؟
كتب الله لهم في ارضه ... ذلة وهو الموفي بالوعود
لم تقم يوما لهم قائمة ... تبتنى بالعدل والحق الوطيد
يا عبيد العجل صوغوا مالكم ... صنما واستقبلوه بالسجود !

قـد رفضتـم ديـن موسـى بعـده ومسختم قـدس هاتيك العهـود

لـم يعـان الكـون مـن ابنائـه مثل ما عانى من الشعب الحقود

لـو تجلـى اللـؤم في صورتـه لتـروه لـم يكـن غيـر يهـودي !

او سالـت القـدر عـن منبعـه قـال اصـدارى عنهـم وورودي !

دولـة واهيـة قامـت علـى حلـم غـرر بالشعـب الشـرود

وحـرى بمبانـي الحلـم ان تتهـاوى بعـد ايقـاظ الرقـود !

لا يرعكـم خلـب البـرق ولا يفزعن اسماعكـم قصف الرعـود

انهـا ساعتهـم قـد ازفـت لتريـح الارض مـن رجس مبيـد

* * *

يـا بنـي يعـرب هـذا يومكـم لتعيشـوا او تـواروا في اللحـود

لا تضيعـوه وفـي اعماقكـم صرخـة الحـق وثـارات الجـدود

واغسلـوا العـار ولـن يغسلـه غير محو البغي بالزحف العتيـد

وحـدوا الصـف ففـي وحدتكـم قـوة تصهـر دنيـا من حديـد

ان يكـن يومـا علينـا قلنـا غدنـا الحافـل بالنصـر المجيـد

تطـوان : محمد الحلـوي

ان اعفانـي من رؤيـة الاهلـة

قال المتوكـل : لولا ان أبا العيناء ضـرير لنادمنـاه .

فقال ابو العيناء : « ان اعفانـي المتوكل من رؤية الاهلـة ، وقراءة نقش الفصـوص ، فانـا أصلـح للمنـادمـة ! »

رسالة من خطوط النار

للشاعر محمد أحمد حيدر

تذكرتكم واحدا واحدا ... وقصف المدافع مثل الرعود
تذكرتكم عند خط الدفا ... ع على مسرح الموت عند الحدود
تذكرتكم وانا والرفا ... ق (1) (بواسط) حيث تقيم الاسود
اخاطبكم يا لحلم بحسـ ... ـن فوآدي اليه وقلبي المجيد
هنا حيث تفني جموع المـ ... ـدى ونحرس بالنار أرض الجدود
هنا يا صغاري تذكرتكم ... هنا حيث احيا بعيدا بعيد
تذكرت يا صبيتي كوخنا ... تذكرت عهدا ترى هل يعود
اذا عدت فاستبشروا وانشدوا ... على مدرج النصر احلى نشيد
وان لم أعد فاسألوا ربكم ... لي العفو واستنفروا من جديد
ستحرسكم اعين المخلصين ... وفاء وعين القوي المجيد

* * *

احباي لو كان يجدي البكا ... بكيت الرفاق شهيدا شهيد
بكيت الشباب بكيت الشيو ... خ بكيت الصغار وليدا وليد
بكيت السبايا بكيت الربو ... ع بكيت الضحايا بكيت الشريد

* * *

هنا يا صغاري ومن خندقي ... اقص عليكم حكايا الخلود
رفاقي سقى الله مثواهم ... عرفت بهم كيف تفني العبيد

عرفت بهم جراة لا تحد عرفت قلوبا تلين الحديد
رفاقي ويعرف حين العميد و وارض الغزاة المزيد المزيد

* * *

هنا يا صغار يموت الصغا ر فلن يبلغ الطهر دنيا اليهود
هنا يا صغاري تسرى صبية وناحت نساء وقدت نهود
هنا يا صغاري يموت الجما ل هنا يذبل الزهر تذوى الورود

* * *

صغاري غدا يستفيق السنا غدا يغمر النور اجواءنا
غدا وحدة العرب تبني القلا ع وتهدم ما شاد اعداؤنا
غدا نملأ الجو (بالطائرا ت) غدا تثقل السهل والمنحنى
غدا ندحر المعتدين الغزا ة وترجع يا صبيتي ارضنا
غدا نرجع (القدس) قدسية وتضحك ملء الروابي المنى
فلم تبتسم منذ عهد النبي مرابعها الخضر الا لنا
وما كرم الله سبحانه بني الكون يا عرب الا بنا
سنرجع ولينظر المعتدو ن بعيدا فقد يعرفوا باسنا

سوريا : محمد احمد حيدر

---

1) اسم بلدة على الحدود السورية .



طوبى لمن كتبوا بالدم ما كتبوا ... وارهبوا كل بطاش وما رهبوا
طوبى لملك وشعب ثار ثائرهم ... فعلموا زاحفا بطش الاسد اذ تثب
طوبى لشعب الفدى ان خاضوا معركة ... كان العدو دخانا اذ هم لهب
طوبى لمن نهضوا لا شيء يقعدهم ... لا النفس ، لا الولد ، لا الاموال والنشب
قوم اذا انتسبوا احنى الدهر هامته ... وقال : هذا لعمري العرق والنسب
خؤولة وعمومات لهم كرمت ... فليشهد العز انا بربر عرب
(قوم هم الانف والاذناب غيرهم) ... وهل يسوى بانف الناقة الذنب ؟
طوبى لمن صمدوا ، طوبى لمن صبروا ... طوبى لمن جاهدوا في الله واحتسبوا
شاء العدى رميهم في تنورهم عطبا ... لم يفلحوا ، فاذا هم في تنورنا حطب
من كل فج غزانا قبل طاغية ... فكان من راسه الهوجاء ما ركبوا
(وادي المخازن) يدري اي كارثة ... كنا عليهم وانا الجد لا اللعب
آبوا بخزي وابنا أوب منتصر ... والقهقرى رجعوا ، والبحر المنقلب
ما افلح اللص منهم جاء مغتصبا ... ان التراث الذي نحمي ليس يغتصب
فاعجب لمن بعدهم راموا دوس ساحتنا ... والنيل من عرشنا ؛ هذا عمركم عجب
فمادت الارض ، بل ساخت غب ثورتنا ... كذا المغاربة الاحرار ان غضبوا
فانبت ما عقدوا ، وانهار ما رفعوا ... وخاب ما بيتوا ، واندك ما نصبوا
وابطل الحق افكا مما لفقوا ، وكذا ... ان حصحص الحق لا يجدي الافك والكذب

* * *

حيوا (ابن يوسف) في ذكرى ثورته ... وثورة الشعب ، هذا واجب يجب
حيوا رجال الفدا ، حيوا شهامتهم ... لله ما استرخصوا ، لله ما وهبوا
كمثل آبائهم دعم العرش شيمتهم ... وما على غير انقاذ الحمى دابوا

فانظـر تجـد حبلهـم بالعرش متصـــلا
اما استـوى فوقه الصديق المنتخـب ؟

بلى هـو (الحسـن الثاني) هدي امتنـا
بنـوره تنجلـي الاقتـام والسحـب

ما بينـه والمعالـي مـن مساومـة
العـرض منـه ولمـا يطـرح الطلـب

هـو العزيمـة طـول الدهـر ماضيـة
تقيـم من عثـروا فى الارض واضطربـوا

مـن جنـد ربـك قـوام علـى حـرم
من سر ربـك ان يومـىء تنجلي الكـرب

لـو كان للنـاس قطميـر مـن شهامتـه
مـا ذل فـي الارض اسـلام ولا عـرب

ولا استبـاح حمـى الاقـداس دائبهـا
ولا تعـرت (بتـول) من حلي لها نهبـوا

ولا تضاحـك مـن اعلـى مقدس همـج
بينـا جـدار البكـا للعـرب منتحـب

* * *

ابناء جلدتنا ، كم صحـت وكم سلمـت ،
ما بالهـا اليـوم قد اودى بها الجـرب ؟

ايقلـب اللقطـاء الاوبـاش امتنـا
يا ويـح مـن مثلنـا امثالهـم غلبـوا

هـي القطيعـة يـا احبـاب نكبتنـا
ومـا هنالـك الاهـا للخنـا سبـب

عشـرون عامـا وصهيـون مبيتـة
لنا الدمـار ، والهانـا الشتم والصخـب

فكـم لجـان رايناهـا كلمـا اجتمعـت
تباعـد الاهـل فيهـا حينمـا اقتربـوا

عـار علينـا واجيـال ستعقبنـا
ان يـورث العـار منـا ذلـك العقـب

كفـى بنـا ذلـة يـا قـوم فانتفضـوا
كفـى بنـا ما اذقنـا خلفـا فاعتصبـوا

امـا الزعيـق وتصفيـق بعد يعقبـه
الا كما نـق من صـدم الموجـة الحبـب ؟

اما الرصاص الـذي نـردي الشقيق بـه
احـرى بـه قلب صهيـون يا عـرب

* * *

يـا ايهـا (الحسـن) البانـي لامتـه
مجدا تعالـى ، اشرابت تحتـه القبـب

ان البطولـة مـا انفكـت حول عرشكـم
حصنا حصينـا حمـاه السادة النجـب

وكيف لا ـ وجزيتم خيرا ـ كنتم عاصفـة
يوم الكفـاح ، وسـدا بعـد ما ذهبـوا ؟

ولن تـزال ، بحمـد اللـه ، منتشـلا
من اللصـوص الـذي من ارضنا سلبـوا

* * *

طوبـى لكـم اسـرة الامجـاد قاطبـة
طوبـى لمـن وهبـوا للعـز ما وهبـوا

وليسلـم الامـل البسـام قرتنـا
(سيـدي محمـد) للامجـاد يرتقـب .

الرباط : ادريس الجائي

ابن زيدون

مسرحية شعرية في أربعة فصول

للشاعر عبد الله بن الهاشمي الفيلالي

الفصـــل الثـــالــث

مشـهـد واحــد

المناظــر :

1) بهو فسيح داخل قصر « عميد الجماعة » ويظهر ان « العميد » خصصه للسمر مع المقربين له ، وقد صفت فيه بعض المقاعد والمساند المحيطة بكرســي كبيــر .

والبهو يقع وسطا بين مدخلين واسعين على اليمين واليسار .
وكان المدخل اليميني يفضي الى حديقة القصر ، بينما توجد زاويـة امامية بجانب المدخل اليساري ، وقد نتجت عن نتوء الجانب الامامي لهـذا المدخــل .

وعند رفع الستار يظهر المسرح فارغا ، بينما عميد الجماعة يتقدم فى حاشيته لياخذ مقعده بينهم فى ابهة الملك .

2) قبل ان يتولى « عميد الجماعة » ابن جهور حكم قرطبة ، اشترط ان يكون له مجلس شوري يتركب من شخصين هما : عبد العزيز بن حسن ومحمود بن عباس .

ونرى الثلاثة وهم يتحدثون فى شان « ابن زيدون » ومعهم قاضـي قرطبة « ابو بكر بن ذكوان » ، وولي العهد « ابو الوليد » والجميع فى انتظار حضــور « ابن زيدون » .

العميــد : عبد العزيز .. علمت قولك صادقــا ان « ابن زيدون » الاديب همــام
عبد العزيز : مولاي .. يا ملــك البلاد .. انزد ري روح الهمــام ، ونصطفي من يضام
العميــد : محمود ..
محمود بن عباس: سمعا ..
العميــد : هل تراه ماجــدا يهوى البلاد ، وفى الفؤاد وئــام
محمود بن عباس: انــه شاعــر طموح الــى المجــد يحب البــلاد حبــا وفيــا
هو فى نصرة « العميد » على الخصــم ، وقد كــان بالحيــاة سخيــا

لست ادري بين الشباب هماما   ضم رأيا حرا ، وقلبا أبيا
كابن زيدون ، انه عبقري   يبتغي شاطىء الخلود السنيا
اي شعر غدا ب « قرطبة » اليو   م غناء .. يصبي الفؤاد الشجيا
مثل شعر عن « ابن زيدون » نرويـ   ـه كسحر يحيى الرجاء الذويا

احد الحراس : جاء مولاي « ابن زيدون »

العميد : فأهلا .. وسهلا ..

احد الحراس (لابن زيدون بصوت عال جدا) : تفضل وهيا

ابن زيدون (يدخل) : السلام الكريم نحو المفدى

الجميع : وعليك السلام

العميد (مشيرا الى المقعد) : اجلس بني
استمع ...

ابن زيدون (وقد جلس) : ها انا

العميد : دعوناك حقا   كي نرى منك رأيك العبقريا
قد علمناك حازما وهماما   اننا نكبر الفتى الوطنيا
يا « ابن زيدون » قد عرفتك شهما   ثابت الرأي ، حازما ، سمهريا
انت ادرى بشعب « قرطبة » اليو   م، وما تضمر القلوب التي
سل عن الحب في القلوب صميما   هل ستلقى حبا صفا اخويا .. ؟
طف بتلك البلاد دارا فدارا   طف بتلك الربوع حيا فحيا
هل ترى غير مسلم يبصر النا   ر ، ويغضي لكي تزيد مضيا
قد نسينا بأرض « الاندلس » الحـ   ـب ، فصرنا شعبا شتيتا زريا
لو حيينا على اتحاد لاضحى   عدلنا يملأ الوجود الغويا
غير انا خلنا الضلالة حقا   وتركنا تلك الطريق السويا
ضعف المسلمون — يا رب — فارحم   قد رجوناك عطفك الازليا

ابن زيدون : كان ما كان بيننا من وداد   فنسيناه ضلة ، وهو مجد ..
اننا سوف نرجع اليوم عهدا   ان سعينا ، وكان في السعي جد

عبد العزيز : هيهات لو تدرون ما هو داؤونا   حتى غدونا في البلاد طوائفا
لستم ترون معي بأن مصيبة   ملأت لنا سبل الحياة مخاوفا
هي حبنا في ان نسيطر .. اننا   من تحتها نهوى العدو محالفا
ونرى فخار العيش في حضن الهوى   ويراه ابناء الحياة معارفا
ويرون بشر الروح في نيل المنى   ونراه نحن تبخترا ومطارفا
الزيف في مثل الحياة اماتنا   وجرى على الاخلاق سيلا جارفا

ابن زيدون : اقذفي — يا جحيم — نارك في الكو   ن ، فريح الشرور عاثت فسادا
لست ادري هل فكرة الشعب تجنى   ام اضاع الولاة منه الرشادا .. ؟
غير ان العدو يهوى خلافا   بيننا ، كي يطيح ركنا مشادا
هو يغرينا بالقتال ، ويقوى   كم يسوق الجميع ... مهما ارادا

العميد : ليت شعري .. هل من همام يؤاخي   بيننا ، كي نصير شعبا عتيدا

ابن زيدون : انت — مولاي — غاضب عن ولاة   قد اضاعوا لنا التراث المجيدا
انت اولى بملك اندلس اليو   م ، وان تغتدي مليكا وحيدا

العميد : يا ابن زيدون .. ان رأيك حر   غير ان الخلاف يفني الجهودا
كيف اقضي على الولاة ؟ واغدو   بعدهم احكم البلاد سعيدا
هو هذا المحال ..

ابن زيدون : مهلا رويدا   ان لي في المقام رأيا سديدا
لن تكون البلاد قلبا وحيدا   والبلاد اغتدت شعورا عديدا

ان فى وحدة الشعور اتحادا   لبلاد ترجو الحياة سعودا

العميد : اي روح فى ذا الوجود تؤاخي   بين شعب قاسى الخطوب السودا

ابن زيدون : هي روح الاسلام تبعث فيهم   من جديد ، تحيي الاخاء الوئيدا

فبروح الاسلام سدنا قديما   وبروح الاسلام نحيي العهودا

فاذا رقت القلوب .. استطعنا   ان نسوق الخصوم طرا عبيدا

ولكم من نزاهة الحكم ما يكفـ   ـي لجعل الجميع يرضى السجودا

ابو بكر القاضي: اسمعوا .. فالفؤاد مني يناجي   قلبكم خائفا بحلم الاماني

ان دين الشعوب رمز اتحاد   بينها فى فواجع وامان ..

يدفع الفرد للقتال شجاعا   هو فى النفس ثورة البركان

هو فى الروح شعلة .. ان انارت   مبدأ .. دام عمر الزمان

هو للقلب قدسه ، كم يضحي   ثائر الروح ، مستفيض الحنان

العميد : امهلوني .. فسوف اعلن رايي   واريكم فى الامر رايا فريدا

ابن زيدون : انت ادرى — مولاي — بالامر ، لكن   نحن نبدي لك الولاء الاكيدا

العميد : « ابن زيدون » قد احبك قلبي ..   وارى رايك الجميل سديدا

غير اني اريد منك وفاء   لبلاد .. قد اقتضتك جهودا

ابن زيدون : ان شعري فى حبها لمثال   من وفائي لمجدها المتسامي

هي قدسي المعبود ، كم ثار قلبي   حين تغزوها موجة الآلام

ابو الوليد ابن العميد: كم سمعنا من شعرك العذب لحنا   ساحر الجرس ، ناعم الانغام

ابن زيدون : عاش نجل « العميد » ان مديحي   لعلاكم يدين بالاكرام

ابو الوليد : اي مدح تعني ؟

العميد : ونحن جميعا   ما قرأنا مدحا ..

ابن زيدون :   واين كتابي .. ؟

هل اتاكم مني كتابان .. ؟

العميد : لا .. لا ..   لو اتاني شيء اتاك جوابي

ابن زيدون : بعد ما رتل الفؤاد نشيدا   فى علاكم كالجدول المنساب

قلتمو : لم تروا نشيدا

محمود بن عباس: رويدا   يا « ابن زيدون » جزت حد الصواب

عبد العزيز : قل .. لمن سقت ذلك المديح

ابن زيدون : لخلي   « ابن عبدوس »

ابو بكر القاضي: بئس فعل الصحاب

العميد (غاضبا) : كيف ؟؟ ؟

ابن زيدون : اني اسلمته يوم اضحى   كوزير لكم ...

العميد (يقاطعه) :   آثرت من اعجابي

فلماذا لم تأت وحدك داري

ابن زيدون :   انني قد خجلت ..

العميد :   عذر كعاب

هل تراني عن ايكم اتوارى   ام ترى للابواب من حجاب

ائت .. وادخل .. فالقصر ملك لشعبي   ائت .. وادخل ..

ابن زيدون :   جوزيت حسن الثواب

بك تسمو البلاد .. عشت سعيدا

العميد :   يا « ابن زيدون » عشت خلف الستار

شئت يوما ان اصطفيك وزيرا ،   فراوا رايهم .. وقالوا حذار ...

و « ابن عبدوس » من رماك بنقص

محمود بن عباس: بـرز الآن حقـده المتـــــواري

ابـن زيدون : عشت ــ مـولاي ــ للبلاد ظـلالا ... انـت مـلء الاسمـاع والابصـار

« ابن عبدوس » ان جنى علي ، فاني ... اغفـر الآن سـائـر الاضـرار

ليس هـذا المصاب رزءك فردا .. ... انـه وصمـة لهـذي الديـــار

ثقـة الشعب ان تلاشت ، فانذر ... وطنـا ضمهـم بكـل دمــار

سوف ادعـوه .. كي ارى اي شيء ... صـده .. اذ اتـى بهـذا العـار

اين غاب « الهزاز » ؟

الهزار (الحارس): مولاي سمعا

العميـد : قد أردنا حالا حضور « الفار » (1)

ابن عبدوس .. قل له : ائت حينـا ... نحن منـه علـى احـر انتظـار

الهـزار : سمعا ..

ابـن زيدون : انا ارجو اذا حضر ابن عبدو ... س الى هنا .. لم ابق بين الحضر

وهنا وراء الستر .. ابقـى واقفـا ... كيـلا يقـر بمـا جناه بمحضري

العميـد : لك مـا تشاء ..

ابو بكر القاضي: وربمـا اذ تختفـي ... ابدى لنـا مـا كان من احقـاد

كـم مرة قـد قلت : جانب شـره ... قول النصوح كصيحة فى الـوادي

ابو الوليد : قـد سمعنـا بأنـه قد شجـاه ... حـب « ولادة » فصـار عليـلا

ابو بكر القاضي: هـو يهوى جمالهـا .. وتـراه ... سيء الحظ ، عاشقـا ، مملـولا

ضاع حـق البلاد فيه ، واضحـى ... عن هوى الشعب ، والعلا ، مشغولا

كـان بالامس جالسـا قـرب داره ... ويغني الجميـل مـن اشعـاره

يتملـى المرج الخضيـر .. اليـه ... يحمل النسـم من شـذا ازهـاره

كل هـذا يحلـو .. ولكـن ايحلـو ... قرب حوض ينسـاب فى اكـداره

حيـن مـرت « ولادة » وراتـه ... كاد يهوى فى الحوض من اكبـاره

غراتـه ، والحوض سـاج ، فقالت ... قـول هـزء يعـد مـن اوزاره

« انـت الخصيب ، وهذه مصـر ... فتدفقـا ، فكـلاكمـا بحـر »

ابو الوليد : هب « يا ابن زيدون » الحياة صداقة ... هـل ترتضيـك صداقـة الانـذال

ابـن زيدون : قـد يغفـل الانسان عمـا ضـره

العميـد : صدقا .. وانك هجت شـوق فؤادي

لارى .. واسمع

ابو بكر القاضي: بئس تلك رذيلة ... ما كـل لـون فى الشـرور ببـاد

واذا يكـون هـوى الحياة ملونـا ... بصبـاغ نفـس المرء فى الاعمـاق

فصداقـة الانـذال لون فجورنـا

ابـن زيدون : مهـلا .. فايـن سماحة الاخـلاق

عبد العزيز : (كأنه اراد ان يتحول عن هذا الموضوع الى موضوع آخر يسبغ على الجو لونا من التسلية) :

لـ « ابن زيدون » قصة من غـرام ... ليس تخفى علـى جناب « العميد »

تتغنـى بها الجـواري ..

العميـد : فهـلا ... لابن زيـدون غيرها من جديـد

ان فى القصـر غـادة تتغنـى ... فتصيح الارواح هـل مـن مزيـد

وابـن زيـدون شاعـر غزلـي ... هـل لـك الآن اي شعـر نضيد

سوف ادعو الى هنا « منيـة النفـ ... ـس » فسلم لها ما ترتضي من قصيد

---

(1) لقب ابن عبدوس .

ابـــن زيدون : ليس لي الآن من قصيد ...

ابو بكر القاضي: ولكن ارتجل .. فارتجـال شعرك سهل

العميـــد : « منية » لو شدت بشعرك يومـــا لغـدا قدرهـا بشعـــرك يعلـو
وتـرى انت كيف شعـرك يسمـو بين لحن ، وبين صـوت رخيـم

ابو بكر القاضي: ارتجـل تحفـة مــن الفن .. خاطب ربـة الشعـر فى ظـلام السديـم

العميـــد (وقد شعر كان ابن زيدون وافق ، فأراد ان يستغل الموقف فنادى) :
«منيـــة النفس» اين انت .. تعالـي

عبد العزيز : احضروها فى الحال .. نادوا عليهـا

ــ يخــرج احـد الحراس ــ

العميـــد : داخل القصر .. هاهنا .. سوف احيي حفلة ... استدعـي الجميع اليهـا

منية النفس (وهي تقترب) :
ها انا يا مليك روحي ..

العميـــد : تعالـي .. « ابن زيدون » شاعــر لا يجـارى
سوف ترويـن عنــه اجمل شعـر كـم احب الغنـاء والاشعـــارا
ستغنيـن بالـذي سـوف ترو يـن

منيـــة النفس : نعـم ..

العميـــد : اجلسي ..

منية النفس (وهي تجلس) : فماذا ساروي

(هنا يقف ابن زيدون ، وكأنه يستلهمن السماء ما يريد ان يوحي به الـى « منية النفس » ، وفى هذه الاثنـاءتكون «منية» قد اخذت جلسة مـن يريد ان يكتب) ــ

عبد العزيز : ان اجدت الغنـاء بالشعر اضحـى صوتـك الحلـو فى البلاد يـدوي

ابو بكر القاضي: قـد تغنت بشعـره ..

عبد العزيز : مستحيـــل اين غنت بشعــره .. يا صديقـي

ابو بكر القاضي: كان نــادي « ولادة » ملتقانـــــا
(يسكت قليلا ، ثم يستمر بصـوتاعلـى :
بيــن فـرط الاعجاب والتصفيـق
قـدمتهـــا « ولادة » لتغنـــي اي لحــن ، واي شعــر رقيـــق
(يعم السكون .. بينما «منية النفس»تظل تتابعابنزيدون بنظرتها الشاردة)

ابن زيدون (يملي ، ومنية تكتب علىالورق) :

عينـاك هام السحـر فى هدبيهمـا وغفت طيـوف الحب فى دفئيهمـا
خصلات شعرك .. يا لها قـد مثلت قلبـي المولـه .. اذ تـرف عليهما
واذا يغيم الجو من سحب الاسـى اختال زهـو العمـر فى صحويهما
واذا رايت الفجـر منذهـل الرؤى يجثو .. ويقبس من سنا سحريهمـا
لا تعجبـي .. فالفن جن .. وانني قدست مجـد اللـه فى قدسيهمـا

* * *

عيناك الهمتا الفـؤاد ، ومهجتـي رفت بأجنحـة الخيـال اليهمـا
لتعب من عطر الحيـاة ، وتنتشـي احلامهـا بالخمـر مـن كأسيهمـا

(يتــوقــف)

العميـــد : احسنت .. يا للشعـر يأرج بالشـــذا

عبد العزيز : لا فض فــوك

ابو بكر القاضي: السحر بالاشعار

الحارس (يدخل) :

مولاي ، قد طلب ابن عبدوس المثول

(هنا ابن زيدون ينظر الى العميد ،ثم يتقدم نحو زاوية المسرح ، بحيث لا يراه «ابن عبدوس» وتتبعه منيةالنفس ، بحيث يظلان فى عمل وحوار بينهمـــا)

العميـــد : تفضل ...

الحارس (هو الذي يجيب) سمعـــا ..

(ولكنه يقول لابن عبـــدوس بصوتنسمعه) : تفضل .. وادخـــل

ابن عبدوس (يظهر) : مني السلام عليكمـــو

الجميـــع : وعليك منا مثلـــه ..

العميـــد : اجلس هنـــا .. وتفضـــل

ابن عبدوس : مولاي .. انـــي قـــد اتيتك مسرعـــا ماذا تشير اذن ؟

العميـــد : رويدا .. واعقـــل ..

ذلك «ابن زيـــدون» الهمام

ابن عبدوس : صديقنا

العميـــد : اضحـــى وزيـــرا فى الرعيـــل الاول

ان مجلس الشـــورى توحد رأيـــه قـــد بـــان الاستبداد ان لم نفعـــل

ابن عبدوس : المثـــل هـــذا قد داتيـــت اذن

العميـــد : لـــذا ولما ستسمع

ابن عبدوس : قـــل ..

العميـــد : فلا تتعجل

قد اوجب استدعاءك الزعـــم الذي زعم « ابن زيدون » امـــام المحفـــل

ايـــن الكتابـــان اللـــذان تغيبـــا عنـــا .. ؟ أهـــذا من وفاء المرسل ؟

ان ابن زيدون اصطفاك رسولـــه فحجبت عنـــا مـــا رجا مـــن مامل

ابن عبدوس : انا ــ مولاي ــ لا اطيـــق جحـــودا وفؤادي يـــرى الصداقـــة نصحـــا

كـــان فى فترتيـــــن اسلـــم كفـــي شعـــره .. يستفيـــض حبا ومدحـــا

غيـــر ان الشعور مـــا زال غضـــا ورنيـــن الالفـــاظ مـــا كان سمحـــا

انـــه شاعـــر المجـــون ، ولكـــن فى المديح الخيال ما اسطاع سبحـــا

قلت انـــي سأحجب الشعـــر فجـــا عنك .. حتـــى يلقي من الفن نجحـــا

العميـــد : نحن نعفـــو .. حيث اعترفت بذا الذ نب ، وحاذر من ان تكـــون حقـــودا

ابن عبدوس : اننـــي اعشق الصراحـــة فى القـــو ل ، فكيف الفـــؤاد يغدو حســـودا

لا تلمنـــي اذا غفلـــت ، واحـــرى بابن زيـــدون ان يعيـــش سعيـــدا

ساءنـــي انـــه غـــدا كوزيـــــر وهـــو يهوى عيـــش الحياة بعيـــدا

اتركوا الشاعر المجيد الـــى الشعـــ ـــر ، فقـــد يعشـــق الحياة خمودا

العميـــد : يا بن عبدوس .. زن كلامك .. واسمع آنـــه شـــاعـــر يـــرى العيش جـــدا

«مجلس الشورى » قد رآه جديـــرا ان يكون الوزيـــر .. هـــل تتحدى ؟

ابن عبدوس : انا ــ مولاي ــ شاكـــر فيك اخـــلا صـــا ، ولكـــن حـــق البلاد يؤدى

ان ارواحنـــا فـــداء عـــلاهـــا وهواهـــا فى القلـــب اضرم وجـــدا

فى «ابن زيدون» ــ لو علمتم ــ خلال زاد منها عن مهجة الشعب بعـــدا

محمـــود : نحـــن أدرى بـــه ..

عبد العزيز : واى خـــلال تلـــك

العميـــد : اذكر .. لا تكتـــم اليـــوم ســـرا

ابن عبدوس : انـــا اخشى علـــى مصير بـــلادي

(يسكت قليـــلا)

ابو بكر القاضي: ويك .. قل ..

محمـــود : لا تدع من القول امرا

ابن عبدوس : امـــوي ..

العميـــد : وكيـف يظهـر حبـــــا

ابن عبدوس : مـــن وراء الاخلاص يكتـم مكـرا

ابو الوليد : يا ابن عبدوس .. كيف ادركت هذا ؟

ابن عبدوس : انتـــي خلــه ..

العميـــد : اذن .. انـــت ادرى

(هذه الكلمة من « العميد » شجعتابن عبدوس ، فرفع راسه ، واصبح صوته يشعر بانتصاره ، وثقـــةالعميد به)

ابن عبدوس : هـــو يهـوى بنـــي اميـة فينـــا — سـوف يجني مـــن الوزارة قصـــدا

محمـــود : كيف — مولاي — تسمع اليوم قولا — من حسود يملـــي النصيحة حقـــدا

ابو بكر القاضي: هـــو يخشى مـــن ابن زيدون نبــلا — وولاء — نحـــو العميـــــد — وودا

نحن ادرى به .. ولـــم ننـــس يومـــا — كـــان فـيه عونـــا لنـــا مستعـــدا

هـــو مـــن شيعــة العميد وعــار — ان يجازى عـــن حبـــه لـــك بعـــدا

امـــوي اصــــــلا .. ولكـــن رويـــدا — هـــل يطيـــق الغـــداة للامس ردا

ما جنى من « بني امية » شعب — هـــو يبغـــي لـــه حيـاة ومجـــدا

لـــو يوالـــي « بنـــي امية » يومـــا — مـــا غـــدا ناقضا الى القوم عهـــدا

العميد (غاضبا) :

يا ابن عبدوس .. ما تقول ؟ اصدقـــا — كـــان منـــك الكلام ، ام كان غـــلا

انت تخشى من « ابن زيدون » ان يغـ — ـــدو وزيـــرا فيمـــلا الجـــو نبـــلا

ثـــم يحبـــوه ذلـــك الشعـب حبـــا — ويـــراه لصهـــوة المجـد اهـــلا

انـــا لـــولا عقابـــك اليـــوم يذكـــي — فتنـــة ، والظـــلام بالنـــور يجلـــى

كنـــت اجزيك عن جحودك كي تنظـ — ـــر .. هل صار مجلس الحكم هـــزلا

انا اخشى من ان يقولـــوا ملـــوك — ارهقـــوا شعبهـــم قصاصا وقتـــلا

ابن عبدوس : انـــا اهوى كل الصراحة في القـو — ل ، وافضـــي بالسر مدحا وعيبـــا

لا تظنـــوا منـــي العداء لشخـــص — انتـــي سالـــم لســـانــــا وقلبـــا

ان فكـري يـــرى حكومة شعبـــي — — انتعادت — كانتعلىالشعبحربا

كيف يغدو هذا ابن زيدون في الحكـ — ـــم ، وتوليه مهجـــة الشعب حبا ،

فـــاذا خـــان .. اي شيء سيلقـــى — بعد ان ساق في دجى الليل شعبـــا

«مجلس الشورى» فوق بهرجة الشعـ — ـــر ، ومـــا كـــانت الوزارة قـــولا

محمـــود : نحـــن ندري ان ابن زيدون اوفـــى — من عرفنا .. واخلص الناس فعـــلا

العميـــد : يا ابن عبدوس مـــا علمتك وغـــدا — قبل هـــذا حتـــى خبرتـــك حقـــا

ان غـــدا اليـــوم في عقابـــك شـــر — سوف تدري من بعد ذا ما ستلقـــى

خبثت نفسك البغيضة ، فاخـــرج — من مكاني ، كي تعرف القول صدقا

ابن عبدوس (وهو يقف) : سمعا .. ايـــا مولاي

العميد : (وابن عبدوس خارج :

فاذهب خاسئا « يغيب »

محمـــود : مـــا حكـــم الاخـــلاق والآدابـــــا

العميـــد : ابن « ابن زيـــدون » الاديب

ابـــن زيدون : اجل

العميـد : تقدم .. قد سمعت الاحداث والاسبابا

ابـن زيدون : لست ـ مـولاي ـ استطيع ثنـاء كيف يجزي زهر الرياض الغماما
ان خلـي .. وان اضـاع عهـودي غلـه في الحيـاة ارعـى الذمامـا

العميـد : استمع ..

ابـن زيدون : ها انا ..

العميـد : اتدري لمـاذا لـم اعاتبه في الغـداة ..

ابـن زيدون : عـلام .. ؟

العميـد : كي ارى مـن جميعكـم كـل راي فيه .. هـل اجتويه .. ام اتعامـى ؟
من دماء «الاسبان» ينبـع اصـلا ليس يغضي مما جنـاه احتشامـا

ابو الوليد : انـا رايـي الا يظـل وزيــرا

محمـود : انـا رايي ان يدخل السجن عامـا

ابـن زيدون : انـا رايـي خلاف مـا قد رايتـم ان في الصفـح من اذاه اعتصامـا
ان شـعـب البلاد ما زال في ضعـ ـف ، فكونوا فيـه رحمة وسلامـا

العميـد : هو ذا الراي ...

الجميـع : يا ابن زيدون شكرا

ابو بكر القاضي: هكـذا القلـب اذ يكـون كبيـرا
لم يواخذ بما جناه « ابن عبدوس » وان كـان مستطيعـا قديـرا

العميـد : يا ابـن زيـدون قد اردتك اسـتـا ذا لشبلـي ..

ابـن زيدون : وذاك اعظم فخـر

العميـد : علمنه الآداب والعلم ..

ابـن زيدون : لكـن لي حـر الافكـار في كـل امـر

العميـد : قـد قبلنـا .. فانت اكبـر حـر

ابـن زيدون : لك ـ مولاي ـ عاطر فوح شكـري

احد الحراس : مولاي ..

العميـد : ما بك .. ؟ قل ..

الحـارس : من الاسبان قد حضر الرسول ..

العميـد : ذروه يمثل ـ حالا

الرسول (يدخل) :منـا السلام عليكمـو ..

الجمـع : وعلى من اتبـع الهـدى

الرسـول : اعنو لكم اجلالا
اني رسول « حكومة الاسبان » اسلـ ـمكـم كتابـا يحمـل الآمـالا

العميـد : ائتنا بالكتاب ..

الرسول (وبيده الكتاب) : خذه ..

العميد (يشير الى المقعد) : تفضـل ...« يجلس الرسول » ..
ثم يقول لعبد العزيز بن حسن : قم لتتلو الكتاب ...

عبد العزيز : وهو يمسك الكتاب من يد الرسـول : مولاي سمعا ..

(ثـم ياخـذ في قـراءة الكتـاب)

« من مليك الاسبان ازكى سـلام لمليـك .. يحيـا صـديقـا وفيـا
ان قلب الاسبـان يخفـق حبـا .. ويناجـي فيكـم هـوى عربيـا
اعلمـوا .. اننـا نريـد سـلامـا لبـلاد .. تسقـى الـدم الاخويـا
نحن نرجو لشعب « قرطبة » النصـ ـر ، ونهـواه ان يعيـش هنيـا

ان تشاءوا في الحرب اي معين ؟ فابعثوا ترسل العتاد القويا
نحن انتم .. فلا تخافوا عدوا علموا « اشبيليا » الدفاع الابيا .. »
(يسكت)

الرسول : أنا أرجو الجواب ..
(ثم يحيي تحية خاصة ، ويتوارى)

العميد (في ذهول) : يا قوم انتم قد سمعتم .. فما ترون الجوابا
ابن زيدون : خدعة القول مثل سم الافاعي لم يكونوا في الارض الا ذئابا
من وراء الكتاب .. ماذا ارادوا ؟
صوت : طلبوا الود
آخر : بله خافوا قوانا
ابن زيدون : لم يخافوا .. ولم يريدوا ودادا بل تفادوا ان يبلغ العرب شانا
ان تقاتلنا بيننا يستريحو ن ، واذ ذاك قد يهون ردانا
سوف يقوون ان اثرنا حروبا بيننا ...
ابو بكر القاضي: في كتابهم اغراء
محمود : بئس هذا الاغراء بالحرب
عبد العزيز : تحيا وحدة العرب ...
ابو بكر القاضي: عاش فينا الاخاء
العميد : لا جواب الغداة يرجى
ابن زيدون : رويدا — عاش مولاي — في الجواب دهاء
ان اجبناهمو نجيب برأي صارم .. فيه عزة وإباء
نحن قوم الاخلاق ..
محمود : عفوا لماذا ؟ سنجيب الغداة قوما اساءوا
جرحوا روحنا ، وظنوا بأنا غير دارين .. ان ذا استهزاء
ابو الوليد : ارتأي ما ارتأى «ابن زيدون»
العميد : هذا صالح الراي
ابو الوليد : كان رايا سديدا
العميد : انا املي الجواب ...
عبد العزيز ومحمود (وقد تهيآ للكتابة) :
ماذا ستملي ؟
العميد : اكتبا البدء ...
هما : ها نحن ..
العميد : ثم زيدا
« قد محا السيف كل قول .. وعادت وحدة الدين تجمع العرب حبا
ما حيينا فلن نحب جميعا من يعادي الاسلام فعلا وقلبا .. »
(يسكت ، ثم يقول :
ايها الجمع .. هل ازيد كلاما ..
اصوات : حسبهم .. حسبهم ..
العميد (لمحمود ، وعبد العزيز) : فخطا الختاما
هما : لك سمعا ...
العميد : هاتوا أوقع
(يوقع الكتاب ، ويشير بحضور الرسول ، فيسلمه اليه قائلا :
خذوه وارجعوا .. اننا نراعي الذماما

الرسـول : ان قلبـي لخـافـق بـــولاء ولسانـي .. لا يستطيـع كلامـا
هكـذا دينكـم يؤاخـى ، نشعب كمليـك .. نشأنكـم قـد تسامـى
نوداعـا .. يحيي المليك ..

الجميـع : وداعـا

(يخرج ، ثم يعقب ذلك سكون رهيب)

العميـد : ايها الجمع .. اسمعـوا ..

الجميـع : نحن نسمـع

العميـد : اننـي لا ارى الرسالـة تكفـي لجحود « الاسبان » ..

محمـود : ماذا سنصنع ..؟

العميـد : لـو بعثنا تلـو الجواب سفيـرا لنرى رأيهـم ..

محمـود : وذلـك انفـع ..
من يكون السفير .. ؟

عبد العزيز : مـن ذا سيلقي جـذوة الـرعب فى قلـوب عدانـا

العميـد : ابـن زيـدون .. انـه عبقـري

الجميـع : ابـن زيـدون .. نـال منا رضانـا

العميـد : اسمع الآن ـ يا ابن زيدون ـ نصحي كن امينا ..

ابـن زيدون : مولاي .. اوليك شكـرى

العميد (لابن زيدون وهو يقف) :
صرتمـوا ذا الوزارتين .. (يتقدم نحـو المدخـل اليمينـي)

الجمع (يقفون ، ويتقدمون نحو ابن زيدون لتهنئته) :
هنيئا يـا ابن زيدون ..

ابـن زيدون : شكركم فوق قدري

(وسط هـذه الحركـة والجلبـة يسدل الستـار)

ـ ستـار ـ

الرباط : علال بن الهاشمي الفيلالي



ما زالت وزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية توالي نشاطها واهتمامها ببعث التراث الاسلامي ، وتمهد السبيل لخدمة اللغة العربية ، والحضارة الاسلامية ، والسنة النبوية لاغناء المكتبة المغربية ، وطبع أهم المخطوطات الاسلامية القديمة المخبوءة النادرة التي عز وجودها فكادت ان تصبح فى حكم المعدوم فتنشرها اتماما للفائدة وخدمة للشريعة الاسلامية الخالدة .

ولقد أضافت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ضمن ذخائرها واعلاقها تحفة رائعة اخرى وهي طبع الجزء الاول من كتاب (التمهيد ، لما في الموطا من المعاني والاسانيد) الذي يعتبر ذخيرة عظمى فى علم الحديث وفقهه ورجاله تاليف الامام الحافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله ابن محمد بن عبد البر النمري الاندلسي المتوفى عام 463 هجرية .

وقدم للكتاب العظيم ، الذي طبع بامر من صاحب الجلالة امير المؤمنين الحسن الثاني نصره الله ، معالي وزير عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية الاستاذ الحاج احمد بركاش بمقدمة بين فيها الجهود التي بذلت لانجاز هذا الكتاب القيم .

ويسر مجلتنا أن تقدم لقرائها الاماثل ترجمة الامام الحافظ ابن عبد البر بقلم الاستاذين مولاي مصطفى بن أحمد العلوي مدير دار الحديث الحسنية ومحمد عبد الكبير البكري الموظف بوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية اللذين قاما بتحقيق الجزء الاول وتصحيحه والتعليق على حواشيه . . .

ترجمة المؤلف :

هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي كنيته ابو عمرو يلقب بجمال الدين ينتهي نسبه الى النمر بن قاسط ابن هنب بن افصى بن دعمي بن جديلة بن اسد بن ربيعة بن نزار فهو من بني عدنان نسبه عربي صريح اصيل وقد نزلت بطون ربيعة باقليم وادي آش من بلاد الاندلس واشتهر هذا المكان باسمهم كما اشتهرت عدة اماكن بأسماء القبائل العربية الاخرى التي نزلت بها ابان الفتح الاسلامي وبعده .

مولده : ولد ابو عمر يوسف بن عبد الله رحمه الله زوال يوم الجمعة والامام يخطب فوق المنبر وهو اليوم الخامس والعشرون من ربيع الثاني سنة ثمان وستين وثلاثمائة هجرية الموافق للتاسع والعشرين نونبر من السنة الشمسية حدث بذلك عنه طاهر بن مفوز فقال : ارانيه ابو عمر مكتوبا بخط والده عبد الله رحمه الله ، وقد كان والده من الشعراء البارعين ، واهل الترسل والادب ، ويقال انه لم يأخذ عن والده ، لان هذا مات قبل ان يشب ابو عمرو ويبلغ سن التعلم .

نشأته : نشأ ابو عمر فى مدينة قرطبة وقد كانت يومئذ عاصمة الخلافة بالاندلس وسرير الملك ، ومدينة العلم والفضل والحضارة ، احتضنت فطاحل العلماء من كل فن ، وكانت مستقر السنة والجماعة،

نزلها جملة من التابعين وتابعي التابعين ، وقيل ان بعض الصحابة نزلها والله اعلم ، وقد سطع فى افقها نجوم المعرفة من كل فن ، والذين لا شغل لهم الا التبحر فى شتى انواع المعرفة ، فازدهرت لذلك فنون الاداب والعلوم ، واصبحت مركز الحضارة الاسلامية فى المغرب ، وقبلة الانام فيه ، ولكثرة علمائها ، واشتهار اهلها بالتمسك بالسنة ، صار عملها حجة فى بلاد المغرب ، فكانوا يحكمون بما جرى به عمل أهل قرطبة ، وكان الناس يشدون الرحال اليها لرواية الحديث ، ودراسة الادب والفقه والفلسفة ومختلف العلوم ، كالطب والهندسة والفلك وغيرها ، وقد امتاز الاندلسيون جميعا وبصفة اخص أهل قرطبة بالحرص على طلب العلم والتفاني فى اقتناء الكتب ، ومن ثم انتشرت المكتبات فى سائر الاوساط ، وكثر الوراقون والنساخ ، وتنافس الناس فى اقتناء نوادر المخطوطات ، وتباهوا بامتلاك المخطوط الفلاني ، والكتاب الفلاني ، وصار ذلك عندهم من مفاخر الاسر وامجادها .

واصبح العلماء عند اهل قرطبة مكان التبجيل والتعظيم والتوقير والاحترام ، يشار اليهم بالبنان ، ويحال عليهم عند اخذ الراي ، ويكال لهم الثناء باللسان ، يكرم جوارهم ، وتقضى حوائجهم ، ويوخذ فى المهمات رايهم ، وهم المرجع عند الحل والعقد .

فى هذا الافق العلمي الزكي شب ونشا وترعرع مؤلفنا ابو عمر يوسف بن عبد البر رحمه الله ، وفيه تفقه واخذ عن كثب عن كثير من فطاحل العلماء وفحول السنة ، وكتب بين أيديهم ، ولازمهم وداب فى طلب العلم ، لاسيما الفقه والحديث فقد تفنن فيه وبرع براعة فاق بها من تقدمه من رجال الاندلس ، فاتقن علوم السنة والقراءة ضبطا وحفظا وفهما ، حتى حاز لقب حافظ المغرب بدون منازع ، وكان ناصرا للسنة ، مستقل الفكر ، بعيدا عن الجمود ، ومن ثم كان يبغض التقليد ، فهو مجدد بارع فى الفقه والحديث، مجتهد فى استنباط المسائل الفقهية والاحكام ، ذو بسطة فى الاستدلال والحجية على آرائه وفهمه ، وهذا ما يدركه القارىء الكريم فى كتابي ((**التمهيد**)) والاستذكار وغيرهما من مؤلفاته القيمة ، فهو يمحص آراء الائمة المجتهدين ، فيقبل ، ويرفض ، ويرجح ، ويستدل لرايه بالسنة ، ويقارع الحجة بالحجة ، لا يرفض قولا الا عن بينة ، ولا يرجح رايا الا ببرهان ، ومن ثم اصبح رايه حجة عند الخاصة من أهل العلم ، واصبح علما بين المجتهدين من الفقهاء والمحدثين ، ومفخرة من مفاخر المغرب على المشرق .

يروى ان رجلا حضر مجلسه وأعجب بحفظه واتقانه ، فخاطبه يا حافظ المغرب ، فأجابه أبو عمر ، لعلك تريد ان الخطيب البغدادي حافظ المشرق ، فسكت ، وصادف ان رحل الرجل الى الشرق ، وادى فريضة الحج ، وحضر مجلس الخطيب البغدادي وسمع منه ، ثم عاد الى الاندلس واستمع من ابن عبد البر مرة اخرى ووجد البون شاسعا ، ولما انتهى المجلس ، قال له : يا حافظ .. و .. يريد يا حافظ المغرب والمشرق ، فحذف كلمة المغرب لانها وردت فى خطابه سابقا ، وحذف كلمة المشرق لانها وردت فى كلام الشيخ ابن عبد البر ، وكم كان الفرق بين الوقتين ؟

وقد وصف ابو عمر بانه حافظ عصره مطلقا ، ونعته بعض العلماء بانه بخاري المغرب .

رحلاته : لم يغادر ابو عمر بلاد الاندلس ولكنه تنقل فى ارجائها . شرقا وغربا فسكن دانية وبلنسية وشاطبة وتولى قضاء اشبونة ، التي هي عاصمة دولة البرتغال اليوم ، وكذلك شنترين ايام ملكها ابن الافطس ، اما اشبيلية فقد نزلها ، ولم يرقه المقام بها ، نظرا لما قوبل به من اهلها من جفوة وتنكر ، فارتحل منشدا :

تنكر من كنا نسر بقربه
وعاد زعاقا بعد ما كان سلسلا

وحق لجار لم يوافقه جاره
ولا لامته الدار ان يتحولا

بليت بحمص والمقام ببلدة
طويلا لعمري مخلق يورث البلى

اذا هان حر عند قوم اتاهم
ولم ينأ عنهم كان اعمى واجهلا

ولم تضرب الامثال الا لعالم
وما عوتب الانسان الا ليعقلا

وقد كانت اشبيلية تسمى حمصا تشبيها باختها بالشام ، وهكذا نرى ان الحافظ ابا عمر بن عبد البر رحمه الله كان اديبا شاعرا يجهد الفحول والبلغاء فى النثر والشعر وقد الف فى ميدان الادب كتابا يدل على مكانته السامية فيه سماه (بهجة المجالس وانس المجالس) جمع فيه نوادر ادبية ، وطرفا سنية ، ومن شعره يباهي بالعلم ويحض على طلبه .

اذا فاخرت فافخر بالعلوم
ودع ما كان من عظم رميم
فكم امسيت مطرحا بجهل
وعلمي حل بي بين النجوم
وكائن من وزير سار نحوي
فلازمني ملازمة الغريم
وكم اقبلت متشدا مهابا
فقام الي من ملك عظيم
وركب سار في شرق وغرب
بذكرى مثل عرف في نسيم

وقال في وصية لولده يحضه على الاستقامة وتقوى الله ويهون من شأن الدنيا ومتاعبها :

تجاف عن الدنيا وهون لقدرها
ووف سبيل الدين بالعروة الوثقى
وسارع بتقوى الله سرا وجهرة
فلا ذمة اقوى هديت من التقوى
ولا تنس شكر الله في كل نعمة
يمن بها فالشكر مستجلب النعمى
فدع عنك ما لاحظ فيه لعاقل
فان طريق الحق ابلج لا يخفى
وشح بايام بقين قلائل
وعمر قصير لا يدوم ولا يبقى
الم تر أن العمر يمضي موليا
فجدته تبلى ومدته تفنى

شيوخه :

اخذ الحافظ ابو عمر بن عبد البر عن الجهابذة من كبار علماء الاندلس وقد كانت قرطبة كعبة القاصدين من انحاء المعمورة شرقا وغربا ومن ثم كانت مقر الفطاحل من ائمة العصر في جميع الفنون .

ومن اكابر شيوخ الامام ابن عبد البر رحمه الله :

1 ــ خلف بن القاسم بن سهل بن الدباغ الاندلسي المتوفى سنة 393هـ .

2 ــ عبد الوارث بن سفيان بن حبرون ، لازم قاسم بن أصبغ بضع سنين ، وسمع من القاضي بن زرب ، وابن ابي دليم ، وغيرهم ، أثنى عليه المؤلف وقال انه حدث بعلم جم .

3 ــ عبد الله بن محمد بن عبد المومن ، رحل الى العراق وغيرها ، وسمع من اكابر العلماء ، وأصبح من اكابر المحدثين بالاندلس ، توفي رحمة الله عليه سنة 390 هـ .

4 ــ محمد بن عبد الملك بن صيفون الرصافي ، ابو عبد الله ، اخذ عن ابي سعيد بن الاعرابي وغيره، كان من الاعلام المشهورين .

5 ــ ابو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمان بن اسد الجهني البزار ، سمع بالاندلس ، ورحل الى الحجاز والشام ومصر ، فسمع من اهلها ، وصار من العلماء الافذاذ .

6 ــ الحسين بن عبد الله بن يعقوب البيجاني ابو علي ، روى عن سعيد بن مخلوف كتاب عبد الملك ابن حبيب وعنه اخذ ابن عبد البر ، وأبو العباس احمد ابن عمر العذري رحمهم الله .

7 ــ ابو عمر احمد بن محمد بن احمد بن سعيد المعروف بابن الجسور ، الاموي ولاء ، محدث ، مكثر، ثقة ، سمع ابا علي الحسن بن سلمة ، وابا بكر احمد ابن الفضل الدينوري ، ووهب بن مسرة ، ومحمد بن معاوية القرشي ، وقاسم بن اصبغ ، وسمع منه خلق كثير ، من اجلهم ابو محمد علي بن احمد ، وابن عبد البر ، كانت وفاته رحمه الله سنة 401 هـ .

8 ــ ابو عثمان سعيد بن نصر بن عمر بن خلف الاندلسي الحافظ ، رحل في طلب العلم ، ودخل الى خراسان ، سمع من ابي سعيد بن الاعرابي، واسماعيل الصفار ، وبالاندلس من قاسم بن اصبغ ، ووهب بن مسرة ، وغيرهم ، توفي رحمه الله ببخارى .

9 ــ احمد بن قاسم بن عبد الرحمان التاهرتي البزار ، يكنى ابا الفضل ، ولد بتاهرت ، وانتقل مع والده وهو طفل الى الاندلس ، فنشأ بها ، واخذ العلم عن رجالها ، حتى صار علما من الاعلام ، سمع من ابن ابي دليم ، وقاسم بن اصبغ ، ووهب بن مسرة ، وعنه اخذ ابو عمران الفاسي ، وابو يوسف ابن عبد البر ، كان ثقة فاضلا رحمه الله .

10 ــ ابو عمر احمد بن محمد بن عبد الله الطلمنكي ، وطلمنكة بلدة بالاندلس ، نشأ بها ابو عمر هذا ، وقد كان اماما في القراءات، رحل فسمع من ابي بكر محمد بن يحيى الدمياطي ، روى عنه ابو محمد ابن حزم ، وابو عمر ابن عبد البر ، رحمهم الله .

11 ــ ابو عمر احمد بن عبد الملك الاشبيلي المعروف بابن المكوي ، انتهت اليه رياسة الفتوى بقرطبة في عهده ، والف بالاشتراك مع ابي مروان المعيطي كتابا في اقوال الامام مالك ، بأمر من المنصور ابن ابي عامر ، وقد لازمه ابن عبد البر واخذ عنه كثيرا

ومن جملة شيوخه غير هؤلاء من الاندلسيين ، ابو مطرف القنازعي ، والقاضي يونس بن عبد الله ، وابو الوليد بن الفرضي ، واحمد بن فتح الرسان ، ويحيى بن وجه الجنة .

كما اجازه من مصر كتابة ، ابو الفتح ابن سيبخت ، والحافظ عبد الغني ، ومن مكة ابو القاسم عبيد الله بن السقطي واحمد بن نصر الداوردي ، وابو ذر الهروي .

اولئك بعض شيوخ ابن عبد البر الذين تلقى عنهم وعاصرهم وتاثر بهم واخذ عنهم رسالة العلم ونشر سنة الرسول الاكرم ، فادى الامانة وبلغ الرسالة رحمه الله ورضي عنه ، وقد اخذ عنه خلق كثير من جلتهم .

1) ابو عبد الله الحميدي الحافظ الثبت الامام واسمه محمد بن ابي نصر فتوح بن عبد الله بن فتوح ابن حميد الازدي الاندلسي الميورقي ، نسبة الى جزيرة شرقي الاندلس ، سمع بمصر والشام والعراق والحرمين ، ،سكن بغداد وكان من كبار تلامذة ابن حزم ، والقضاعي ، وابن عبد البر ، ولد سنة 420 وتوفي سنة 488 رحمه الله .

2) ابو علي الغساني ، واسمه الحسين بن محمد بن احمد الجياني ، محدث الاندلس وحافظها الثبت ، اخذ عن حكيم بن محمد الحداني ، وحاتم بن محمد الطرابلسي ، وابى عمر بن عبد البر رحمهم الله، كانت وفاته سنة 498هـ .

3) ابو الحسن طاهر بن مفوز بن احمد المعافري الشاطبي ، الحافظ المجود الامام ، اخذ عن ابي عمر بن عبد البر فأكثر وكان من اثبت الناس عنه توفى سنة 484هـ .

4) ابو يحيى سفيان بن العاص المتوفى سنة 520هـ .

ومن تلاميذه غير هؤلاء ابو العباس الانصاري الدلائي ، وابو محمد بن ابي قحافة ، ومحمد بن فتوح الانصاري ، وابو داوود سليمان بن ابي القاسم المقري ، وابو محمد بن عبد الله بن محمد بن احمد ابن العربي ، وابو القاسم الحسن الهوزني وغيرهم

مكانته عند العلماء :

انتزع ابو عمر ابن عبد البر رحمه الله الثناء من اقرانه ومن فحول العلماء من بعده بمكانته السامية في الفهم والحفظ والاتقان وبما خلفه من اثر كبير في مؤلفاته العديدة .

يقول ابو الوليد الباجي رحمه الله لم يكن بالاندلس مثل ابى عمر بن عبد البر في الحديث .

وقال الامام ابو محمد ابن حزم ، التمهيد لصاحبنا ابى عمر بن عبد البر ، لا اعلم في الكلام على فقه الحديث مثله اصلا فكيف احسن منه .

وقال ومن ادركنا من اهل العلم على الصفة التي بلغها ، واستحق الاعتداد به في الاختلاف، مسعود بن سليمان ، ويوسف بن عبد الله بن محمد ابن عبد البر .

وقال ابن سكره ، سمعت ابا الوليد الباجي يقول : ابو عمر احفظ اهل المغرب .

وقال الغساني ، سمعت ابا عمر بن عبد البر يقول : لم يكن ببلدنا احد مثل قاسم بن محمد ، واحمد ابن خالد الحباب ، قال الغساني : ولم يكن ابو عمر ابن عبد البر بدونهما ، ولا متخلفا عنهما .

وقال الحميدي : ابو عمر فقيه حافظ مكثر ، عالم بالقراءة وبالخلاف وبعلوم الحديث والرجال ، قديم السماع ، يميل في الفقه الى اقوال الشافعي رحمة الله عليه .

وقال ابن فرحون ، ابن عبد البر شيخ علماء الاندلس ، وكبير محدثيها ، واحفظ من كان فيها لسنة مأثورة ، ساد اهل الزمان في الحفظ والاتقان .

وقال الفتح بن خاقان في (مطمح الانفس) : ابو عمر يوسف بن عبد الله ابن عبد البر امام الاندلس وعالمها الذي التحت به معالمها ، صحح المتن والسند وميز المرسل من المسند ، وفرق بين الموصول والمنقطع ، وكسا الملة منه نور ساطع ، حصر الرواة، واحصى الضعفاء منهم والثقاة ، جد في تصحيح السقيم ، وجد منه ما كان كالكهف والرقيم ، مع التنبيه والتوقيف ، والاتقان والتثقيف ، وشرح المقفل واستدراك المغفل ، له فنون هي للشريعة رتاج ، وفي مفرق الملة تاج ، كان ثقة ، والانفس على تفضيله متفقة .

اما ادبه فلا تعبر لجته ، ولا تدحض حجته ، له من الصفات والمزايا ما يجعله أحد الائمة الاعلام .

وقال ابن العماد في (الشذرات) : ليس لاهل المغرب احفظ منه مع الثقة والدين والنزاهة والتبحر في الفقه والعربية والاخبار .

وقال ابن خلكان: ابو عمر بن عبد البر امـــام عصره فى الحديث والاثر وما يتعلق بهمـــا .

وقال صاحب المعرب فى حلي المغرب : الحافظ ابو عمر يوسف بن عبد البر النمري امام الاندلس فى علم الشريعة ورواية الحديث ، وفاضلها الذي حـاز قصب السبق ، الى ان قال : انظر الى آثاره تغنيك عـــن اخبـــاره .

وقال ابن بشكـــوال : لم يكن فى الاندلس مثله فى الحديث .

وقال الحافظ الذهبي كان ابن عبد البر فى اول امره ظاهريا اثريا ، ثم صارا مالكيا مع ميل كثير الى فقه الشافعي فى مسائل لا ينكـر له ذلك .

فانه ممن بلغ رتبة الاجتهاد ومن المسائل التـي سار فيها على مذهب الشافعية ، الجهر بالبسملة ، فقد صنف فى ذلك وانتصر لـــه .

تلك اقوال بعض اساطين العلم فى الحافـــظ ابى عمر يوسف بن عبد البر النمري رحمه الله ورضى عنه وهي قليـــل من كثير .

آثــاره وكتبـــه :

تلـــك آثـــارنـــا تـــدل علينـــــا

فانظـــروا بعدنـــا الـــى الآثـــار

ان الآثار التي تركها ابو عمـــر رحمه الله تـــدل على مكانته السامية فى الفقه ، والحديث ، واللغـــة ، والادب ، وعلم الانساب ، والسير ، فهو صاحـــــب التآليف المفيدة الجامعة لانـــواع الدراية والرواية ، لم يستطع احد أن يشق غباره فى التحقيق والتمحيص، فقد كان بحرا لا ساحل له فى علم الاثر ، حائزا قصب السبق فى مضماره ، متضلعا فى علوم اللغة واصـــول الشريعة ، ومن ثم كان بصيـــرا بالفقه والراي ، ذو بسطة فى الاحتجاج لما يختاره من الآثار ، فكانـــت كتبه فى كل فن مطبوعة بطابع الاستقلال فى التفكيـــر تظهر فيها شخصيته واضحة نزيهة ، تنم عن اجتهاد مبني على تدبر وتمحيص ، وقد نفع الله بتآليفـــــــه ومصنفاته الدارسين والطالبين لمختلف أنواع العلوم ، اذ هي عديمة النظائر والاشبـــاه ، لكثرة فوائدها ، وجم معلوماتها ، وذلك سبب شهرتها وعزتها ، فقـــد وفق الله مؤلفها واعانه وسدده ، فكان عالـــي السند مقتدرا على البحث بدقة وجلاء يقبل ويرفض عن بينة

ومن القى نظرة فاحصة على مؤلفاته الكثيرة واطلـــع عليها عرف سر شهرتـــه وعلم سبب خلود ذكره فى مآثره ، فقد علا سنده ، واستقل رأيه ، وأصبح علما بمفرده ، ومرجعا فى علوم السنة والفقه ، ومن اجل مؤلفاته واعظمها :

1) كتاب **التمهيـــد ، لمـــا فى الموطا من المعانـــي والاسانيد** ، وهو كتاب لم يتقدمه احد الى مثله وهـــو سبعون جزءا حسب تجزئة الاصل ، رتبة المؤلف على اسماء شيوخ الامام مالك الذين روى عنهم ما فى الموطأ من الاحاديث .

2) كتاب الاستذكار ، بمذهب علماء الامصار، فيما تضمنه الموطأ من معاني الراي والآثار ، وموضوع الكتابين الجليلين هو شرح ما جاء فى موطا الامـــام مالك من السنة والراي والآثار وليس الاستذكـــار اختصارا للتمهيد كمـــا قيـــل .

3) كتاب الاستيعاب جمع فيه اسماء الصحابـــة وقد ذيله ابو بكر بن فتحون ولهذا الذيل تكلمـــة لاحمد ابـــن السكـــن .

والكتاب مطبوع بهامش الاصابة على نفقـــة جلالة الملك المولى عبد الحفيظ رحمه الله .

4) كتاب جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي فى روايته وحمله .

5) كتاب الدرر فى اختصار المغانـــي والسيـــر.

6) كتاب العقل والعقلاء وما جاء فى اوصافهم .

7) كتاب القصد والامم فى انساب العرب والعجم

8) كتاب الاكتفاء فى قراءة نافع وابى عمر بـــن العـــلا .

9) كتاب بهجة المجالس وانس المجالس جمـــع فيه نوادر ودررا من الشعر والنثر .

10) كتاب الانباه ، عن قبائل الرواه .

11) كتاب الانتقاء لمذاهب الثلاثة العلماء ، مالك، وابـــي حنيفـــة ، و**الشافعـــي** .

12) كتاب البيان فى تلاوة القرآن .

13) كتاب الاجويـــة الموعبـــة .

14) كتاب الكنـــى فى سبعـــة اجزاء .

15) كتـــاب المغـــازي .

16) كتاب الانصاف فيما في بسم الله الرحمان الرحيم من الخلاف انتصر فيه بادلة كثيرة للجهر بها في الصلاة وهو كتاب صغير في نحو كراستين .

17) كتاب الشواهد في اثبات خبر الواحد .

18) كتاب الاشراف في الفرائض .

19) كتاب اختصار التميز لمسلم .

20) كتاب اختصار احمد بن سعيد .

21) كتاب الكافي على مذهب مالك .

22) كتاب التقصي لحديث الموطا وهو تجريد لما شرحه في التمهيد من احاديث النبي عليه السلام مما رواه الامام مالك في الموطا .

ويذكر المؤلف رحمه الله انه تلقى ما في الموطا من احاديث وآثار عن شيوخه بالسند المتصل ، فقد رواه عن ابي عثمان سعيد بن نصر ، لفظا منه ، قراءة على المؤلف من كتابه قال : حدثنا قاسم بن اصبغ ، ووهب بن مسره ، قالا : حدثنا محمد بن وضاح ، قال : حدثنا يحيى بن يحيى عن مالك .

كما يرويه بسند آخر عن ابى الفضل بن قاسم البزار ، قراءة من المؤلف عليه ، حدثنا محمد بن عبد الله بن ابي دليم ، ووهب بن مسرة ، قالا : حدثنا ابن وضاح قال حدثنا يحيى بن يحيى عن مالك ، وبسند آخر ، عن ابي عمر احمد بن محمد بن احمد ، قراءة من المؤلف عليه ، قال : حدثنا وهب بن مسرة الخ السند .

كما يرويه ابو عمر احمد بن محمد بن احمد هذا قائلا : حدثنا ابو عمر احمد بن مطرف واحمد ابن سعيد ، قالا : حدثنا عبيد الله بن يحيى بن يحيى قال : حدثني ابي عن مالك رضي الله عنهم .

وهذا السند كما ترى ثنائي في أصله فهو مروي عن طريق محمد بن وضاح عن يحيى بن يحيى ومن طريق عبيد الله بن يحيى عن ابيه عن مالك . وفيما بعد ذلك يتفرع . فيرويه قاسم بن اصبغ ووهب بن مسرة ومحمد بن عبد الله بن ابي دليم ويتلقاه سعيد ابن نصر عن قاسم ووهب بن مسرة وعنه المؤلف ، كما يتلقاه عن محمد بن عبد الله بن ابي دليم ووهب ابن مسرة احمد بن قاسم البزار وعنه المؤلف ، اما طريق عبيد الله بن يحيى فعنه اخذه الاحمدان ، ابن مطرف ، وابن سعيد ، وعنهما اخذ ابو عمر احمد بن محمد بن احمد ، وعنه المؤلف .

وقد اشار المؤلف الى سبب اعتماده على رواية يحيى كما اشار الى انه سيذكر ما هو خارج عن رايته عنه من امهات احاديث الاحكام لانه روى موطأ الامام مالك من عدة طرق غير طريق يحيى بن يحيى الليثي وسنوجز تراجم هؤلاء الرجال فيما يلي باستثناء من مر ذكره من شيوخ ابن عبد البر .

1 — يحيى بن يحيى بن كثير بن وسلاس ، يكنى ابا محمد ويكنى ابوه يحيى بأبي عيسى وهو من مصمودة طنجة اسلم جده وسلاس على يد يزيد بن ابي عامر الليثي الكناني ، فكان ولاؤه فيهم ، فهو ليثي ولاء ، رحل الى الشرق وهو ابن 28 سنة ، وسمع من الامام مالك الموطأ غير ابواب من كتاب الاعتكاف حدث بها عن زياد ، واعجب مالك بسمت يحيى وعقله ، فسماه العاقل ، وأوصاه عند وداعه بطلب منه ، فقال : عليك بالنصيحة لله ولكتابه ولائمة المسلمين وعامتهم ، ولم يغادر المدينة حتى توفي الامام مالك ، فحضر جنازته سنة 179هـ ، كما سمع من ابن وهب ، والليث ، ورحل مرة اخرى فسمع من ابن قاسم ، وحمل معه علما كثيرا ، كما سمع من ابي عيينة ، ونافع ابن ابي نعيم القارىء ، وعاد الى الاندلس بعلم غزير ، فكان من اكبر اسباب انتشار مذهب مالك بالمغرب والاندلس ، توفي رحمه الله سنة 234هـ .

2 — عبيد الله بن يحيى بن يحيى الليثي فقيه قرطبة ومسند الاندلس بعد والده ، يكنى ابا مروان روى عن والده موطأ الامام مالك ، ورواه عنه خلق كثير ، من أجلهم ابو عمر أحمد بن مطرف واحمد بن سعيد ، كان محترما عند العامة والخاصة ، مات سنة 298هـ .

3 — محمد بن وضاح بن بزيغ ابو عبد الله ، مولى عبد الرحمان بن معاوية بن هشام ، من الرواة المكثرين ، والائمة المشهورين ، رحل الى الشرق في طلب العلم ، سمع آدم ابن ابي اياس ، ويحيى بن معين ، وابن ابي شيبة ، وغيرهم كثير ، وسمع بافريقية من سحنون بن سعيد التنوخي ، وبالاندلس من يحيى بن يحيى الليثي ، وحدث بالاندلس ، وتلقى عنه العلم بها خلق كثير ، من جلتهم وهب بن مسرة، وابن ابي دليم ، وقاسم بن اصبغ ، توفي سنة 286هـ .

4 — قاسم بن اصبغ بن محمد بن يوسف بن ناصح البياني ، ابو محمد ، امام من ائمة الحديث ، حافظ مكثر ، سمع من محمد بن وضاح ، ومحمد بن

عبد السلام الخشني ، ورحل الى الشرق ، فسمع من محمد بن اسماعيل الترمذي واسماعيل بن اسحاق القاضي وغيرهم ، له كتاب المجتبى ، على غرار المنتقى لابن الجارود ، وكتاب فى الناسخ والمنسوخ ، وكتاب فى فضائل قريش ، وآخر فى غرائب حديث مالك ، وما ليس فى الموطأ . روى عنه جماعة من اكابر العلماء امثال عبد الوارث بن سفيان، وابن الجسور ، وسعيد بن نصر ، وغيرهم ، مات بقرطبة سنة 340هـ رحمه الله .

5 — وهب بن مسرةبن مفرج بن حكيم التميمي، ابو الحزم ، سمع من ابن وضاح ، وعبيد الله بن يحيى ، والاعناقي ، وقاسم بن اصبغ ، والخشني، وابن وهب ، ومحمد بن غزرة وغيرهم ، كان اماما، ثقة ، حافظا ، فقيها ، ضابطا ، مع ورع وفضل ، استقدم الى قرطبة ، وسمع منه علم كثير ، حدث عنه جماعة من الائمة ، منهم ابو عثمان سعيد بن نصر ، واحمد بن قاسم البزار ، تكلم فى الحديث وعلله ، له كتاب فى السنة رحمه الله .

6 — محمد بن محمد بن عبد الله بن ابي دليم ، يكنى ابا عبد الله ، كان عالما فقيها زاهدا متبتلا ، من اكابر علماء الاندلس وخيارهم ، واسع العلم ، جم الفضل ، من النساك الصالحين المجتهدين، امتنع عن الجلوس للناس الى ان توفى كثير من اصحابه ، فجلس للحديث قبل وفاته بثلاث سنوات ، قال عنه الباجي ، من اراد ان ينظر الى رجل من اهل الجنة فلينظر الى ابن ابي دليم ، سمع من محمد بن وضاح وغيره ، وسمع منه خلق كثير ، منهم احمد بن قاسم البزار ، كان صرورة لا يطأ النساء لم يتداو قط ولا احتجم ، عاش 84 سنة وكانت وفاته سنة 372هـ رحمه الله .

7 — ابو عمر احمد بن مطرف بن عبد الرحمان، يعرف بابن المشاط ، كان رجلا صالحا فاضلا معظما عند ولاة الامر بالاندلس يستشيرونه فى المهام ، وقد كان صاحب الصلاة ، روى عن سعيد بن عثمان الاعناقي ، وابى صالح ايوب بن سليمان ، وعبيد الله بن يحيى بن يحيى الليثي ، وغيرهم ، روى عنه ابو عبد الله محمد بن ابراهيم المعروف بابن القراميدي، وابو عمر احمد بن محمد بن الجسور ، وكانت وفاته سنة 352هـ رحمه الله .

8 — احمد بن سعيد بن حزم الصدفي المنتجلي ابو عمر ، كان عالما فقيها ، سمع بالاندلس جماعة من الائمة ، مثل ابى عثمان سعيد بن عثمان الاعناقي ، ومحمد بن قاسم ، كما سمع من فطاحل الشرق فى رحلته ، امثال اسحاق بن ابراهيم بن النعمان ، وأبى جعفر محمد بن عمر بن موسى العقيلي ، وابن ابي عجينة احمد بن عيسى المصري صاحب عبد الله بن احمد بن حنبل ، توفى الصدفي رحمه الله سنة 350هـ .

هؤلاء هم رجال السند الذي روى به المؤلف موطأ الامام مالك عن يحيى ابن يحيى الليثي رحمهم الله ورضى عنهم وكلهم اقطاب ثقات افاضل .

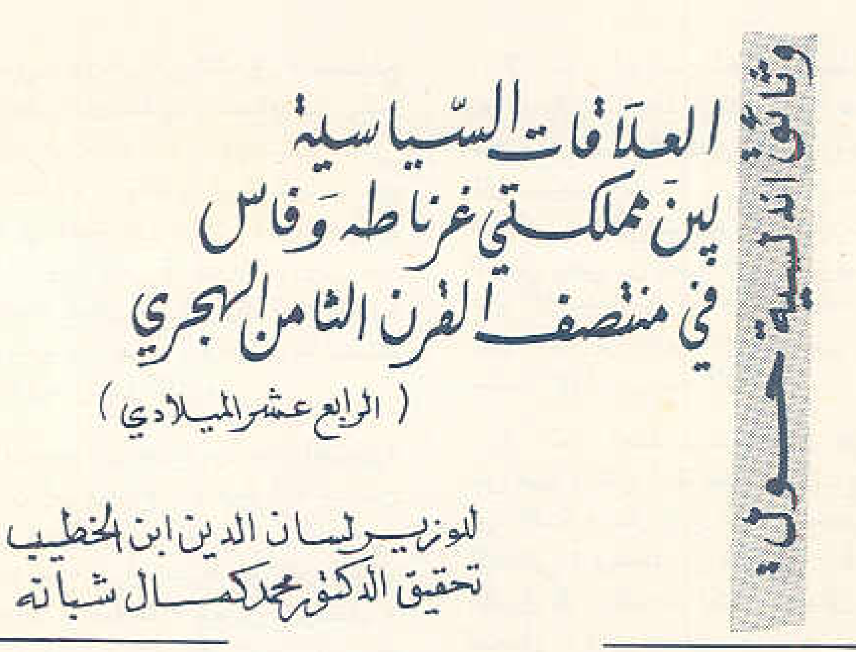
وفاته :

انتهى المطاف بأبي عمر بن عبد البر الى مدينة شاطبة وبها ادركته منيته ليلة الجمعة آخر ربيع الثاني سنة ثلاث وستين واربعمائة عن خمس وتسعين سنة وخمسة ايام رحمه الله رحمة واسعة واجزل ثوابه ونفع بمعلوماته المسلمين آمين .

الرباط : مصطفى العلوي

محمد الكبير البكري





نقدم فى هذا العدد وثائق تاريخية ، فى نطاق « العلاقات السياسية بين مملكتي غرناطة وفاس » فى القرن الثامن الهجري (منتصف القرن الرابع عشر الميلادي) من انشاء الوزير المؤرخ لسان الدين بن الخطيب ، حسبما اوردها فى مخطوطه : « كناسة الدكان » الذي سبق أن نشرنا منه على صفحات مجلتنا ثلاث وثائق سابقة في موضوعات مختلفة

اما وثائق اليوم فتدور حول مسالة كادت تقصف بالعلاقات الودية التي كانت تسود بلاطي فاس وغرناطة ، على عهد سلطان المغرب ابي عنان فارس ، وسلطان غرناطة أبي الحجاج يوسف الاول ، وهي قضية اللجوء السياسي الذي طلبه من الاخير الامير أبو الفضل المريني ، أخو السلطان ابى عنان ، وما كان من أمره بعدئذ ، بعد أن فر هاربا الى أرض النصارى الاسبان ، على نحو ما فصلنا القول فيه قبل أن نورد الوثائق الرسمية التي كشفت عن ظروف هذه المشكلة ، وما تمخضت عنه من احداث فى كل من الاندلس والمغرب

تقديم

ما كاد السلطان ابو عنان فارس المريني يجلس على عرش المغرب ، حتى جدد السلطان ابو الحجاج يوسف الاول ابن الاحمر ملك غرناطة يومئذ علاقته مع معاصره المغربي ، اسوة بما كان بينه وبين ابيه السلطان ابى الحسن المريني . وقد استهل يوسف الاول تلك العلاقات بسفارة خاصة عقدها لوزيره ابن الخطيب ، وحمله رسالة لملك المغرب الجديد ، يعزيه فيها عن مصابه فى وفاة والده ، كما يهنئه ـ فى نفس الوقت ـ باعتلاء عرش المملكة ، ثم يخبره بأحوال المسلمين بالاندلس ، وانهم لا يزالون يعانون من غارات النصارى ، وانهم لذلك لا غنى لهم عن معونة اخوانهم اهل العدوة ، فبادله ابو عنان المشاعر الطيبة ، وعمل من جهته على توثيق هذه الصلة ، فأولى ثغر جبل طارق مزيدا من عنايته ، باعتباره نقطة الاتصال الوحيدة بالاندلس ، وتبودلت الرسائل بينه وبين يوسف الاول في شتى المناسبات ، كما ابقى على تقليد قيادة الجيش بالاندلس لابناء عم بني مرين (بنو العلا) . ولم يكدر صفو هذه العلاقات مكدر سوى مسالة أخيه الامير ابى الفضل المريني ، الذي حاول الانقضاض عليه بأرض السوس ، ولكن هذه السحابة لم تلبث ان انقشعت ، وعاد الصفا كما كان بين غرناطة وفاس ، حتى نهاية عهد يوسف الاول ووفاته .

وتتلخص مسالة ابى الفضل هذه ، فى ان والده السلطان ابا الحسن المريني كان قد ولاه على تونس ، وذلك عندما اعتزم العودة بحرا الى المغرب ، فثار عليه الحفصيون وأخرجوه منها ، فالتحق بابيه بمراكش ،

وبقى الى جواره فى كفاحه لاسترداد عرش المغرب من يد ابنه عنان حتى توفى الاب، وصار الامر الى اخيه السلطان ابى عنان، فبايعه اخوه ابو الفضل وابو سالم، ولكن ابا عنان خشى ان يخرجا عليه يوما، ولذلك بعثهما الى الاندلس ليكونا الى جوار شيوخ الغزاة من اقاربهم، فاستقبلهم السلطان يوسف الاول، واستضافهم بقصر شنيل بغرناطة، واكرم مقامهم كاخوة لسلطان المغرب، ولكن حدث ان ندم ابو عنان على ارسال اخويه الى الاندلس، خاصة وان ملكه قد استفحل، واتسعت دائرة سلطانه، بعد ان استولى على تلمسان والمغرب الاوسط، فبعث رسله الى السلطان يوسف الاول يطلب منه ان يرسل ابا الفضل واخاه ؛ لان فى مقامهما تحت يده بالمغرب احتياط لجمع الكلمة وتوحيد الصف، وهو لهذا لا يستريح لمقامهما بعيدا عنه، ولكن خشى ابو الحجاج غائلته عليهما، فأبى من اسلامهما اليه، واجاب الرسل بانه لا يخفر ذمته، ولا يسىء جوار المسلمين المجاهدين لديه، فغضب السلطان ابو عنان لذلك، وقام وقعد، وامر حاجبه ابن ابى عمرو ان يكتب اليه، ويبالغ فى اللوم والتوبيخ، ففعل الحاجب المذكور (1) ». ووصل الكتاب الى السلطان يوسف الاول، ولكنه اصر على موقفه بتأمين هذين اللاجئين السياسيين، وورد رسل ابى عنان للمرة الثانية. وهنا فر ابو الفضل المريني الى ارض النصارى، والتقى بملك قشتالة « دون بطره القاسي »، وطلب منه مظاهرته على اخيه سلطان المغرب. فهل تم هذا اللقاء بتدبير من السلطان ابى الحجاج نفسه ؟ ام ان الاخ المتمرد هرب على صورة من الصور من غرناطة ؟ ان بعض المؤرخين المغاربة يذهبون الى الراي الاول (2)، ولكن ابا الحجاج فى رسائله ابان هذه الازمة الى ابى عنان يعتذر اليه فى هرب اخيه بانه تم فى غفلة من الحرس ودون علمه، منتهزا فرصة حفلات عيد ميلاد الرسول (ص)، وفى ذلك يخاطب ابو الحجاج ابا عنان : « ومن الغد تفقدناه ففقدناه، ووصلنا عادتنا فى طلبه، نتعرفنا ما كان من هربه، فبادرنا الى توجيه الفرسان فى اثره، وطيرنا من انجاد الخدام من يعوقه عن وطره، والمرحلة التي بيننا وبين بلد النصارى قريبة على من يركض الخيل، وينقطع بحث ركابه اليها، فالفوه قد لحق بأرض النصارى راكبا فى قصدها الخطر، ومقتحما فى تأميلها الغرور، فى جميلة تنتهي الى ثلاثة عشر، ليس فيهم من به عبرة، ولا من تميزه شهرة، الا ما كان من يعقوب بن ابى عياد شيطانه الذي أغواه، وجذبه شيطان هواه، وارداه فى ورطة يتعذر معها منجاة (3) ». على اي حال نحن نرى ان موقف ملك غرناطة – الى ما قبل لحاق ابى الفضل بأرض قشتالة – يجعلنا نرجح ترجيحا يصل الى اليقين ان السلطان يوسف الاول لا يغرب عن رجاحته وسياسته فيقامر بعلاقات بلاطه مع بلاط فاس، اذ لا مصلحة فى ان ينتصر الاخ اللاجىء على اخيه، ثم ان وضعية مملكة غرناطة تجاه جيرانها النصارى حينئذ لم تكن تحتمل اللعب بالنار، كما لا يسلم العقل بان ابا الحجاج يذهب فى تفكيره الى هذه المغامرة المظلمة، التي لا يجني من وراء نجاحها كسبا مفروضا.

ونعود الى ابى الفضل لنجد ان ملك قشتالة قد أعد له اسطولا حربيا ضد اخيه سلطان المغرب، مجهزا ببعض الفرق المرتزقة من النصارى، وكان ان وصل الاسطول عام 754 هـ الى ارض السوس، ولما سمع ابو عنان به ارسل اليه اسطوله، وتشبت معركة بحرية بينهما، انجلت عن تحطيم اسطول النصارى، ولكن ابا الفضل كان قد لحق بصاحب جبل السكيوي (عبد الله السكوي) ودعا لنفسه ومن حوله انصاره، فسير اليه اخيه جيشا تحت قيادة وزيره « فارس بن ميمون بن وردار » الذي سار اليه وحاصره بالجبل، ورغم ان صاحب الجبل نفسه قد طلب الامان بعد شدة الحصار، الا ان ابا الفضل رفض التسليم، ولجأ الى جبال المصامدة، وبقى يتنقل فى هذه المنطقة حتى وصل الى « صناكة »، وطلب الاجارة، فأجابه اليها ابن الحميدي احد مشايخ هذه القبيلة، ولكن عبد الله بن ابى مسلم صاحب درعة حارب ابا الفضل واصحابه. ومن جهة اخرى فقد ارهب ابن الحميدي بالقبض على ابى الفضل، تلافيا للفتنة، واستجابة لنداء السلطان ابى عنان، ووعده بالمال ان اشخصه اليه، فقام ابن الحميدي بما طلب اليه، وتقبض على ابى الفضل، وارسل الى اخيه ابى عنان فى الاغلال، فقام هذا الاخير بايداعه السجن، ثم قتله بعد ليال خنقا بمحبسه (4).

---

1) الاستقصا – ج 3 ص 187 .
2) السلاوي – ج 3 ص 187 .
3) كناسة الدكان (مخطوط بالاسكوريال 1712) لوحة 50 .
4) السلاوي ج 3 ص 190 – ص 191 .

هذا ، وقد ارسل السلطان يوسف الاول السلطان ابا عنان بهذه المناسبة ، وكتب اليه يهنئه بهذا الانتصار، ويغتبط لجمع الكلمة بالمغرب ، ويعلن سروره بالقضاء على ابى الفضل والخوارج ممن التفوا حوله ، طمعا في بارقة امل كاذب (1) .

ونقدم اليوم ـ بعد هذا التقديم ـ الوثائق التي صدرت عن البلاط النصري في غرناطة الى البلاط المغربي في فاس ، والتي تتعلق بقضية الامير ابى الفضل المريني ، وهي من انشاء المؤرخ المعاصر الوزير لسان الدين ابن الخطيب ، حسبما اوردها في مخطوطه « كناسة الدكان ، بعد انتقال السكان » 1712 بالاسكوريال ، وهي وثائق تبلغ في جملتها اربعا ، وتنشر ـ كذلك ـ لاول مرة .

فالى القارىء والباحث نقدمها مصدرا اساسيا يعتد به ، ومرجعا هاما في هذه المشكلة التي عرضناها .

(الوثيقة الرابعة)

(47 : ب) « ولما فر اخوه ابو الفضل محمد بن السلطان أبى الحسن من غرناطة ، ولحق بأرض النصارى ليتوصل منها الى بلاد المغرب ، في سبيل التشغيب عليه ، بعد أن كان السلطان أبو الحجاج ـ رحمه الله ـ ضمن له سد هذا الباب ، خوطب (السلطان ابو عنان فارس) بما نصه :

« المقام الذي يبادر بالمتزايدات اعلامه ، ويتأكد ـ على مر الزمان ـ اكباره واعظامه ، ويقابل جانبه بالتشيع الثابتة احكامه الواضحة اعلامه ، مقام محل أخينا الذي سعده كفيل (بـ) حسن العواقب ، ومجده كلف باحراز المناقب ، وسماء عزه قد زينت من نجوم الفخر بالشهب الثواقب ، فمكائده مسدودة المذاهب ، ومنزعه مذالب الغالب ، ونيته الصالحة ضمينة لنيل المطالب وادراك الرغائب . السلطان (الكذا) ابى عنان، ابن السلطان (الكذا) ابى الحسن ، بن السلطان (الكذا) أبى سعيد ، بن السلطان (الكذا) ابى يوسف يعقوب ، ابن عبد الحق . ابقاه الله عزيز الجلال ، كريم الخلال ، قريب النوال ، بعيد المنال ، كفيلا توكله على الله بحسن المآل ، منشرحا صدره في (48 : أ) جميع الاحوال .

تشهد بمجده ظهور الجياد ، والسنة البيض الحداد ، ومواقف النزال . معظم مقامه الذي تعظيمه الفرض المحتوم ، واجلاله يطابق منه المنطوق والمفهوم ، والمنقول والمعلوم ، المثنى على مكارمه التي خجلت منها الغيوم ، ومناقبه التي اقتبست منها النجوم ، فلان (السلطان ابو الحجاج يوسف بن ابى الوليد اسماعيل بن نصر بن الاحمـــر) .

سلام كريم ، طيب برعميم ، يخص مقامكم الاعلى، واخوتكم الفضلى ، ورحمة الله وبركاته .

اما بعد حمد الله عالم خفيات الصدور ، الـذي احاط علمه معرفة بما خفى من جزئيات الامور ، الكفيل بمن توكل عليه ، وفوض الامور اليه بالعلو والظهور ، جاعل العاقبة للتقوى كما ورد في كتابه الحكيم المسطور، الذي في ذاته نعتقد اسباب المودة الخالصة على توالي الدهور ، ولابتغاء مرضاته نصل اليد على جهاد العدو الكفور ، والصلاة على سيدنا ومولانا محمد المنبعث (2) بالهدى والنور ، الهادي الى السبيل الواضح والسنن المأثور ، الذي بجاهه نستاصل موارد الشرور ، وببركته نستقبل وجود الخير بادية السفور ، وبالاعتماد على ركنه الاقوى نعرف عوارف السعد في الدنيا ويوم النشور . والرضا عن آله وصحبه الذين كانوا في سماء ملته الحنيفية امثال البدور ، وفي لبتها (48 : ب) كاللآلي والشذور ، الذين دافعوا عنه في حياته بالحسام المطرور (3) ، وخلفوه بعد مماته بالسعي المبرور . والدعاء لمقامكم الاعلى بالنصر الميسور ، والصنع الكفيل للاسلام واهله بالسرور ، فانا كتبناه اليكم ، كتب الله لكم أسنى مواهب الخير الموفور ، وجعل العاقبة لملككم المنصور ـ من حمراء غرناطة ، حرسها الله ، وعندنا من التشيع في مقامكم العلي ما هو أوضح من النهار ، واجلى من شروق الانوار ، فبحسبه نبادر الى مقامكم بانهاء الاخبار ، ونحرص على بسط الاعذار ، ونبذل من امحاض النية لكم ما يعلمه العليم بخفيات الاسرار .

والى هذا ـ ايد الله امركم ، واعز نصركم ـ فان الانسان وان توصل الى معرفة الظواهر فالبواطن عنه محجوبة ، والخفيات الى علم الله ـ لا الى غيره ـ منسوبة ، وله بكل شيء احكام مكتوبة . وكنا قد عرفنا مقامكم الاعلى بما عندنا من صرف نظر الملاحظة الى من

---

1) كناسة الدكان ، لوحة 53 .

2) في نسخ الريحانة (المبعوث) ، وكلاهما بمعنى .

3) في نسخ الريحانة (المطهور) ، وهو مناسب أيضا.

لدينا من اخوتكم وبني عمكم ، بحيث لا يبرح رقيبها ، ولا يختل ترتيبها ، واننا نصل التفقد لاحوالهم ونذكي العيون على اقوالهم واعمالهم . فجرينا من ذلك على السنن اللاحب ، ولم ندع جهدا الا سلكنا منه اوضح المذاهب . (49 : أ) ومن أضمر المكيدة يرتقب أوانها ، ويلتمس مكانها، والخواطر لا يعلم الا الله شانها ، وبظاهر حضرتنا اماكن مباركة مشهودة ، وزوايا مؤملة مقصودة . ينفر اليها الجمهور في الليالي التي تقوم بها للبر سوق ، وتوفى من تعظيمها حقوق ، وخصوصا ليلة ميلاد رسول الله — صلوات الله وسلامه عليه — ابتغاء البركة لديه ، فهي بحيث ذكر من المواسم التي ينتدب اليها الناس ، وتتسابق منهم الانواع والاجناس .

وان أخاكم ابا الفضل لما كان قد استبطن عقيدة المكيدة ، وآثر اتباع الآراء غير السديدة ، جعل قصد تلك — ليلتئذ — مسببا لاربه ، وورى بها عن مذهبه ، ومن الغد تفقدناه ففقدناه ، ووصلنا عادتنا في طلبه ، فتسرفنا ما كان من هربه ، فبادرنا الى توجيه الفرسان في أثره ، وطيرنا من انجاد الخدام من يعوقه عن وطره ، والمرحلة التي بيننا وبين بلد النصارى قريبة على من يركض الخيل ، ويقطع بحث ركابه الليل . فالفوه قد لحق بأرض النصارى راكبا في قصدها الخطر ، ومقتحما في تأميلها الغرر ، في جميلة تنتهي الى ثلاثة عشر ، ليس فيهم من به عبرة ، ولا من تميزه شهرة ، الا ما كان من يعقوب بن أبي عياد شيطانه الذي اغواه ، وجذبه شيطان هواه وارداه ، في ورطة (49 : ب) يتعذر معها منجاة ، فان من خاطر بنفسه في قصد بلاد النصارى للغرض الذي قصده ، والمذهب الذي اعتمده ، قلما نجح له عمل ، ولا تأتي منها له امل ، ولا يساعده حاضر من الزمان ولا مستقبل . فهي متلف وجودها عدم ، ومفازة ليس على الطريق بها علم ، قطعت بمن قصدها على التقدم ، وقضت بتمزيق الشمل ومزلة القدم .

فامتعضنا لهذا الواقع عند ما تعرفناه ، ووجهنا اليه وجه العزم وصرفناه ، ورجعنا على اخيه وابنا (1) عمه باللائمة التي لم تقبل فيها عذرا، ولا اثرنا فيها صبرا، وان كنا قد اغرينا بينهم فجعلنا بعضهم على بعض عيونا ساهرة ، ورقيبا تبحث عن كل خافية وظاهرة . فاتهمناهم بكتمان ما استوثقناهم فيه ، والمداهنة في هذا الامر الذي لا نرتضيه . فكسبنا منازلهم بالرجال في حالة واحدة لم توسعهم فيها امهالا ، ولا فسحنا لهم في الاقالة مجالا ، وقبضنا على جميعهم مع تباين امورهم ، وتباعد منازلهم ودورهم ، قبضا هائلا لم يفلت معه منهم أحد ، ولا انخرم من جملتهم عدد . وثقفناهم بحمرائنا في اماكن لهم أعددناها ، ورتبنا عليهم الحراسة وحددناها ؛ نكالا لما وقع من الامر الذي حرصنا على سد بابه ، وجهدنا في قطع أسبابه . وبادرنا الى تعريف مقامكم الذي نعتد بجنابه ، (50 : أ) ونمحض له من الود صفو لبابه ، ليكون على علم من هذا الواقع الذي اتفق ، والامر الذي غلب الحزم عليه قدر سبق ، بمقتضى الود تقرر وتحقق ، والخلوص الذي فرع وبسق .

ونحن على علم بأن اخاكم اقتحم بحرا لا نجاة لراكبه ، وامتطى صعبا يقطع به عن مآربه ؛ اذ لا بد للنصارى من اصحابه الى سلطانهم . وهو في الوقت بداخل قشتالة بحيث تتعدد المراحل وتطول الايام ، تعذر على قاصده المرام . واحوال النصارى في فتور هذه الامور لديهم لا تحيلها الاوهام ، ولم يزل يتصل بهم أهل البسالة من كبار البأس والاقدام ، وأولى المضاء المشهور والاعتزام ، فيستولي على أمورهم الاختلال ، وتشملهم الحاجة وتضيق منهم الاحوال . فمنهم من يرجع ادراجه بعد ان يكون الصفح والاقالة أقصى أمنيته ، ومنهم من يريحه مما تورط فيه حلول منيتـــــه .

وسعادتكم تتكفل بجريان الامور افضل مجاريها ، واستقامة الاحوال على أوثق مبانيها ، وقد وجهنا اليكم بكتابنا هذا القائد (الكذا) لكونه ممن اتفق لهذا الامر حضوره (2) ، وحدثت بمرأى منه أموره . فهو يلقي اليكم فيه ما قررنا مما يقتضيه الحب ، ويشرح منه ما أجهله الكتب . ومقامكم يصغى الى ما يلقيه ، ويقابل بالقبول (50 : ب) ما يؤديه . والله — سبحانه — يصل سعدكم ، ويحرس مجدكم ، والسلام » .

(الوثيقة الخامسة)

(50 : ب) « وكتب (ت) عنه (عن أبي الحجاج يوسف) في الفرض المذكور بما نصه » :

« المقام الذي وده متأكد الوجوب ، ووجه فضله ليس بالمحجوب ، وعقد حبه متقرر في القلوب ، ونيته الصالحة متكفلة للاسلام واهله بنيل المطلوب وبلوغ المرغوب ، مقام محل أخينا الذي شأننا كله تشيع لـه

1) هكذا في الاصل ، فلعله خطأ الناسخ ؛ اذ الصواب « وابني » .

2) في نسخ الريحانة (لمشاهدة هذا الامر حضوره) فلعل كلا التعبيرين بمعنى .

وخلوص ، وحكم ودنا فيه عمـوم وخصـوص ، وبنـاء اعتقادنا الجميل فيه على اساس ابتغـاء رضـوان الله مرصوص ، ابقاه الله رفيع القدر عزيز الامر ، معترفـا بوجوب حقه لسـان الدهـر . معظـم مقداره الخليـق بالتعظيم ، المثنى على فضله (1) العالي وفضله العميم ، المعتد منه بالذخر الكريم ، فلان (السلطان ابو الحجاج).

اما بعد حمد الله الذي الهامنا اليه من اعظم نعمه وهدايتنا اليه من اكرم كرمـه ، منجـع ما خلـص من وسائل الود وذممه ، وموفق الآراء الى سلوك قصـده الواضح واممه ، الذي عليـه نتوكـل في مبدا كل امـر ومختتمه ، فنظفر من السعد باوفر قسمه . والصلاةعلى سيدنا ومولانا محمد رسولـه الذي تسيـر الانبيـاء والارسال تحت علمه ، سيد الكون ما بين عربه وعجمه ، ونور الله الذي اذهب ما تكاثف من غياهـب الباطـل وظلمه ، وغيث الرحمة الذي (51 : أ) تمديد السؤال الى استسقاء ديمه . والرضا عن آله وانصاره السالكين مناهج سجاياه الشريفة وشيمه ، الاوثق من اتباعه الى امنع حرمه ، المثابرين على اعلاء معلمه ، المهتدين بفعله . والدعاء لمقامكم الاسنى بنصر عزيز (2) تكـون الفتوح الغر من خدمه ، وسعد يغني عن اختيار نصف الفلـك الدوار وتعديل انجمه ، وصنع تثبت لفات العنايـة الالهية في محكمه ـ فانا كتبناه اليكم ـ كتب الله لكـم تأييدا تقر عين الاسلام برسوخ قدمه ـ من حمـراء غرناطة ، حرسها الله ، ولا زايد بفضل الله الا الخيـر الذي يقوى ـ بالاعتداء بكم ـ سببه ، ويتبين مذهبه ، واليسر الذي يعلي باعانتكم أمل الاسلام ومطلبه . وعندنا من البر بكم عقائد لا يدخل الشك اصولها ، ولا يعترض النقد فصولها ، ولا يفوت الانام محصولها ، ومن الاعتداد بجهادكم عزمات تشحذ الثقة بالله نصولهـا ، وآمـال يرتب حسن الظن بالله صلتها وموصولها .

والى هذا ـ ايد الله أمركم ، واعز نصركم ـ فاننا بادرنا تعريفكم بما حدث عندنا من قضية اخيكم ابـي الفضل ، الذي كنا وثقنا فيما شرطنا عليه من الهـدوء والاستقامة بحسن عهده ، ورجونا عمله فيه على شاكلة مجده ، واصلنا له اصلا ظننا وقوفه عند حده . وانـه قيض له من يعقوب (51 : ب) بن ابي عياد مثير عجاجه ومنفق لجاجه ، صدع بها شمل سكونـه ، واتسحـاب العافية عليه صدع زجاجـه . فورى بقصـده ربـط العبادات ، واماكن القرب المودات ، وقد اضمر الحيلة ، واكذب فيه المخيلة . ولحق بالروم في عدد نزر ، وطائفة لا تستقر بأمر . متورطا في لجج هائلة ، مقتديـا بآراء مائلة . واننا اتهمنا اخاه وابنا عمه بالادهان في قضيته . بما كان في طويته . وانكرنا عليهم ما كان من اخفاء هذا الغرض الذي أخذنا عليهم في اعلامنا به اشد الميثـاق ، وركبنا الى ما تقتضيه اصالة الاحساب ومكارم الاخلاق . فقبضنا عليهم قبضا شمل جماعتهم واستوعبها ، وراع جملتهم وأرعبها .

وما زلنا نبحث عن احوالهم ، ونواصل التنقير عن اقوالهم واعمالهم ، ونختبر ما نظن بهم من التهم الداعية الى اعتقادهم ، والريب الحاملة على نكالهم . فثبت عندنا براءة جوانبهم ، وسلامة مذاهبهم . وحققنا من ـ بسط الاحوال ، واستقل لدينا اتم الاستقلال ـ ان ابا الفضل انفرد عنهم بتدبيره ، وطوى عنهم ما هجس في ضميره . حتى ركب الخطر الذي يتعذر الخلاص معـه ، وآثـر الطمع الذي قلما صارع احدا الا صرعه . وانقضت مدة من ركوبه البحر لم يسمع له خبر ، ولا دلت منه عيـن على (52 : أ) اثر . (حتى ان حالة التلف اقرب اليه ، بحسب ما تدل العوائد عليه) (3) وما كان الله ليظهـر المكم من العجائب ما اظهره ، وايد سلطانه في كل موطن ونصره ، الا بخبيئة عناية لا يضر معها كيد من كاده ، ولا ينجح عمل من يسوء اراده . . . (4) » .

* * *

(تتابع في العدد القادم ـ ان شـاء الله ـ نشـر الوثيقتين الاخريين في قضية الامير ابي الفضل المريني) .

حققـه

د . محمد كمال شبانه

---

1) هكذا في الاصل ، فلعله « فعلـه » ، اذ لا معنـى لتكرار (للفظ نفسه بعد) .

2) اقتباسا من قوله تعالى « وينصـرك الله نصـرا عزيزا » سورة الفتح ، آية : 3 .

3) الزيادة ما بين القوسين ساقطة من الكناسـة ، واردة بنسخ الريحانة .

4) هكذا وجدنا نهاية الرسالة في كل من الكناسـة والريحانة ، فلعل الناسخ اقتصر على المضمون ، واستغنى ـ بالتالي ـ عن الختام المعهود .



للأستاذ: محمد بن تاويت

كنا قد تناولنا هذا الكتاب، وانتقدناه في صفحاته 15 الاولى، بالعدد الثامن من «مجلة تطوان» الصادر سنة 1963 وهو عبارة عن ترجمة قام بها محمد الفراتي، لكتاب (كلستان) لسعدي الشيرازي.

وترجمة هذا الكتاب ليست غريبة على من لهم اتصال به، فقد ترجم الى عدة لغات شرقية وغربية، كانت من اولى الشرقيات ترجمة يعقوب بن علي، المتوفى عام 931 ﻫ بالعربية، ومن أواخر الغربيات، او آخرها حتى الان، ترجمة الكونذي فليباني دونكوني بالاطاليـــة.

أما ترجمتنا هذه فهي آخر الترجمات العربية، حتى الان، وصاحبها الشاعر الفراتي قد حرص على ان ينقل الشعر الفارسي الوارد في الكتاب الى شعر عربي مشرق، مع محافظته على اداء المعنى، كما تناول النثر باسلوب جذاب، ساير به الاصل مسايرة رفيقــة في القالب، وهو عمل لا يتأتى الا للمتضلعيــن في اللغــة الماهرين في الترجمة.

هذا ما قلناه بالاجمال، فلننظر الى عمل صاحبنا بالتفصيل فنرى:

ا ــ انه هجم على الترجمة بدون ان يمهد لها الا بهذين البيتين:

روضــة الورد كلستــان ومـــا
ككلستـــان كتـــاب في العظـــات
فيـــه عن شيـــراز نفـــح عاطـــر
وشـذا من كـــل أزهـــار الحيـــاة

ثم يمضي في عمله قدما، فاذا فرغ منه تمامـا، تنفس بنبذة من تاريخ حياة سعدي ملأت ثلاث صفحات من صفحات الكتاب، وهي على قصرها مفيـــدة جـــدا وجامعة لاطراف حياة المؤلف وتراثه القيم.

والملاحظ عليها انها جعلت ولادة سعدي سنة 606 ﻫ «على الاغلب»، مع انها ذكرت كما ذكر سعدي نفسه في كتابه هذا، استاذه ابا الفرج ابن الجوزي المتوفى عام 597، فالمرجح اذن ان مولد سعدي كان عام 580.

ب ــ وان المؤلف قد يورد نصا عربيا، فيترجمه بالفارسية، لغير العارفين بالعربية، طبعا، فينســـاق وراءه مترجمنا ويشرح النص العربي بالعربية ايضا، كما نجد ذلك حينما اتى المؤلف بالحديث القدســـي «يا ملائكتي !! قد استحييت من عبدي وليس له رب غيري، فقد غفرت له» فيعقب على هذا مترجمنـــا بالعربية، بما فعل في ذلك سعـــدي بالفارسيـــة، أي اجبت دعوته وقضيت حاجته، لانني استحييـــت من عبدي، لزيادة تضرعه وكثرة توجعه، هذه بالضبـــط ترجمة الفارسية «يعني دعوتش را اجابـــت كـــردم، وحاجتش رابر آوردم كه ازبســـيار دعا وزارىء بنده همي شوم دارم» وورد في حكاية بالباب الثاني قـــول النبي لابي هريرة (زرني غبا تزدد حبا) فشرحه سعدي بقوله: «يعني هرروز ميانا محبت زياده كردد» وتابعه المترجم بقوله: «يعني لا تات كل يوم لتزداد محبتـــك

عندي » ، وورد في الباب الخامس قول بعضهم « لا خير فيهم ما دام احدهم لطيفا يتخاشن فاذا خشن يتلاطف» فشرحه سعدي بقوله : « يعني تاخوب ولطيفند درشتي كنند ، وجون درشت شوند تلطف كنند ودوستي نمايند » فترجم هذه الترجمة الفارسية فقال : « يعني ما دامت لطافة حسنهم يتخاشنون ، ومتى خشنوا اظهروا المحبة وتلاطفوا » ، وورد في الباب السابع قول اعرابي لابنه : « اي بني انك مسؤول يوم القيامة عما اكتسبت ولست بمسؤول لم انتسبت ، فشرحه سعدي بقوله : « يعني تراخوا هند برسيدن كه عملت جيست ونكويند كه بردت كيست » ، فتابعه المترجم بقوله : « يعني انهم يسألونك عن فعلك ولا يسألونك عن ابيك واصلك » .

وورد في الباب الثامن قول العرب ، « جد ولا تمنن فان الفائدة عليك عائدة » ، فشرح هذا سعدي بقوله: «ببخش ومنت منه كه فائدة آن بتو بازمي كردد» فترجم هذه الترجمة بقوله : « يعني هب ولا تتبع هبتك بالمنة لان فائدة الهبة عائدة عليك وحدك » .

وهكذا نجده محافظا على ترجمة الكتاب محافظة يحمدها له طلاب الفارسية ، لا من يريد الاطلاع على الكتاب في محتواه .

حـ — وان المترجم تفوته بعض النصوص ، فلا يترجمها كهذه : (في سبب تاليف الكتاب — الساقط من الترجمة — من الرجز صفحة 15) .

مايه عيش آدمي شكمست
تا بتدريج مير ودرجه غمست
كر ببندد جنا نكه نكشايد
كردل ازعمر بركند شايد
وركشايد جنانكه نتوان بست
كوبشوى ازحيات دنيا دست
جار طبع مخالف وسركش
بنج روزى شوند باهم خوش
كريكي زين جهار شد غالب
جان شيرين برآرد از قالب
لا جرم مرد عارف وكامل
ننهد برحيات دنيا دل

وسقط من الباب الاول هذا البيت من الحكاية الثالثة منه صفحة (29) :

اقل جبال الارض طور وانه
لأعظم عند الله قدرا ومنزلا

وسقط من الحكاية الرابعة (صفحة 32) ترجمة هذه الفقرة :

« نخستين دشمني كه برسر ايشان تاخت خواب بود جندانكه باسي ازشب بكذشت » فلم يذكر فيها الا « واسرع النوم الى جفونهم فناموا » .

وسقط في (الصفحة 36) ترجمة هذا البيت :

باران كه در لطافت طبعش خلاف نيست
درباغ لاله رويد ودور شوره بوم خس

وسقط من (الصفحة 60) ترجمة هذا البيت :

آتش سوزان نكند باسبند
آنجه كند دود دل مستمند

وسقط من آخر الحكاية التاسعة والعشرين (في الصفحة 73) ترجمة هذين البيتين :

كرنبودي اميد راحت ورنج
باي درويش برفلك بودى
ور وزير ازخدا بترسيدي
آنجنان كزملك ملك بودى

وفي الباب الثاني سقط من الحكاية السادسة والعشرين (في الصفحة 110) ما ياتي :

(بيت)

شترارا جو شور وطرب در سرست
اكر آدمي را نباشد خرست

(شعر عربي)

وعند هبوب الناشرات على الحمى
تميل غصون البان لا الحجر الصلد

وفي الصفحة 120 سقط من الحكاية الثالثة والعشرين ما يلي :

(قطعة)

آنرا كه سيرت خوش وسريست باخداى
بي نان وقف ولقمه دريوزه زاهدست

آنكشت خوب روى وبنا كوش دلفريب
بي كوشوار وخاتم فريوزه شاهدست

(بيت)

تامرا هست وديكرم بايد
كر نخوانند زاهدم شايد

وسقط من الصفحة 264 وهو من الباب الثامن ، ترجمة ما يلي :

(بعد تحذير)

« نصيحت أز دشمن بذيرفتن خطا ست وليكن شنيدن رواست تا بخلاف آن كاركني وآن عين صوابست » .

ومن العجب انه جعل فى محل هذا ما يلي :

كثيرا ما وقع (المستورون) بعلة الفقر فى عين الفساد واطاروا شرف العرض والدين فى ريح السمعة السيئة بين العباد .

مع ان هذا الكلام تقدم له فى الصفحة 249 بالنص وهو ترجمة من « جدال السعدي مع المدعي فى بيان الغنى والفقر » فى الحكاية التاسعة عشرة من الباب السابع .

وفى نهاية الكتاب سقط (شعر عربي) :

يا ناظرا فيه سل بالله مرحمة
على المصنف واستغفر لكاتبه
واطلب لنفسك من خير تريد به
من بعد ذلك غفرانا لصاحبه (1)

هذا ما يتعلق بسقوط النص كاملا ، اما سقوط الجمل او المفردات من الترجمة فيواجهنا كثيرا وخصوصا فى ترجمة الشعر (وغالبا ما يكون السبب فى ذلك ضيق الوزن الشعري بالساقط) مثلا :

فى الصفحة 14 سقط بعد (قطعة) الابيات الاربعة عنوان (سبب تأليف الكتاب) وسقط من أواخر صفحة 32 ترجمة (نسختين دشمني كه برسراى ايشان تخت خواب بود) .

وسقط من الصفحة 54 ترجمة (كارش از آن كذشت) بعد (واعجبهم حسن تدبيره) .

وفى صفحة 54 يسقط « مقرب » بعد (فاصبح)

وفى الصفحة 112 سقط من الحكاية 28 من الباب الثاني ترجمة (قضارا) ــ اي صدفة او قضاء وقدرا ــ قبل قوله (وكان احد اخصاء العامل) .

وفى الصفحة 130 من الحكاية 45 من نفس الباب، سقط (مصراع) قبل (ف) خير للمراة الدميمة ان يكون زوجها أعمى) .

وفى الصفحة 148 سقط من الحكاية 30 من الباب الثالث ، ترجمة (وبر بيكفشي صبر كردم) كما سقط من الحكاية 21 (برزمستان) .

وفى الصفحة 158 سقط من الحكاية 29 ترجمة (وشاكردان جابك) بعد (الغلمان والجواري الحسان)

وفى الصفحة 165 سقط من نفس الحكاية،ترجمة (تني جندار فرو كوفت) بعد (فما قدر) .

وفى الصفحة 170 سقط من (تشبيه) فى نهاية الحكاية السالفة ترجمة (بام ، صبا تير اورا از حلقه انكشتري) وفى هذا التشبيه ــ كما قال ــ او التمثيل كما فى النص وقع ما يلي : انه أتى بالقصة هكذا « كما ان ملكا من ملوك فارس كان عنده حجر خاتم ثمين ، فخرج للتفرج مرة ، مع عدد من أخصائه الى « مصلى شيراز » فنزعه من يده ، وأمر ان يوضع على قبة عضد الدولة، وان كل من اجاز سهمه منه ، فهو له ، واتفق ان كان فى خدمته اربع مائة من امهر الرماة ، وكل اخطا المرمى الا غلام (هكذا) كان على الاسطبل يتلاعب بالسهام ، فاجاز منه سهمه، فمنح له الخاتم» . والترجمة الحرفية هكذا،

« وهكذا ان ملكا من ملوك فارس كان له خاتم به حجر ثمين الخ . . . فامر ان يوضع الخاتم الخ . . كل من اجتاز سهمه من حلقة الخاتم يصير له الخاتم الخ . . الا غلاما كان على سطح الرباط يلعب برمي السهام من كل طرف ، فأجازت ريح الصبا سهمه من حلقة الخاتم الخ . . » ــ ويلاحظ ان قوله « فنزعه من يده » لا وجود له فى النص، مع أن المترجم يحافظ على الترجمة محافظة (تعليمية) فى الغالب ، ومن غير الغالب ، قد يزيد كما هنا ، وكما فى مواضع اخرى سننبه عليها بعد .

وفى الصفحة 173 من الحكاية 2 من الباب الرابع سقط ترجمة (نكويم) بعد « الامر لك يا ولدي » .

وفى الصفحة 188 سقط (بيت) .

وفى الصفحة 202 سقط من اواخر الحكاية 18 من الباب الخامس (مصراع) قبل « مع وجودك الخ »

وفى الصفحة 227 سقط من الحكاية 3 من الباب السابع ترجمة (بسران) قبل (احد ــ بل آحاد ــ الرعية)

---

1) ربما يكون هذا الشعر من الناسخ (كاتبه) ولكنه على كل حال مثبت فى جميع النسخ التي بأيدينا من « كلستان » .

وفى الصفحة 252 سقط من « جدال السعدي مع المدعى فى بيان الغنى والفقر » من الباب السابع «ترجمة (مردم خوار) بعد « يكمن التمساح » .

د ـ اما الاتيان بما لا وجود له فى النص ، فهو ـ عدا ما فى الشعر منه ـ ما يلي :

ففي الصفحة 7 والسطر 5 « منهما » .

وفى الصفحة 53 ورد بالسطر 5 « أيها الابله » . وفى السطرين الاخيرين « لك . . . الشراب . . . الداء »

وفى الصفحة 58 والسطر 4 « فقبل معذرتي » . وفى الصفحة 57 والسطر 7 « وقديما » .

وفى الصفحة 59 والسطر 3 « فتجد نفسك عاجزا عن دفعها » .

وفى الصفحة 72 بالسطر 1 « ذات يوم لتجرده الى ربه . وبالسطر 5 « والحشمة » .

وفى الصفحة 80 والسطر 6 « مما يحسن لـه ان يتطاول بها على الاقران » .

وفى الصفحة 73 والسطر 9 « دون ما ـ ا خشا ـ ه مـــن » .

وفى الصفحة 74 والسطر 6 (عويصة) و « على مقدار » وردت موضع «فى» وهذه ألبق بمحلها فى النص .

وفى الصفحة 90 والسطر 3 « فعلى كل غر مثلي»

وفى الصفحة 102 والسطر 11 « أيها الحيوان » . وفى الصفحة التالية والسطر 7 « نكراء » .

وفى الصفحة 104 والسطر 12 « الرعاع » .

وفى الصفحة التالية والسطر 11 « العمل الشاق الذي يدل على النفاق » .

وفى الصفحة 106 والسطر 3 « بيداء » . والسطر 4 « أولئك » .

وفى الصفحة 108 والسطـــر 12 « لا أزال » . وبالسطر 13 « مدله مجذوب » .

وفى الصفحة التالية والسطر 3 « على صوتها » . وترن فى اذن الجوزاء » من السطر 4 .

وفى الصفحة 110 أول الحكاية 27 « لما رأى »11 « فتنسمت ذروة العرش الرفيع » .

وفى الصفحة 111 والسطر 12 « ان مع العسر يسرا » وأسد به رمقي » من السطر 12 .

وفى الصفحة 113 والسطر 7 « الباهر » . وفى الصفحة 114 والسطر 2 « ايضا » .

وفى الصفحة 118 والسطر 8 «شعر عربي الاصل» مع ان العربي أول البيتين .

وفى الصفحة التالية والسطر 3 « آذنت شمسها بالافول » و « حتى يستعينوا به على التبحر فى العلم بين السطرين الاخيرين من الصفحة المذكورة .

وفى الصفحة 121 والسطر 2 «بجماعة مجتمعين»

وفى الصفحة 131 والسطرين 5 و 6 « ومن حلال وحرام ،،،، من فارغ الكلام » وكذلك « وتستر بدراعته فى السطر 7 « والتف » كذلك ايضا .

وفى الصفحة 133 والسطر 9 « عكف . . . هما على ،، على » وفى السطر 11 « الدلو » .

وفى الصفحة 139 والسطرين 10 و 11 حـ « بين الفرس » و « حكي أن » فى اول الحكاية 11 والسطر 10

وفى الصفحة 141 والسطـــر 11 « قال احد الظرفاء » « رجل من النبلاء » بل الموجود هكذا « درويشي را ضرورتي پيش آمد كسي كفتش » أي ظهر املاق على فقير فقال له شخص » الـخ . وليس « فقلت له » كما ترجم .

وفى الصفحة 155 والسطر 10 « ولكنه » .
وفى الصفحة 199 والسطر 7 « لا ازل » .
وفى الصفحة 223 والسطر 8 « مرعاه » .
وفى الصفحة 232 والسطر الاول «وما ذاك الا أني»
وفى الصفحة 240 والسطر 4 « تعجز عن »
وفى الصفحة 246 والسطر 4 «من العدو الضاري»

وفى الصفحة 248 والسطـــر 9 « كما تتخطف الكلاب الضارية » .

وفى الصفحة التالية والسطر الثاني « بين العباد »
وفى الصفحة 253 والسطر الاول « المردية » .
وفى الصفحة 272 والسطر 11 « على الزمن » .
وفى الصفحة 275 والسطر 4 « مدى الادهار » .

وفى الصفحة 279 والسطر 3 « فى القبة » فكل ما تقدم لا وجود له فى الاصل .

ه ـ اما الاختلاف فى الترجمة النثرية وهو قليل بالنسبة الى الشعر ـ ففي مثل قوله :

فى الصفحة 31 عشرة دراويش يضمهم بساط واحد وملكان لا تقلهما مملكة واحدة ترجمة لقوله (ده

درويش در كلمي بخسبند ود وباد شاه در اقليمي نكنجد) اي ان (عشرة دراويش ينامون على بساط واحد وملكان لا يسعهما اقليم) .

وفي الصفحة 50 ـ 51 وردت العبارة : جاء الى أحد الرفاق بشكاية من جور الزمان ، فقال : رزقي قليل وعيالي كثير وليس لي طاقة على احتمال الفاقة ، واني لمهاجر الى اقليم آخر اعيش به بضنك او رفاه فلا يطلع على حالتي احد من الاعداء او الاصدقاء . ترجمة لقوله : يكي از رفيقان شكايت روزكار نامساعد بنزديك من آورد كه كفاف اندك دارم وعيال بسيار وطاقت بار فاقهندارمبارهادر دلمآمد كهباقليمديكر رومتادر آن بصورت كه زندكاني كنم كسي را برنيك وبد من اطلاعي نباشد . اي اتاني احد الرفقاء بشكاية من الزمان غير المساعد انا لي كفافا قليلا وعيالا كثيرا وليست لي طاقة على احتمال الفاقة ، وقد خطر لي (اتى الى قلبي) مرارا ، ان اذهب الى اقليم آخر ، بحيث لا يكون لاحد اطلاع باية صورة على طيب وقبيح الحياة التي احياها

وفي الصفحة 53 وردت العبارة « الاصدقاء هم الذين ينفعونك عند الضيق والبرحاء لا الذين يظهرون لك الصداقة على مائدة الشراب وهم لك اعداء » ترجمة لقوله (دوستان در زندان بكار آيند كه در سفره همه دشمنان دوست نمايند) أي ان (الاصدقاء يأتون بنفع في السجن ، لانه على المائدة جميع الاعداء يبدون المودة) .

وفي الصفحة 54 وردت العبارة « فرفعوه من تلك المرتبة الى اعلى وهكذا ما زال يرتقي به نجم السعادة حتى بلغ به أوج الارادة فأصبح عند السلطان » ترجمة لقوله « وبمرتبه بر تر از آن متمكن كشت وهمچنين نجم سعادتش در ترقي بودتا بأوج ارادت رسيد ومقرب حضرت سلطان شد » أي وتمكن من مرتبة أعلى من تلك ، وترقى نجم سعادته هكذا ، حتى وصل الى اوج الارادة ، وصار مقربا عند السلطان .

وفي الصفحة 56 وردت العبارة « فاعطيت بيده العذر » ترجمة لقوله « معذروش داشتم » أي عذرته

وفي الصفحة 58 وردت العبارة « فاخذ أحد جلسائه ينصحه لعدم تدبيره » ترجمة لقوله « يكي از جلساء بي تدبير نصيحتش آغاز كرد » اي واخذ أحد الجلساء الذين لا تدبير لهم ينصحونه .

وفي الصفحة 62 وردت العبارة « غضب الملك على ذلك الجندي فزج به في غيابة السجن ، فجاء اليه الفقير والقى على راسه ذلك الحجر » ترجمة لقوله (ملك برآن لشكري خشم كرفت ودر جاهش كرد درويش درآمد وآن سنك بر سرش انداخت) أي غضب الملك على ذلك الجندي والقاه في الجب فأتى الدرويش والقى على راسه ذلك الحجر .

وفي الصفحة 70 وردت العبارة « فعلمه كل ما يعرض الا بابا واحدا » ترجمة لقوله (سيصد وبنجاه ونه بندش درآ موخت مكربك بند كه درتعليم آن دفع انداختي وتهاون كردى) أي علمه تسعة وخمسين وثلاث مائة بند ، الا بندا واحدا كان يصرفه عن تعليمه ويتهاون فيه .

وفي الصفحة 72 وردت العبارة « فهزت الملك سطوة السلطنة فغضب على ذلك الفقير وقال هذه الطائفة الملتفة بالخرق كبهيمة الانعام ، ليس لها قابلية ولا تعرف الانسانية وبادره الوزير قائلا ايها الدرويش مربك ملك الزمان فلماذا لم تقف له برسم الخدمة ولم تقم بشرط الادب والحشمة » ، ترجمة لقوله (بادشا از انجا كه سطوت سلطنت است بهم برآمد وكفت اين طائفة خرقهء بوشان برمثال حيوانند كه أهليت وآدميت ندارند وزير كفت اى درويش باد شاه روى زمين برتو كذركرد جرا خدمت نكردى وشرط ادب بجاى نياوردى) أي فالملك بما له من سطوة السلطنة امتعض من ذلك وقال ان هذه الطائفة المرتدية للخرق على مثال الحيوانات التي لا اهلية لها ولا آدمية ، وقال الوزير ايها الدرويش ملك الدنيا يمر بك فلماذا لم تؤد واجب الطاعة ولم تات بما يقتضيه الادب .

وفي الصفحة 78 وردت الكلمة «بازوان» فترجمها بكلمة (يمينه) مع انها الساعدان .

وفي الصفحة التالية وردت هذه العبارة « اطرق سمعك اني ساخلد بعد موته ؟ » ترجمة لقوله (هيج شنيدى كه مرا فرو كذ شت) أي اسمعت قط انه تركني ؟ .

وفي الصفحة 91 وردت العبارة « لم تفعل شيئا كعادتك » ترجمة لقوله (جزى نكردى كه بكار آيد) أي انك لم تفعل شيئا ينفع .

وفي الصفحة 93 وردت العبارة « ولو لم تتداركه العناية لغرق » ترجمة لقوله (وبمشقه بسيار ازآنجا خلاص يافت) أي وبمشقة عظيمه خلص من هناك .

وفي الصفحة 94 وردت (قطعة) وهي كما في الاصل (حكاية منظومة) .

وفي الصفحة 97 وردت العبارة «انا يحل مما فعل» ترجمة لقوله (من أورا بحل كردم) أي أنا أحللته ، كما ورد فيها « فملكه الحاكم يد السارق وقال له : اضافت عليك المسالك حتى لا تسرق الامن بيت صديق كهذا » ترجمة لقوله (حاكم دست ازو بداشت وكفت جهان برتو تنك آمده كه دزدى نكردي الا ازخانهء جنين يارى)

اي فابقى الحاكم على يده وقال هل كانت الدنيا قد ضاقت عليك فلم تسرق الا من بيت مثل هذا الصديق .

وفي الصفحة 100 وردت الحكاية « استدعى أحد الملوك عابدا لحضرته ، ففكر العابد في ان يتناول دواء فيشربه ليظهر ضعيفا فيزداد اعتقاد الملك به » ترجمة لقوله (عابدي راپا شاهي طلب كرد عابد أند يشيد كه داروين بخورم تا ضعيف شوم مكر اعتقاد در حق من زيادت كند) أي دعا ملك عابدا ففكر العابد (يعني حدث نفسه قائلا) : اشرب دواء لأصير ضعيفا ، فلعل اعتقاده بي يزداد .

وفي الصفحة 107 وردت الفقرة « ولكن انظر الي فان الجميع يحسنون الظن بي ويعتقدون انني بأعلى درجات الكمال ، والحقيقة انني بادنى دركات النقصان» ترجمة لقوله (وليكن مرا بين كه حسن ظن همكنان درحق من بكمالست ومن درعين نقصان) أي ولكن انظر الي فان المحسنين للظن بي جميعا (يعتقدون بي) الكمال وانا في عين النقصان .

وفي الصفحة 109 وردت العبارة « ليس من المروءة ان تذهب في التسبيح تلك المجماوات واسكت انا سادرا في الغفلات » ترجمة لقوله (مروت نباشد همه در تسبيح رفته ومن درغفلت خفته) اي ليس من المروءة ان كان الجميع مستمرا في التسبيح واكون انا نائما في الغفلة .

وفي الصفحة 110 وردت العبارة « لما راى احد الملوك ان مدة عمره قد قاربت نهايتها » ترجمة لقوله (يكي را أزملوك مدت عمرش سبرى شد) أي لما قاربت مدة عمر احد الملوك ان تنتهي .

وفي الصفحة 133 والسطر 10 وردت الكلمات « الدهر » « الفقير » .. والصواب « العصر » « الفقيه » .

وكذلك اول الصفحة 134 وردت « الفقير » وصوابها الفقيه .

وفي الصفحة 139 وردت كلمة « مرهم » ترجمة لكلمة (نوش دارو) أي « ترياق » لامرهم ، لان الترياق من الادوية المشروبة . ولهذا سمي (نوش دارو) اي الدواء المشروب .

وفي الصفحة 149 وردت العبارة « ولكن قدر الدهقان يريد ان يرتفع » ترجمة لقوله (ولكن نخوا ستند كه قدر دهقان بلند شود) اي لكن ما أرادوا أن يرتفع قدر الدهقان .

وفي الصفحة 165 وردت العبارة « وتكاثر عليه من حضر فغلبوه فوقع بعد الصدام جريحا » ترجمة لقوله (مردمان غلبه كرد ندی بي محابا بزدند ومجروح كردند) اي غلبه الرجال وضربوه ضربا مبرحا وجرحوه .

وفي الصفحة 166 ترجم « لوريان » باللصوص مع انهم جنس من الاكراد سكنوا ايران .

وفي الصفحة 68 ترجم كلمة « تيشي » بالسم مع انها « الذنابى » .

وفي الصفحة 173 ترجم كلمة (همسايه) « بالانذال » مع أنها الجار .

وفي الصفحة 178 ترجم (صاحب دلي) بمتدين مع انه « ورع » او « متصوف » .

وفي الصفحة 188 وردت العبارة « فهممت لاستقباله فانطفأ السراج من كمي بدون اختياري » ترجمة لقوله (جنان بي اختيار از جاي برجستم جراغم بآستين كشته شد) اي فلما قفزت مندفعا من مكاني انطفأ السراج بكمي .

وفي الصفحة نفسها بعد العبارة مباشرة ورد الشطر « سرى طيف من يجلو بطلعته الدجى » كما هو في اصله ، ثم قال فعجبت من اين اقبلت دولة حظي . وبذلك اتى بشطر بيت منها على ذلك بوضعه بين قوسين صغيرين ، ثم اتى بقوله فعجبت الخ كانه ترجمة لباقي القصة . مع انه ترجمة للشطر الثاني من البيت . وهو « شكفت آمد از بختم كه اين دولت ازكجا » ، على نفس الوزن من بحر الطويل .

وفي الصفحة 199 وردت العبارة « فلم أدر أمزج بعرق طلعته او بماء ورد وجنته ام تقطرت من ياسمين محياه » ترجمة لقوله (وبعرق برآ مختته ند انم كه بكلابش مطيب كرده باقطرهء جند ازكل رويش درآن جيكده) اي ممزوجا بالعرق (يعني النبيذ) فلا ادري هل طيب بماء ورده ام تقطرت فيه قطرات من ورد طلعته .

وفي الصفحة 224 وردت العبارة « فكيف اطمع بالشابة وانا شيخ هرم » ترجمة لقوله (اوراكه جوان باشد بامن كه بيرم جون دوستي صورت بندد) اي كيف يتصور الوفاق مع التي تكون شابة وانا الشيخ .

وفي الصفحة 247 وردت كلمة « محتاجا » ترجمة لقوله (دغاى) مع أن ترجمة هذه (محتال) .

وفي الصفحة 253 ترجم (بيدمشك) بالغصن الريان . مع انه (الصفصاف) .

وفي الصفحة 234 تقدم انه اتى بعد (تحذير) ترجمة نص آخر تقدم في (جدال السعدي) ولم يترجم النص الوارد وهو (نصيحت ازدوشمن بذير فتن خطاست وليكن شنيدن رواست تا بخلاف آن كاركني وآن عين صوابست) اي ان قبول النصيحة من العدو

خطأ ولكن سماعها لائق حتى تعمل على خلافها وذلك عين الصواب .

وفي الصفحة 280 وردت العبارة « كل من كان عدوه تحت قبضته ولم يقتله فقد قتل نفسه » ترجمة لقوله (هركرا دشمن دربيشيست اكر مكشد دشمن خويشست) أي كل من كان أمامه عدو ولم يقتله فاته عدو نفسه .

وفي الصفحة 291 وردت العبارة (والعالم المتهاون فارس عاجز) ترجمة لقوله (وعالم بي عمل درخت بي بر) اي العالم بلا عمل ، شجر بلا ثمر .

هذا ما يتصل بالنصوص الفارسية في النثر ، اما الشعر فقد تصرف فيه اكثر من هذا وهو مضطر في ذلك لاسباب كثيرة خصوصا وانه ترجمه شعرا وهذا من الصعب بمكان ، ومع هذا فما ورد من هذه الترجمة اول الكتاب كان اكثر مطابقة على النص من غيره . ولهذا فاننا لن نتعرض الى ما ورد في هذه الترجمة عموما وبيان ما فيها من زيادة او نقصان او استبدال مدلول كلمة بآخر ، ما دام المقصود من المعنى قد ادى على وجه من الوجوه الشعرية التي اشرنا اليها أولا .

واخيرا وفيما عدا هذا جميعا وقعت بعض الاخطاء القليلة او الركاكة في العبارة مثل :

وبيناي في الحمام اذ وصلت الى
يدي طينة فواحة من يدي حبي

فالعربية لا تسيغ هذا ، فان قيل ان الاصمعي قد خفض ما بعد بينا فان هذا قد شرط في ذلك ان تصلح موضع بينا هذه بين ، وهذه لا تضاف الا لما يدل على اكثر من واحد او ما عطف عليه غيره بالواو ، وبعد هذا تبقى (اذ) وهي فجائية كما عند سيبويه والفجائية لا تصلح الا بعد جملة وهي معدومة في تركيبنا .

وورد في الاصل البيت هكذا :

روضة ماء نهرها سلسال   دوحة سجع طيرها موزون

(بالسكون فيهما) ، فغيره المترجم الى :

دوحة ماء نهرها سلسبيل   دوحة سجع طيرها موزون

(بالضم فيهما) .

وورد في الصفحة 95 الآية « ونحن أقرب اليه من حبل الوريد » محرفة بـ « اليكم » بدل « اليه » كما هو في الاصل .

وفي الصفحة 154 وردت العبارة « رجل مقطوع اليد والرجل قتل الخ » بدل « قتل رجل مقطوع اليد والرجل » .

وفي الصفحة 169 وردت العبارة « وكل اخطأ المرمى الا غلام (بالضم) وصوابه غلاما بالفتح .

وفي الصفحة 179 وردت العبارة « خطيب كريه الصوت كان يظن الخ » بدل كان خطيب كريه الصوت .

وفي الصفحة 183 وردت كذلك العبارة « شاب سلب الهوى لبه الخ » بدل « سلب الهوى لب شاب الخ »

وفي الصفحة 210 ورد البيت هكذا :

لو ان حبا بالملام يزول   لسمعت افكا يفتريه عذول

مع انه في الاصل : « ولو الخ » بالواو وتسهيل همزة ان .

وفي الصفحة 251 وردت العبارة « حاتم الطائي كان مقيما في البادية » بدل « كان حاتم الطائي الخ »

وكذلك في الصفحة 270 وردت العبارة « عشرة من الناس ياكلون على سفرة واحدة » بدل « ياكل عشرة الخ » ، وان كان التقديم هنا يجد له مبررا بلاغيا .

وفي الصفحة 275 ورد (تنبيه) وفي الاصل (تشبيه) .

وفي الصفحة 276 وردت العبارة « المعصية اذا صدرت من كل احد » وصواب العبارة اذا صدرت المعصية من مطلق الناس .

تطوان ــ محمد بن تاويت

القاضي عياض

للاستاذ عبد القادر الصحراوي

(2)

وبعـــد ، فماذا قال الذين كتبوا عن عيــاض « العالـم » في حقـــه ؟

اننا نعلم ان التحليات التي يحلي بها كثير من كتاب التراجم ، من يترجمون لهم ، قد لا تعني شيئا محددا ، وانها في بعض الاحيان ليست لها صفة الخصوصية ، فقد يقال في هذا كلام لا يخرج في معناه عما يمكـــن ان يقال في ذاك ، مع تباينهما من وجه او عدة وجوه

لذلك سنطرح كل ما كان من هذا القبيل ، وهـــو كثير جدا ، وسنكتفـــي بايراد بعض الشهادات التـــي يبدو لنا انها ذات دلالة خاصة ، لنعرف من خلالها كيف كان تقدير العلماء للقاضي عياض على مر الاجيال ، وان كان القاضي عياض في الواقع في غنى عن كل شهـــادة او تنويه . فقد ترك مؤلفاته قائمة ، تشهد له ، وتثني عليه ، وتعلن تفوقه واستاذيته وعلمـــه ؛

* * *

يقول عنه ابن خلكان في وفيات الاعيان في عبارة مركزة جامعة :

« كـــان امـــام وقتـــه » ؛

ثم يقول عنه بعد ان يترجم له ويذكر العلوم التي برع فيهـــا ومؤلفاتـــه :

« وبالجملة فكل تواليفه بديعـــة »

ويقول عنه ابن بشكوال في الصلة في كلام طويل: « وهو من اهل التفنن في العلم والذكاء واليقظة والفهم »

ويقول عنه ابن فرحون في الديباج المذهب : « كان امام وقته في الحديث وعلومه ، عالما بالتفسير وجميـــع علومه ، فقيها اصوليا ، عالما بالنحو والفقه واللغة وكلام العرب وايامهم وانسابهم ، بصيرا بالاحكام ، عاقـــدا للشروط ، حافظا لمذهب مالك ، شاعرا مجيدا ، ريانا من علم الادب ،خطيبا بليغا ، صبورا حليما ، جميـــل العشرة ، جوادا سمحا ، كثير الصدقـــة ، دؤوبا على العمل ، صلبا في الحـــق »

ويقول عنه الذهبي في تذكرة الحفاظ ، في كـلام طويل ايضا :

« وحاز من الرئاسة في بلده ومن الرفعة ، ما لم يصل اليه احد من اهل بلده ، وما زاده ذلك الا تواضعا وخشية لله »

ويقول عنه المقري في أزهار الرياض : « كـــان حسن الالقاء للمسائل ، كثير التحرير للنقول ، وقـــد انتفع به من العلماء من لا يحصى ، وكـــان وقـــورا ، ذا سمت حسن ، وهدى مستحسن ، وربما تقع منـــه دعابة كما تصدر من الفضلاء من أمثالـــه »

ثم يقول عنه نقلا عن ابن خاتمة : « كان لا يبلـــغ شاوه ولا يدرك مداه ، في العناية بصناعة الحديـــث ، وتقييد الآثار ، وخدمة العلم ، مع حسن التفنن فيه ، والتصرف الكامل في فهم معانيـــه ، الى اضطلاعـــه

بالآداب ، وتحققه بالنظم والنثر ، ومهارته في الفقه ، ومشاركته في اللغة العربية ... وكان سريع الوضع « اي التأليف » وتدل على ذلك كثرة اوضاعه »

ويقول عنه ابن الابار في « المعجم » بعد كلام طويل: « وبالجملة ، فكان جمال العصر ، ومفخرة الافق ومعدن الافادة ، واذا عدت رجالات المغرب ، فضلا عن الاندلس ، حسب فيهم صدرا »

* * *

هذه بعض اقوال العلماء في الاعصار المتعاقبة في القاضي عياض ، وقد حرصنا على الا نورد من اقوالهم فيه الا ما كان يبدو لنا انه يكتسي صبغة الخصوصية ، ومع ذلك فلا بأس ان نصغى قليلا الى بعض ما قاله الفتح بن خاقان ، وهو يتحدث عن القاضي عياض في اسلوب مسجوع مصنوع ، من النوع الذي قلنا عنه انه لا يدل على شيء محدد ، وانه يمكن ان يقال عن هذا كما يمكن ان يقال عن ذاك ، مع تباينهما من وجه او من عدة وجوه ؛

يقول الفتح بن خاقان عن القاضي عياض :
« جاء على قدر ، وسبق الى نيل المعاني وابتدر ، واستيقظ لها والناس نيام ، وورد ماءها وهم حيام ، وتلا من المعارف ما اشكل ، واقدم على ما احجم عنه سواه ونكل .... »

* * *

ونقف قليلا عند الفتح بن خاقان لنروي قصة طريفة ، روى غير واحد انها وقعت له مع القاضي عياض ، ذكرها ابنه محمد في كتابه في التعريف بوالده ، واوردها نقلا عن « الاحاطة » المستشرق الاسباني فالانسيا في كتابه « تاريخ الفكر الاندلسي » .

ومعلوم ان الفتح بن خاقان كان معاصرا للقاضي عياض ، بل انه كان من اصحابه وجلسائه ، وكان الفتح اديبا ظريفا متحللا ، وكان قد الف كتابه « قلائد العقيان » الذي ترجم فيه لبعض اعلام الفكر والادب، بالاندلس والمغرب ، كان من بينهم القاضي عياض ، وقد نقلنا بضع جمل مما حلاه به الفتح في هذا الكتاب .

وذات يوم حضر الفتح بن خاقان الى مجلس القاضي عياض ، وهو سكران ، ولكن عياضا لم يتنبه لذلك ولم يشعر به ، وكان من الممكن ان يمر الامر بسلام ، لولا ان بعض « المتطوعين » من حضور المجلس، اخبروا القاضي بذلك ، فلما تأكد منه ، وهو القاضي الذي لا يتهاون ابدا في اقامة حد من حدود الله ، وجد نفسه بين امرين ، بين حد شرعي يجب ان يقام ، وبين اديب ظريف وصديق سمير ، ينبغي الترفق به والعطف عليه ؛

ولم يطل التردد كثيرا بالقاضي عياض ، فأقام الحد الشرعي على الفتح بن خاقان من جهة ، ووجه اليه من جهة اخرى بهدية عند انصرافه ، كانت عبارة عن عمامة ودنانير !

لكن الهدية لم تستطع ان ترضي الفتح بن خاقان ولا ان تستل السخيمة من قلبه على القاضي عياض ، ولا ان تصرفه عن التفكير في الانتقام منه ، لاذلاله اياه على ملا من الناس ، بأن اقام حد السكر عليه .

وفكر الفتح وقدر ، فلم يجد بين يديه ، وهو الاديب المؤلف ، الا وسيلة واحدة للانتقام ، وذلك بحذف اسم القاضي عياض ، واسقاط ترجمته من كتابه « قلائد العقيان » !

وتحدث الفتح بذلك الى بعض اصدقائه ، ولكن الصديق اشار عليه بأنه ان فعل ، فانما سيسيء بذلك الى نفسه هو والى كتابه ، لا الى القاضي عياض ؛

ذلك ان اقامة الحد عليه ستنسى كما ينسى كل شيء بعد حين ، اما اذا ما اسقط ترجمة القاضي عياض من كتابه ، فسيتساءل الناس بعد ذلك : كيف ترجم الفتح بن خاقان لكل هؤلاء العلماء والادباء ولم يترجم للقاضي عياض صاحبه ومعاصره ؟

وسيجيبون او يجابون ، بأنه كان قد ترجم له فعلا ، ثم عاد فاسقط ترجمته بعد ذلك ، لانه كان من شأنه معه كيت وكيت ، فتخلد بذلك قصة الحد الذي اقيم عليه ، وهو من غير شك يريد لها ان تنسى !

قالوا : واستمع الفتح بن خاقان الى نصح صديقه واخذ برأيه ، وابقى في كتابه على ترجمة القاضي عياض .

* * *

ونحن نستطيع اذا شئنا ان نفترض ان هذه القصة ربما كانت موضوعة ، وانها ربما كانت من نوع القصص التي تختلق للتسلية والتفكه والتندر بالناس؛

وحتى على افتراض ذلك ، فانها لاتعدم قيمتها نهائيا ، فاختلاق القصص على الشخصيات التاريخية يقصد فيه فى الغالب الى التعبير عن لسان حال تلك الشخصيات ، وتصوير التصرفات التي يمكن ان تصدر عنها بحسب طبيعتها وبحسب ما هو معروف من اخبارها واحوالها وتصرفها فى المواقف المشابهة ؛

وسواء كانت هذه القصة صحيحة تاريخيا او مختلقة على نحو ما اسلفنا ، فانها تصور لنا بعض الجوانب من شخصية القاضي عياض ؛

اننا نستطيع ان نستخلص منها ان عياضا كان شديدا فى الحق ، وفي اقامة حدود الشريعة لا يتساهل فى ذلك ابدا ، ولا تأخذه فيه لومة لائم ، وهو قد كان كذلك فعلا ، فقد وصفه بذلك مؤرخوه وكتاب ترجمته ، بل ان ذلك ربما كان قد سبب له بعض المتاعب مع بعض امراء المرابطين عندما كان قاضيا بقرطبة ، وربما كان هو الذي تسبب فى نقله من القضاء بقرطبة ، الى سبتة كما تروي بعض كتب التاريخ .

ونستطيع ان نستخلص منها ايضا انه كان الى جانب ذلك انسانا لطيفا ، جميل المعشر ، متذوقا للادب ، محبا للادباء ؛

وقد كان كذلك فعلا ، بل كان هو نفسه اديبا ينظم الشعر الجيد ، ويكتب النثر البليغ ، وقد حرص معظم الذين ترجموا له على ان يأتوا بنماذج من شعره ونثره ، لم نر موجبا للاستشهاد بها .

ونستطيع اخيرا أن نستخلص من هذه القصة ، مقدار ما كان يتمتع به القاضي عياض بين معاصريه انفسهم ـ مع أن المعاصرة حجاب كما يقال ـ من تقدير كبير واحترام متزايد ، واعتراف بالفضل والتفوق ، الى حد انهم لا يتصورون أن يصدر كتاب فى التاريخ او فى التراجم فى عصره ، دون ان يكون من بين موضوعات هذا الكتاب ، ترجمة القاضي عياض !

ونختم هذا العرض بالقاء نظرة سريعة عجلى على مؤلفات القاضي عياض ؛

اما النظر الصحيح فيها وبسط الكلام عنها فيحتاجان معا الى وقت أطول ومجال اوسع ؛

لقد خلف لنا القاضي عياض نحوا من ثلاثين كتابا ، يقع بعضها فى مجلدات متعددة واجزاء كثيرة ؛

ولم يطبع من مؤلفاته حتى الآن الا القليل ، اما أكثرها فالبعض منه لا يزال مخطوطا ينتظر دوره للتحقيق والنشر ، والبعض الآخر نقرا عنه فى المراجع التي تتحدث عن القاضي او تترجم له ، ولكننا حتى الآن لا نعرف السبيل اليه ، وعسى أن يكشف عنه البحث المتواصل .

لقد حرص كل واحد من الذين تحدثوا عن القاضي او ترجموا له ، على ذكر مؤلفاته ، ولكن أي واحد منهم لم يحاول أن يستقصيها ، حتى جاء اخيرا الاستاذ محمد بن تاويت الطنجي فاستقصى اسماءها من مختلف المراجع ، ووضع فهرسا بها ضمن المقدمة التي صدر بها الجزء الاول من كتاب « ترتيب المدارك » فجاء عددها فى هذا الفهرس المذكور اثنين وثلاثين كتابا، الا ان هنالك ما يحمل على الشك فى أن يكون البعض منها مما لم يكشف عنه البحث بعد ، قد ورد فى المراجع المختلفة بأسماء مختلفة ، لذلك قلنا من باب الاحتياط، انها تبلغ نحوا من ثلاثين كتابا .

وسنبدا فى ذكر مؤلفات القاضي عياض بالمطبوع منها وما هو تحت الطبع ؛

ثم نثني بذكر ما أمكن لنا الوقوف عليه مما لا يزال مخطوطا منها .

ونتبع ذلك بذكر اسماء مؤلفاته الاخرى التي لم يكشف البحث عنها بعد ، أو لم نهتد نحن اليها في بحثنا .

* * *

فالمطبوع من مؤلفات القاضي عياض ـ فى حدود علمنا ـ هو الكتب التالية :

أولا : الشفاء ، أو الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ولعله أشهر مؤلفات القاضي عياض وأكثرها تداولا بين الناس ، وهو أشهر من أن يذكر ، ويقع فى جزءين كما هو معلوم .

ثانيا : مشارق الانوار على صحاح الآثار، ويقع هو ايضا فى جزءين ؛

يقول الاستاذ بن تاويت الطنجي عن هذا الكتاب: « وهو من أقوم ما خلف القاضي عياض رحمه الله ، درس فيه الموطأ وصحيح البخاري ، وصحيح مسلم ، عمد الى كلمات المتن واسماء الاماكن والرجال وكناهم والقابهم ، فرتب كل ذلك على حروف المعجم ، ثم شرع فى عمله ، فضبط متونها وصححها على الاصول ، ونبه على رواياتها المختلفة ، واشار الى الصواب او الارجح

منها ، اعتمادا على المقارنة بين الروايات ومتون اللغة ، واستفادة من دراسات السلف التي سبقته ، واعتمادا بعد هذا كله على استقصائه وكثرة بحثه ؛

ثم افرد فصلا لاسماء الامكنة فضبطها ، وكذلك فعل في الاسماء والالقاب والكنى والانساب الواردة في اسانيد هذه الكتب الثلاثة المذكورة ، وعاد فعرض الى ما وقع في كل فصل من هذه الفصول من تصحيف وتحريف ، يقومه وينبه على الصواب فيه ، وختم هذا العمل المعجز بشرح وجيز لغريب كلمات الكتب الثلاثة »

انتهى كلام الاستاذ بن تاويت

والواقع ان العلماء على مر العصور قد احتفوا بهذا الكتاب احتفاء كبيرا واطروه ومجدوه .

يقول فيه صاحب الديباج : « وهو كتاب لو كتب بالذهب أو وزن بالجوهر لكان قليلا في حقه »

ومما قيل فيه شعرا ، قول بعضهم :

مشارق انوار تبدت بسبتة
ومن عجب كون المشارق في الغرب!

وهذا الكتاب القيم من مطبوعات القصر الملكي العامر ، سنة 1325 هجرية .

ثالثا : الاعلام ، بحدود قواعد الاسلام،

وهو كتاب صغير الحجم ، الفه القاضي عياض للناشئة المتعلمين ، كما يستفاد من مقدمته القصيرة جدا . وذلك حيث يقول : « ايها الراغب في الخير ، الحريص على تدريب المتعلمين لوجوه البر ، فانك سألتني في جمع فصول سهلة المأخذ قريبة المرام ، مفسرة حدود قواعد الاسلام ، فاعلم ... الخ »

والكتاب في شرح قواعد الاسلام الخمسة كما يستفاد من عنوانه ومن مقدمته وموضوعاته ، وقد احسنت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية صنعا حين قامت بأمر من صاحب الجلالة الحسن الثاني نصره الله ، بتحقيق هذا الكتاب وطبعه ، وذلك سنة 1964

ولعل هذا الكتاب فريد من نوعه بين مؤلفات القاضي عياض ، فاننا لا نعلم حتى الآن في مؤلفاته الاخرى كتابا وضع للناشئة من المتعلمين .

رابعا : ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك،

وتوالي وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بأمر من صاحب الجلالة الحسن الثاني نصره الله ، تحقيق هذا الكتاب وطبعه ، فقد أصدرت حتى الآن جزءين منه الاول ، والثاني ، والعمل متواصل لاخراج بقية الاجزاء الاخرى

ويقع هذا الكتاب ـ حسب تجزئة بعض نسخه الخطية ـ في سبعة اجزاء .

ويعتبر « أوسع مؤلف في طبقات المالكية » كما يقول عنه المستشرق الاسباني فالانسيا

وهو كذلك فعلا ، ويكفي ان نعلم ان القاضي عياضا ترجم فيه لالف وخمسمائة وتسعة وستين من علماء المذهب المالكي ؛

كما يكفي ان نعلم ان جزءيه الاولين الذين خصصهما للامام مالك ، يعتبران اوفى مرجع على الاطلاق فيما يتعلق بتاريخ هذا الامام العظيم ، فقد استقصى فيهما كل شاذة وفاذة من احواله واخباره ، واقواله المأثورة ، وعلاقاته بحكام عصره ، ومحنته ، وكل شيء شيء يتعلق به ، حتى ما كان من باب مزاحه ونوادره ، وتعقبه الى النهاية ، الى أن مات ، فتحدث عن تركته ، وترك لنا بيانا بها ، الى غير ذلك مما تطول الاشارة اليه .

والواقع أن كل من كتب عن الامام مالك بعد القاضي عياض ، كان عالة عليه فيما يخص التاريخ والاخبار ، سواء في ذلك المؤلفون القدامى او المحدثون؛

ونذكر من المؤلفين المحدثين على سبيل المثال الاستاذين امين الخولي رحمه الله ، ومحمد ابو زهرة مد الله في عمره ؛

فقد الف الاول منهما كتابا عن الامام مالك في ثلاثة أجزاء ، والف الثاني منهما كتابا آخر عنه وعن مذهبه وفقهه في جزء واحد كبير الحجم ، هو عبارة عن محاضرات كان قد القاها على طلبة كلية الحقوق بجامعة القاهرة بصفته استاذا للشريعة الاسلامية بالكلية المذكورة ؛

ويتضح من قراءة هذين الكتابين ، ان مؤلفيهما، قد اعتمدا اعتمادا كليا فيما يتعلق بحياة الامام مالك واخباره ، وتفصيل احواله ، على الجزئين الاول والثاني من كتاب ترتيب المدارك للقاضي عياض ، وقد ذكرا

ذلك بطبيعة الحال ، ونقلا من الكتاب المذكور فقرات كثيرة — ومن المعلوم انه توجد منه نسخ خطية بدار الكتب بالقاهرة — كما ان الاستاذ الخولي تحدث عن نسخ اخرى خطية وقعت اليه من هذا الكتاب عن غير طريق دار الكتب .

واذا كان الاستاذ ابو زهرة قد اكتفى بالنقل من كتاب ترتيب المدارك ، ومناقشة بعض ما ورد فيه مناقشة هادئة . فان الاستاذ امين الخولي بالرغم من اعتماده عليه ، يبدو انه لم يكن يطمئن تمام الاطمئنان الى منهجه فى التاريخ ، ذلك المنهج الذي يطلق عليه اسم « المنقبية » ويقصد بذلك ان يعمد المؤرخ الى ابراز « مناقب » الشخصية التي يتحدث عنها ، فيقدمها وكانها بريئة من كل عيب ومتسمة بالكمال ! !

ومهما يكن فان كتاب ترتيب المدارك يعتبر المرجع الاول فى تاريخ الامام مالك ، وتراجم علماء المذهب المالكي ، ويستطيع كل مؤرخ او كاتب يهتم بهذا المجال ان يجد فيه بغيته ومادته الخام ، وله بعد ذلك ان يتصرف فى هذه المادة كما يشاء ؛

واذا كان التاريخ قابلا دائما لان تعاد صياغته ، فانما ذلك لاختلاف النظرة والفهم بين عصر وعصر ، وبين باحث وباحث ، وبين منهج ومنهج ؛

اما احداث التاريخ نفسها فثابتة ، لانها شيء كان ، وانتهى ، ولم يعد بامكان احد ان يتصرف فيها كما يشاء .

* * *

وننتقل الآن الى ذكر ما استطعنا الوقوف عليه من مؤلفات القاضي عياض التي لا تزال مخطوطات لم تطبع بعد — فيما نعلم — وهي كما يلي :

أولا : اكمال المعلم بفوائد مسلم ، وقد ذكر الاستاذ بن تاويت انه موجود بالخزانة العامة، ولكني شخصيا لم اقف عليه بها ، كما ذكر نقلا عن بعض المصادر ، انه يقدر بتسعة وعشرين جزءا ؛

ولعل المقصود بالاجزاء هنا ، الفصول او الابواب أو ما الى ذلك ، كما يمكن ان يستفاد من نسخ الكتاب الخطية التي استطعنا الوقوف عليها .

ففي الخزانة الملكية ثلاث نسخ خطية من هذا الكتاب .

الاولى تحت رقم 560 فى مجلد واحد ، فى مائة وخمسين صفحة ، وقد ورد فى آخر هذا المجلد ما يلي: « تم الجزء الاول من الاكمال للقاضي عياض ، يتلوه اول الجزء الثاني ان شاء الله كتاب الطهارة »

والثانية تحت رقم 4037 وهي تقع فى مجلدين . يضم المجلد الاول سبعة اجزاء من الكتاب ، ويضم الثاني سبعة اجزاء اخرى ، من الثامن الى الرابع عشر، ويبدو انها ايضا غير تامة .

والثالثة تحت رقم 6411 وهي نسخة تصعب الاستفادة منها الا مع الاستعانة بغيرها .

وكما ذكر الاستاذ بن تاويت فان هذا الكتاب « اكمال المعلم بفوائد مسلم » هو شرح على صحيح الامام مسلم بن الحجاج ، كمل به القاضي عياض شرح ابي عبد الله محمد بن علي المازري المسمى **بالمعلم بفوائد مسلم** ، وقد وقفت على مخطوط لهذا الكتاب الاخير بالخزانة العامة تحت رقم : د 1829

ثانيا الالماع فى ضبط الرواية وتقييد السماع ، ذكر بن تاويت أنه توجد منه نسخة فى مكتبة الاسكوريال وكذلك فى مكتبة ايا صوفيا .

وقد افادني الاستاذ الفاضل العلامة السيد محمد المنوني ، أنه توجد منه نسخة مصورة بالجامعة العربية ، كما توجد منه نسخة خطية ، لعلها غير تامة ، بخزانة كلية بن يوسف بمدينة مراكش

ثالثا : بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد ، وقد وقفت على نسخة خطية منه بالخزانة الملكية تحت رقم 6392

رابعا : التنبيهات المستنبطة على الكتب المدونة والمختلطة ، وقد وقفت على نسخة خطية منه بالخزانة الملكية تحت رقم 534

كما وقفت على نسخة اخرى منه بالخزانة العامة تحت رقم : ق 384

خامسا : الغنية فى أسماء شيوخه ، لم يذكر الاستاذ بن تاويت ما اذا كان هذا الكتاب موجودا أم لا .

وقد رايت الاستاذ عبد الهادي التازي يشير اليه فى مراجعه الخطية فى تحقيقه لكتاب « المن بالامامة » لابن صاحب الصلاة .

ووقفت فى الخزانة العامة على ثلاث نسخ من هذا الكتاب .

الاولـى خطية تحت رقم : د 1807 وتقع في مائـة وواحد وثلاثين صفحـة

والثانية مصورة تحت رقم : د 2640 وهي منقولة من النسخة السالفة الذكـر

والثالثة خطيـة ايضا ، تحت رقم 1732 وقـد وجدت في صدر المجلد الذي يحتوي على هذه النسخة، بامضاء (محمد العابد) ما يلي : « كتاب الغنية الـذي اشتمل عليه هذا المجلد ، للقاضي عياض ، اشتمل على تصحيف فادح ، وقلب كثير ، وتحريف واضح في كثير من اوضاعه واسمائه ، فلا يمكن الاعتماد عليه في شيء الا بعد مراجعة المصادر الصحيحة ، وقـد وقفت على نسخ من هذا الكتاب ، وكلها متفقـة على التصحيف الكثير ، وقد أعملت جهدي في تصحيح احدى النسخ ، فجاءت ولله الحمد ، أقرب شيء الى الاصـل ، وبالله التوفيـق »

ولعلنـا نستطيع أن نقف وقفة قصيرة عنـد هذا الكـلام ، لنقول : ان ما ذكـره الاستاذ « محمد العابد » عن هذه النسخة ، ينطبق في الواقع على كثير من نسخ مخطوطات كتب القاضي عياض ، بحيث يجد من يتولى تحقيقها عنتا كبيرا في ذلك ، ولا تستقيم لـه الا بعد تحقيق وتمحيص ورجوع الى كثير من المصادر؛

واذا كان هذا شأن المخطوطات كلهـا في الغالب ، فانه يبرز بكيفية واضحـة في نسخ مخطوطات كتب القاضي عياض ، ولعل لذلك أسبابا متعددة يمكـن حصر بعضها فيما يلي :

ـ فقـد كان خط القاضي عياض ـ فيما تذكر المصادر ـ غاية في التشبيح والادمـاج ، والاشكـال ، واهمال الحـروف ؛

ومعنى ذلك ان الذين جاءوا من بعده ، فنقلـوا نسخا من كتبه ، أو من النسخ المنقولـة عنهـا ، لم يستطيعوا ان يسلموا في نقلهم من التصحيف والقلب والتحريف ، ولعل كل واحد منهم كان يعتمد في اخراج نسخته على اجتهاده الخاص ، يدل لذلك ما نجده في النسخ الخطية المختلفـة التي بين ايدينا من كتـاب المدارك مثلا من كون الكلمة الواحدة فيه ترد على عـدة وجوه ، وقد ترد في كل نسخة على نحو مخالف لجميع النسخ الاخـرى .

ـ كما أننا نجد كثيرا من المصادر التاريخية التي تحدثت عن القاضي عياض او ترجمت له ، تذكر الكتاب من كتبه ، فتقول عنه : « **تركه في مسودته** » او تقـول: « **لم يسمعه في حياته** » أي لم يقرا عليـه في حلقـات التدريس فيكون ذلك ادعى الى أن يحصل الطلبة على نسخ منه مصححة بالتلقي والسمـاع .

ولعلنـا نستطيـع أن نلتمس السبب لذلك في الاحداث السياسية التي حفلت بها السنوات الاخيرة ، من حياة القاضي عياض رحمه الله ، فلعلها ان تكـون هي التي حالت بينه وبين اخراج ما تركه من كتبـه في مسوداته ، كما لعلها أن تكون قد حالت دون اسماعـه البعض منهـا .

سادسا : أجوبته فيما نزل في أيام قضائـه من من نوازل واحكام ، هكذا ذكر الاستاذ بن تاويت اسـم هذا الكتاب ، ولم يذكر ما اذا كان موجودا ام لا ، وانما ذكر انه يقع في جزء واحد أو اثنين على خـلاف بين المصادر في ذلك ؛

وقد وقفت في الخزانة الملكية على مخطوط تحت رقم 4042 ، يقع في مائة وستة وخمسين صفحـة ، اسمـه « **مذاهب الحكام في نوازل الاحكام** » وهـو لمحمد بن القاضي عياض ، يقول في مقدمته : « فان ابي قدس الله روحه ونور ضريحه ، لما طال في القضـاء دوامه ، وساعدته لياليه وايامه ، نزلت اليه من الاقضية نوازل تحار فيها الاذهان والافهـام .... » الى ان يقول : « والفيت بعد موته رحمه الله سؤالات على تلك النوازل والاجوبة عليها في بطائق » وبعد ان يتحـدث محمد بن عياض عن جمعه لتلك النوازل ، او الاسئلة والاجوبة ، وترتيبها في كتاب ، يقـول : « **وترجمتـه بمذاهب الحكام في نوازل الاحكام** ، وربما ذيلت بعض تلك النـوازل ، بما تقـدم فيها او في نوعها للقرويين والاندلسيين وغيرهم والله يعصم بمنه »

ونحـن نرجح أن يكون هذا الكتـاب « **مذاهب الحكام في نوازل الاحكام** » لمحمد بن عياض الذي جمع فيه « نوازل » والده هو المقصود عند بن تاويت بمـا سماه « **أجوبته فيما نزل في أيام قضائـه من نـوازل وأحكـام** » وقد اعتمد الاستاذ بن تاويت في ذلك على مراجع كالاحاطة ، والتعريف ، وازهار الرياض

* * *

هـذا ما امكن لنا الوقـوف عليه من مؤلفات القاضي عياض المطبوعة او المخطوطة ، ولم يبـق الآن الا ان نشير اشارة عابرة الى اسماء كتبه الاخرى ، وقد ذكرها جميعـا الاستاذ بن تاويت وذكر المصادر التي ذكرتها ، وهي كما يلـي :

أولا : الاجوبــة المحبـرة ، جزء واحد
ثانيا : أجوبــة القرطبيين
ثالثا : أخبـــار القرطبيين

ومن الجائز ان يكون هذان الكتابان كتابا واحدا ، اختلفت المصادر فى تسميته .

رابعا : اختصار شرف المصطفى
خامسا : تاريـخ المرابطين
سادسا : الجامـع فى التاريـــخ

ولسنا نجزم ما اذا كان « تاريــخ المرابطيـــن » و « الجامع فى التاريخ » كتابين مستقلين ، او اسمين لكتـــاب واحـــد ؛

وقـــد قيل عن كتاب « الجامـــع فى التاريـــخ للقاضي عياض » :

« انه كتاب اربى على جميع المؤلفات ، فيه اخبار الملوك بالاندلس والمغرب ، منذ دخول الاسلام اليهما ، واستوعب اخبـــار سبتة وقطانها وفقهائها وجميـــع ما جرى من الامور فيهـــا . . . »

كمـــا قيل عن « تاريخ المرابطين » انه انتهـــى فيه الى سنـــة 540 اي الى ما قبل وفاته هو باربـــع سنـــوات فقـــط .

وكم يكون مفيدا جدا لو امكن العثور على هـــذا الكتاب او هاذين الكتابين لنرى من خلال ذلك ، كيف كانت على الخصوص نظرة القاضي عياض الى احـــداث عصره السياسية .

سابعا : العيون الستة فى أخبار سبتة
ثامنا : الفنون الستة فى أخبار سبتة

ولسنا ندري ايضا ما اذا كانا كتابـــا واحـــدا او كتابين مستقلين ، كل على حدة

تاسعا : سر السراة فى آداب القضاة
عاشرا : كتاب سؤالات وتراسيل
حادي عشر : غنيـــة الكاتب

ويجوز ايضا ان يكون هذان الكتابان الاخيـــران كتابا واحـــدا

ثاني عشر : السيـــف المسلـــول على من سب أصحـــاب الرسول

ثالث عشر : الصفا بتحرير الشفـــا
رابع عشر : غريب الشهـــاب
خامس عشر : كتاب العقيـــدة

سادس عشر : كتـــاب القواعـــد

ومـــن الممكن ان يكون هاذان الاسمان الاخيران لكتاب واحد ، كما أن من الجائز ان يكونا معا اسميـــن آخرين لكتاب « الاعلام بحدود قواعد الاسلام » الذي سبق الحديث عنه فى مؤلفات القاضي عياض المطبوعة ، ولا يمكن الجـــزم حتى الآن بشيء من ذلك ، ما دام البحث لم يكشـــف عن جميع مؤلفاتـــه .

سابع عشر : مسألة الاهـــل المشترط بينهـــم التـــزوار

ثامن عشر : مطامح الافهام فى شرح الاحكام

تاسع عشر : المعجـــم فى ذكر ابى علي الصدفي وأخباره وشيوخه وأخبارهم

وقـــد ذكر هذا الكتاب القاضي عياض نفسه فى الغنية ، كما ذكره ابنه فى التعريف ، وصاحب الاحاطة.

وكمـــا هو واضح ، فان هذا الكتاب هو غيـــر كتاب « المعجم فى اصحاب ابى علي الصدفي » لابن الابار

عشرون : المقاصد الحسان فيما يلزم الانسان

واحد وعشرون : نظم البرهان على صحة جـــزم الأذان

اثنان وعشرون : كتاب « خطبه » وقـــد ذكـــره ابنه فى التعريف ، كما ذكرت مختلف المصادر انه كـــان لا يخطب الا من انشائـــه .

❊ ❊ ❊

هـــذا هو القاضي عيـــاض ؛

نرجو أن نكون قد وفيناه بعض حقه ، وأن نكون قد قمنا نحوه ببعض الواجب علينا .

هذا هو القاضي عياض الذي يقال عنه : « لـــولا عياض لمـــا ذكر المغرب » وهي كلمـــة لو سمعها هـــو نفسه لما اعجبته ، فقد كان رحمه الله أكثر تواضعـــا، واحسن تقديرا للاشياء ، من ان يقبل كلمة مثلهـــا ، فى حقـــه او فى حق غيـــره .

لقـــد كان القاضي عياض شيئا كبيرا حقا ؛
كـــان عبقرية فى ميادين اختصاصه ؛

والتربة الطيبة التي انجبته ، خليقة ان شاء الله ان تنجب عباقرة آخرين مثله ، فى الميادين المختلفـــة . على مـــر الازمنـــة والعصـــور .

الرباط : عبد القادر الصحـــراوي

القومية المغربية

بعض مظاهر القومية المغربية في القرنين العاشر والحادي عشر

للأستاذ : محمد حجي

(2)

استعرضنا فيما سبق العناصر الاساسية للقومية، ورأينا كيف يكون المغرب وحدة جغرافية وبشرية حقيقية . والان نرجع الى بعض الاحداث التي جرت على مسرح بلادنا خلال القرنين الهجريين : العاشر والحادي عشر (16 — 17 م) فاثارت الوعي القومي لدى السكان ، وفجرت فيهم طاقات العمل لصالح الوطن ، اعتبارا بان القومية — كسائر الظواهر النفسية — « لا تنمو نموها الكامل ولا تبلغ أوجها الا اذا لقيت مقاومة او ارغاما ، او لاقت خطرا مداهما » .

كلنا يعلم ان المغرب عرف خلال هذين القرنين — بل ومنذ القرن الذي سبقهما — مشكلة احتلال الثغور على طول سواحل المتوسط والمحيط الاطلنطيقي . وكان لهذا الغزو الاجنبي — البرتغالي والاسباني — رد فعل قوي لدى السكان الذين راحوا يقاومون المهاجم الغاشم بكل ما اوتوا من حول وقوة في صبر واستماتة . والغريب ان امد المقاومة طال طول عهد الاحتلال وحدة الصراع تشتد احيانا وتضعف أخرى دون ان تنقطع او تضمحل . هذه المقاومة من ابرز مظاهر القومية المغربية، اذ كانت في اغلبها شعبية تلقائية ، شارك فيها مصامدة الاطلس الكبير ، وصنهاجة الاطلس المتوسط ، واعراب السهول الساحلية الى جانب سكان الريف والمدن . ولقد مرت المقاومة الشعبية للاحتلال المسيحي بثلاث مراحل رئيسية :

1 — مرحلة ضعف السلطة المركزية اواخر عهد المرينيين فالوطاسيين . وفيها انفرد المتطوعون بالوقوف في وجه العدو لمحاولة منعه من التسرب الى الداخل ، الا حملات ضعيفة محدودة قام بها الوطاسيون في ثغور الهبط لم تغير من واقع الاحتلال شيئا .

2 — مرحلة انتعاش الدولة على يد السعديين حتى وفاة احمد المنصور . وفيها نشطت المقاومة وانتقلت من طور الدفاع الى طور الهجوم ، فكان طرد البرتغاليين من ثغور عدة على الساحل الاطلنطيقي .

3 — مرحلة انحلال السلطة وقيام امراء الزوايا الى ان استرجع الرشيد بن الشريف وحدة البلاد . وتمتاز هذه الفترة بتألق نجم المجاهد العياشي السلوي ومساعده الخضر غيلان ، واشتداد امر الجهاد البحري في مراسي سلا والقصبة (الوداية) وتطوان بانضمام المهاجرين الاندلسيين ، وظهور ما عرف عند الاوربيين بأسطول (قراصنة سلا) .

واذا لم يكن بالامكان هنا تتبع هذه المراحل بما تستحق من تفصيل واستقراء ، فان من حقنا ان نتساءل كيف كانت تلك المقاومة الشعبية على وجه الاجمال ؟ وما الدافع اليها ؟ وما كان مفعولها ؟ ، الحقيقة انه يصعب الجواب بدقة عن السؤال الاول ، لاغفال المؤرخين المعاصرين تدوين اكثر الاحداث الخارجة عن النطاق الرسمي ، لكن مع ذلك تفيدنا اخبار عارضة ونصوص متناثرة هنا وهناك بمعلومات صحيحة قيمة ندرك منها ان المتطوعين للدفاع عن حوزة البلاد كانوا يقومون بعملهم بدافع وطني تلقائي مصطبغ بصبغة دينية (الجهاد) . فهم يحصلون بوسائلهم الخاصة على ما

يلزمهم من سلاح ومؤنة ، ويقضون في الربط والمحارس القريبة من المراكز التي يحتلها العدو مددا قد تطول وقد تقصر . وكان الفقراء منهم يقضون شهورا في تلك المراكز الحربية ، وشهورا في مدنهم أو قراهم للكد في تحصيل الرزق للانفاق على العيال وادخار ما يلزم لقضاء مدد اخرى في مواجهة العدو والمحتل (1) . بينما كان العلماء والطلبة يقسمون السنة الى فترة دراسة وفترة مقاومة وجهاد ، فلا يقيمون في المساجد والمدارس الا في الفصل المطير ، ويقضون سائر ايام السنة في ميادين المعارك (2) .

اما كيف ومتى كانت تنتظم صفوف المقاومين ، فان الامر – على ما يبدو – لم يكن مضبوطا ولا موقوتا ، اذ أبواب الربط والمحارس مفتوحة باستمرار ، والناس احرار في أن يأتوها أو يغادروها متى شاءوا ، وهي على اي حال لا تكاد تخلو من عشرات أو مئات أو الاف المقاومين – حسب اهمية الرباط وتطورات الاحداث – . وهناك يقضون أيامهم في العبادة والتعلم ومراقبة تحركات المحتل ، حتى اذا آنسوا من انفسهم قوة باغتوا العدو فقتلوا منه وأسروا وسبوا ، أو حاصروه في معاقله وضيقوا عليه الخناق . وقد تكون الكرة على المجاهدين فيسقطون في ميدان الشرف بعد ان يبلوا البلاء الحسن ، وتقام على اضرحة من برز منهم في علم او صلاح او مزيد نكاية في العدو قباب ومشاهد تترجم ما لهم في قلوب الناس من مكانة ورفعة . وقد حظي المرابطون في سبيل الله بتقدير كبير من لدن العامة والخاصة ، حتى ان لفظ (مرابط) ظل في المغرب حتى يومنا هذا ، وبخاصة في البداية ، لقبا تشريفيا يأتي مباشرة بعد وصف (شريف) الخاص بذرية الرسول الكريم . وما زلنا نشاهد قباب أولئك المرابطين شهداء الواجب على طول السواحل في بلاد سوس والحوز والغرب والهبط والريف ، واكثرها في حالة مزرية من الاهمال ، تنكر لهم رهط من قومهم ، وانكرهم آخرون لما جهلوا كل شيء عن ماضيهم المشرق ، وانقلبت الحقائق في أذهان البعض فراحوا يرمون اولئك الصلحاء – كما تسميهم العامة – بالشعوذة ، ويجردونهم من القاب السيادة التي ظلوا يتمتعون بها عبر القرون .

وبالعكس ... ما أحوجنا الى كتابة تراجم أولئك الابطال الصالحين واحياء آثارهم ومآثرهم لتكون منارات هداية لشبابنا الحائر ، ولنؤدي كذلك خدمة لتاريخ بلادنا الضائع .

وهناك مراكز تجمع اخرى عرفت تطورا كبيرا واتساعا عظيما خلال فترة الاحتلال الطويلة ، هي زوايا الصوفية التي ادت خدمات جلى في الذود عن حمى الوطن . كان الشيوخ يرمون من وراء استقبال المريدين او ابوائهم في الزوايا الى تربيتهم تربية روحية تتدرج بهم من الاخشوشان في العيش والزهد في الدنيا وزخرفها الى التفاني في حب الله والاستشهاد في سبيله للفوز بحياة النعيم المقيم . وتكاثر عدد الصوفية النابهين من تلاميذ الشيخين محمد بن سليمان الجزولي وعبد العزيز التباع ، وانتشروا في كل ارجاء المغرب حواضره وبواديه ، فكونوا قوة دينية وطنية مهمة لعبت أدوارا سياسية خطيرة أثناء القرنين اللذين نتحدث عنهما (3) . فهم الذين رفعوا السعديين الى العرش وظاهروهم حتى تمكنت دولتهم ، وشدوا أزرهم في مطاردة البرتغاليين من كثير من الثغور . ثم قلبوا لهم ظهر المجن فانتزعوا من ابناء المنصور الذهبي واحفاده كل شيء وتركوهم شبه محاصرين في مراكش ناقلين السلطة الفعلية الى زوايا الدلاء وايليغ وترودنت ...

واذا اردنا ان نبحث في الدوافع التي حفزت المغاربة الى مقاومة الاجنبي النازل في الشواطيء ، وجب ان نستقريء في أناة وصبر مراحل تلك المقاومة ، والظروف والملابسات المحيطة بها ، ونتعرف على مختلف العناصر التي شاركت فيها والاهداف التي كانوا يتوخونها وهم يتوارثون ذلك الصراع المضني أجيالا بعد أجيال . وما دام ذلك خارجا عن نطاق هذه العجالة ، فلنكتف بطرح ومناقشة مشكلين طالما رددهما بعض المتشككين في وجود القومية المغربية في القرون الخالية . فهم يقولون : ان سكان المغرب لم يكونوا قبل عقود قليلة من السنين يشعرون بوحدة يمكن معها ادعاء وجود قومية مغربية . وكل ما كان من مقاومة للاحتلال المسيحي في القرنين العاشر والحادي عشر انما كان

---

1) هذا لا ينفي أن هناك موسرين كانوا يقدمون لفقراء المجاهدين ما يلزم من خيل وسلاح ومؤنة ، خصوصا وقد جعل الاسلام ذلك مصرفا من مصارف الزكاة (... وفي سبيل الله) .

2) ربما كان لقضية المقاومة التي دامت في المغرب عدة اجيال علاقة بعادة تعطيل الدروس في فصل الصيف ... ؟

3) ارجع الى كتاب محمد المهدي الفاسي ، ممتع الاسماع في ذكر الجزولي والتباع وما لهما من الاتباع ، طبعة فاس الحجرية ، عام 1313 هـ ففيه تراجم نحو 150 من هؤلاء الصوفية .

بدافع ديني — لا قومي — اي انهم كانوا يجاهدون الكفار ويمنعون المسلمين ويحمونهم ، لا انهم كانوا يدافعون عن وطن او يناصرون اقواما تجمعهم واياهم تلك الروابط الكفيلة بتحقيق القوميات ... ! ولكي نبقى فى نفس الاطار الزمني نذكر هؤلاء بوقوع احداث مماثلة فى بلاد اسلامية مجاورة كان رد فعل المغاربة فيها مغايرا . فهذه الاندلس قد سقطت فى يد الاسبان ، وظل المسلمون فيها زهاء قرن يضطهدون ابشع اضطهاد فيثورون ويعتصمون بالجبال والحصون . لماذا لم يتقدم المغاربة الى نصرتهم وقد استنصروهم فعلا ؟ أليسوا مسلمين ؟ ولنفرض جدلا ان المضيق قام فاصلا منيعا بين البلدين ، فهذه الجزائر المتصلة بنا تسقط ثغورها تباعا فى يد الاسبان ، وتجري المذابح الفظيعة فى المرسى الكبير ووهران على مراى ومسمع من المغاربة . فلماذا لم يخفوا لنجدة اخوانهم المسلمين ضد المسيحيين ؟ مع العلم ان هذه الثغور الجزائرية بالنسبة لكثير من قبائل المغرب الشرقي اقرب من بعض المدن المغربية المحتلة على الشاطىء الاطلنطقي . أليس في ذلك دليل على وجود اعتبار آخر غير الدين كان يراه المغاربة هو الذي جعل شعورهم وموقفهم يختلفان باختلاف موقع المصاب . فهم يأسفون ويغتمون لما حل بالاندلسيين والجزائريين — وكفى — حتى اذا وطئت قدم العدو تراب المغرب وراح يروع سكانه ويسومهم سوء العذاب ، تقلدوا السلاح وذهبوا خفافا وثقالا الى الميدان دفاعا عن قوم اشقاء ، وأرض غالية يرتبطون بها جميعا اشد ارتباط . أليس فى ذلك عبرة ودليل على ان سكان المغرب الاقصى كانوا — منذ قرون — يشعرون شعورا واحدا داخل النطاق الجغرافي المعين مكونين بذلك (قومية مغربية)مكتملة العناصر متميزة الذات !

وهم يقولون ايضا ان وقوف المغاربة فى وجه المحتل لم يكن الا من باب الدفاع عن النفس ، وضرورة دعا اليها الخوف على المصالح الشخصية المهددة باكتساح العدو المهاجم . وبعبارة أخرى ان الذين حملوا السلاح انما دفعهم الى ذلك دافع شخصي او محلي — ان صح التعبير — لا وازع قومي شامل . وهذا الراي ناتج ولا شك عن قصور فى الاطلاع ، ولعل لاصحابه — ان سلمت نياتهم — عذرا لكون النصوص المعاصرة الدالة على خلاف ما يذهبون اليه لم تجمع وتدرس بعد فى كتاب او فى فصل من كتاب ، وانما هي — او اكثرها — مبعثرة هنا وهناك فى مؤلفات غالبها مخطوط ليس فى متناول الجميع ... والا فكيف نعلل خروج آلاف المتطوعين من سكان الاطلس الكبير وما وراءه مع يحيى الحاحي لمهاجمة المحتلين فى الجديدة ؟ وبما ذا نفسر نداء ابي حسون السملالي فى بلاد سوس لاستنفار المجاهدين من أجل مؤازرة السلويين المهددين اذذاك بهجوم برتغالي ساحق ؟ وما تاويل نزول كتائب من الاطلس المتوسط لحصار حلق المعمورة (المهدية) مع عبد الله الدلائي ؟ أيقال ان اولئك كانوا يستشعرون خوفا وهم الآمنون فى جبالهم الشاهقة وحصونهم المنيعة ، لا يحسون من المسيحيين من أحد ولا يسمعون لهم ركزا . ومثلان آخران نضربهما لسكان المدن ، تحركات اهل فاس الجهادية كانت تستهدف المحتلين فى المهدية وأصيلا وغيرهما ، مع العلم ان مدينة فاس — بحكم موقعها في الداخل — لم تكن قط هدفا لهجوم مسيحي . والمجاهد العياشي يوم امره شيخه عبد الله بن حسون بالانقطاع عن الدرس والانصراف الى الجهاد ، توجه اول ما توجه الى آزمور لمقاومة محتلي البريجة (الجديدة) الآخذين اذاك فى التوسع ليستحوذوا من جديد على ثغور دكالة وعبدة ، فقضى هنالك بضع سنوات قبل ان يرجع الى مسقط راسه بسلا ، بل وحتى فى فترة مقام العياشي بسلا كانت تحركاته الجهادية لا تقتصر على حلق المعمورة (المهدية) القريبة منه ، بل بلغت اقصى ثغور الهبط المحتلة ، وقتل وهو راجع من احدى غزواته فى طنجة . فأين المصالح الشخصية والاعتبارات المحلية فى كل ذلك ؟

ولعل اروع مظهر للقومية المغربية فى القرن العاشر هو معركة وادي المخازن ، اذ لم يكن السعديون يتوقعون هجوم البرتغال عليهم فى عقر دارهم بمثل تلك القوة الهائلة ، فلم يعدوا للامر عدته . . أثار الخطر الداهم حماسا وطنيا شاملا فقامت الامة المغربية عن بكرة أبيها، ووقع التجمع الكبير فى سلا حيث وافاها السلطان عبد الملك فى جموع أهل الجنوب وانضم اليه المتطوعون من اعراب السواحل وزمور ، واسهمت القبائل فى جمع الاقوات والخيل وكل ما يلزم للقتال ، ثم دارت المعركة الحاسمة بضاحية القصر الكبير فكان ذلك الانتصار الرائع . ان حادثة وادي المخازن — بكل واقعية وتجرد — عمل امة واعية وجهد قومي صرف . فالعناصر التي شاركت فى المعركة مغربية قحة ، كثرتها الكاثرة من المتطوعين . اما الجند النظامي الذي كان يضم مرتزقة من العلوج والاندلسيين والاتراك فقد بقي معظمه في المناطق الجنوبية يحمي الثغور ويحافظ على الامن . ولولا الشعور القومي المتوقد والعمل الشعبي التلقائي السريع لما أمكن للاخوين السعديين عبد الملك وأحمد أن يهيئا فى شهر ما يقابلان به حملة صليبية هيئت في نحو أربع سنوات ، وضمت الى جانب القوة الحربية البرتغالية الكاملة قوات اسبانية وايطالية والمانية ...

اما عن مفعول المقاومة الشعبية فان من اهم آثارها وقف مد الاحتلال البرتغالي والاسباني ومنعه من التسرب الى داخل البلاد . والكل يعلم أن البرتغاليين مع كل ما بذلوا من جهود وتضحيات لم يستطيعوا ان ينفذوا مخططهم العنصري الجهنمي فى الاستحواذ على بلادنا ومحو الاسلام منها تطبيقا لمؤتمر طورديزيلاس **Tordeillas** الذي قسم فيه البابا شمال افريقيا على الدولتين الكاثوليكيتين ، جاعلا المغرب للبرتغال ، والجزائر وتونس لاسبانيا . ومن الواضح أنه لولا المقاومة الشعبية المستميتة لكانت السنوات الست التي ظلت سبتة تدافع أثناءها قبل أن تسقط فى أيدي المغيرين كافية لامتلاك شواطيء المغرب جميعا بسبب تدهور السلطة المركزية آنذاك . لكن البرتغاليين عانوا الامرين فى احتلال الثغور المغربية وكلفهم ذلك عملا حربيا استمر ـ ولو بتقطع ـ أزيد من قرن (818 ـ 921 هـ \ 1415 ـ 1515 م) ثم ظل نفوذهم محصورا في مناطق ضيقة لم تكن تتجاوز احيانا اسوارا المدن المحتلة بفضل انتشار الوعي القومي .

الرباط : محمد حجي

ـ يتبع

بجيرانها تغلو ....

يقولون لي : « لم بعت بالرخص منزلي »

وقد علموا جارا هناك ينغص

فقلت لهم : « كفوا الملامة انما

بجيرانها تغلو الديار وترخص » .

من أدبائنا المغفلين :

أبو عبد الله الرّغاي

للأستاذ عبد الله الجراري

ابو عبد الله بن احمد الرغاي يعد فى علية أدباء الرباط وكتابه البارزين – اشتهر بالفقه فى اللغة حتى كان يستحضر نصوص القاموس ويملي منها الفذلكة الطويلة عند ما يقتضي الحال عرض مادة من المواد مع فهمه الدقيق لخبايا المحيط واسرار اصطلاحاته الخاصة.

درس على ابى المواهب سيدي العربي بن السائح ، وعلى ابى العباس دنية ، وعلى الرياضي الشهير السيد الطاهر ضاكة ، تلقى عليه الحساب والتوقيت والتنجيم وما اليها من العلوم الرياضية ، حتى فن الاوفاق وسر الحرف مع اتقانه عمل الجدول المُيني .

كانت له خبرة واسعة بالتجويد واداء الكتاب اداء حسنا ، وتصدى لتعليم النشء القرآن الكريم فتخرج من مدرسته فى الكتاب العزيز وحفظه عدد وافر من الطلبة ، فى مقدمتهم شيخ الجماعة ابو حامد البطاوري . وكان له نشاط خاص بالوراقة والنساخة ، فكم حبر بخطه الجميل من كتب : كالقاموس المحيط ، والنفح ، ووفيات الاعيان ، وتاريخ العبر لابن خلدون ، واحياء الغزالي ، ومعاهد التنصيص وغيرها ، مع تكرار النسخ لبعضها (1) .

تعاطى خطة العدالة وكان فيها موثقا بارزا ، ثم رشح كاتبا بالسلك المخزني ، كما استخدم عدلا بمرسى الدار البيضاء عام 1311 هـ .

للمترجم شعر جيد كأنه السحر الحلال ، والعذب الزلال ، فكم له من قصائد ومقطعات من ذلك ما مدح به الولي الصالح سيدي الحسن بن سعيد صاحب المقام الشهير بالرباط ، وذلك عند ما بهته بعض أعدائه يريد الحط من قدره ، مطلعها :

لما تضايقت الامور وسددت
غير الزمان سهامها لسعودي
وخفت بروق الازم بعد خفوتها
ودنت بلاد خلفها ووئيد
انزلت آمالي بخير مناجد
واجل معتمد وخير عميد

والابيات تبين عن نية صالحة وسريرة طيبة ملؤها التسليم والاعتراف بالفضل لصالحي العباد والالتماس من بركاتهم ما يؤمل نفعه .

ومن شعره فى عدلين عزلا بامر سلطاني لموجب قصيدة مطلعها :

خليلي صبرا لا وفاء لذا الدهر
ولا مهرب مما قضى قاصم الظهر
هنيئا مريئا ملتما وارحتما
نفوسا تقضت فى التعسف والقهر
ووقتما ما كان يقضي فواتنا
خصوصا صلاة الليل والعصر والظهر

ومنه لبعض اصدقائه :

واذا عزمت على الخروج لحاجة
فاجعل طريقك نحونا كي تخبرا
هذي العجائب والغرائب قد بدت
فاصخ لها كي تستفيق من الكرا

1) كان يبيع من ذلك ما طلب منه بالثمن المرتفع ، ومن الغريب انه ما انتسخ كتابا الا استحضر جل ما احتواه

وله تخميس على القطعة المشهورة : الله قل ودر الوجود وما حوى . أوله :

يا غافلا سمع النداء فما ارعوى
وبراسه عرش المشيب قد استوى
ومؤملا والعمر منه قد انطوى
الله قل ودر الوجود وما حوى
ان كنت مرتادا بلوغ كمال
افنيت عمرك في الذي املته ؟

وله تخميس على ابيات ابن سهل — يا غزالا بالحما ما اجملك .

الى ان قال : انت في الحسن مليك ام ملك ؟ (1) .

ومن شعره مشيرا الى الابيات المشهورة :

لعمرك ما اهديت للحب خاتما
ولا قلما مبرى ولا بت عينه
ولا ءالة للقطع توجب بيننا
فما سبب التفريق بيني وبينه
قال:عجبت لمن ابدى الصدود بلا عذر
ولا سبب مفضى الى البين والهجر
وقد كان يرعى الود مني ويتقي
مصارع ءاثار تذوذ عن البشر
ولا علم لي انني منحته خاتما
ولا قلما مبرى ولا ءالة تفرى
نعم مرة قبلت عينه ساهيا
فكانت مجازا للفراق ولم ادر

والقطعة كانت من المترجم وهو بفاس لدى دكان بعض الوراقين، وكان ابو العباس البلفيثي حاضرا فقال:

فليتك لما ان قصدت لعينه
عدلت الى خد به لهب الجمر
ولكن خدن العشق فاقد عقله
فحق له عندي قبول لذا العذر

على ان هذا التطير المتخيل كثيرا ما يدين به الادباء وينتحلونه فيما يشم عندهم من الادب ولا يفرك ، وقد يستميت البعض منهم في المحافظة على هذا الخيال الى حد بعيد من الحقيقة ، ولا سيما في القص والمدية شيء شاهدناه شائعا في وسطنا منذ نشأتنا الى حد الساعة ، خصوصا في الوسط النسوي الذي نراه يتشبث حتى بالمنكبوت عن عقيدة لا تقبل التزلزل — على ان المبادىء الدينية ، والقوانين التشريعية لا تساعد عن هذا التطير المشئوم — اللهم الا ان يكون من باب الخاصية التي لها تاثيراتها الاتفاقية ، وجاء في النصيحة الزروقية ما لفظه: (وتقبيل العينين موجب للفرقة) قال الشيخ ابو مدين الفاسي في شرحها : أي الخاصية اقتضتها التجربة ، وفي تكميل الديباج اثناء ترجمة علي بن محمد التالولي الانصاري اخي الامام محمد بن يوسف السنوسي لامه ما يقرب من هذا ، وفي المجلد الثاني من الذخيرة ص : 285 — 287 حول المقص ، قال ابن بسام :

وقد نهى بعض الظرفاء الادباء عن اهدائها واستهدائها ، قال الفقيه ابن قالوص في ذلك :

اعطاء مثلي للمقص نقيصة
واري اعارتها اجل العار
ان المقص حكت بصورة شكلها
(لا) والجواب ب (لا) لئيم نجار

وهذا من الاختراع البديع والتشبيه المطبوع .

وقد شبه الاديب ابو المطرف بن فتوح بالمقص حين قال :

خذها اليك فانها مخلوقة
من فطنة مشبوبة وذكاء
تحكيك في دفع المهم لانها
ولعت بشق حناجر الاعداء

وهو من الوصف القبيح مال فيه الى العقوق ، وعدا عن سواء الطريق ومتى كانت المقص تشق الحناجر كانه لم يسمع قول الاخر وهو ابن الرومي :

وما تكلمت الا قلت فاحشة
كان فكيك للاعراض مقراض

قال ابن بسام : (ولم اسمع في المقص احسن من قول ابن الرومي ايضا يصف ......) :

(تسعى لكي تجمع وسطيهما
كانها مسمار مقراض)

وسميت المقص مقصا لملازمتها القصاص وهو اطراف الشعر .

ومن شعر المترجم مقصورة مجونية عارض بها مقصورة علي بن عبد الواحد البغدادي المعروف بصريع الدلاء وقتيل القواني الشاعر الماجن وهي مجونية ايضا مطلعها :

1) هذا ما عثر عليه من التخميس .

قلقل احشائي تباريح الجوى
وبان صبري حين حالفت الاسى

من اشترى الخبز تعشى أهله
وبات من لم يشتر بلا عشا

من طلب الناس بما ليس له
عليه من حقهم قد اعتدى

تبلغ نحو الخمسين بيتا ؛ وقد أشار اليها ابن خلكان صدو ترجمته ، ومطلع مقصورة المترجم :

من لم يكن ذا ثروة ليس له
ومن لم يستلف فما قضى

من كان ذا عين فسمه اعورا
فان شكا فقدهما فهو العمى

من وقعت على قفاه صخرة
عظيمة هدت قواه وانحنى

من شرب السم ومات فليكن
جزاؤه الدفن ولو عند المسا

الى ان قال في خاتمها :

وقد يعيش المرء دهرا وهو في
حياته يأكل صبحا ومسا

وهي طويلة تنيف على المائة،كلها على هذا النسق الذي يعد من باب (السماء فوقنا والارض تحتنا) ويشم من بين سطور اشطاره الشعرية وما يرتكبه من غريب الالفاظ — ان الرجل ولوع باللغة واستعمال المتناول منها والوحشي احيانا حتى ليظهر ان هذا الاخير أصبح من المطروق المصقول من كثرة الاستعمال.

ومن شعره يخاطب القاضي ابا العباس البناني الرباطي في غرض قال :

يا أيها الحبر وأبن الاكرمين ومن
اضحت فصاحته تزري بسحبان

اشكو اليك الذي القاه من ملا
قد اصبحوا بين جوعان وعطشان

الى آخرها وقد اجابه ابو العباس بقصيدة منها :

يا ايها العلم الاسمى ومن ثبتت
له المقامات في عجم وعربان

شكوت لي ذا الذي لقيت من ملا
قد أصبحوا بين ذي رجا وثكلان

يولون فضلهم وفي بوعدهم
وحاش ان يوعدوا ايعاد احزان

اتاهم رجل مستصرخ بهم
اهيل فضل اجيبوا عبدا حسان

الى آخر القصيدة .

ومن خط شيخ الجماعة المرحوم ابي حامد المكي البطاوري ما نصه :

ولاستاذنا الاديب العلامة ابي عبد الله سيدي محمد بن احمد الرغاي : مخمسا الابيات المشهورة :

آية الاشواق مهما تليت
اظهرت ءالام قلب خفيت
يا ملوكا بالموالي عنيت
« مهجة الصب بكم قد فنيت
وبما ترضونه قد رضيت »

راقبوا الرحمن في تأديبها
واجهدوا حرصا على تهذيبها
فهي لا تقوى على تشذيبها
« لا تزيدوها على تعذيبها
قد كفاها منكم ما لقيت »

يا عذولي ما لحب قد زوى
قربه عني وبالنجم ثوى
قال لي وهو لدود ما ارعوى
« هكذا حكم سلاطين الهوى
سعدت قوم وقوم شقيت »

وختاما فالمترجم كان آية من آيات عصره اطلاعا وادبا ورقة وفكاهة حسبما حلاه به تلميذه ابو حامد البطاوري .

توفي اوائل عام خمسة عشر وثلاثمائة والف 1315 هـ ، ودفن بالزاوية الناصرية من رباط الفتح .

الرباط : عبد الله الجراري

الأدب النسوي في الأندلس

للأستاذ : محمد المنتصر الريسوني

(11)

ثانية الطوائف ، في طليعة اسمائها : احمد البقالي ، محمد الطنجاوي ، عبد الكريم الطبال ، مصطفى المعداوي ، احمد المجاطي ، محمد بنميمون ، محمد البوعناني ، ابراهيم الهواري ، محمد ابو عسل ، محمد الحبيب ، وغير هؤلاء .

ان ثمة اشياء كثيرة يجب ان تقال عن هذه الطائفة :

أ ـ النماذج التي قدمها هؤلاء لا تتسم كلها بالعمق والنضج والجودة ، ولكنها ، جملة وتفصيلا ، تدل على اهتمام اصحابها بهذا اللون من الشعر ، كما تدل على الاهتمامات التي تقلق بال الشاعر العربي ، اليوم ، وفي مقدمتها قضية الانسان والحرية .

ب ـ نتاج هذه الطائفة مختوم بطابع رواد الشعر الحر او التفعيلي ، في الشرق من مثل البياتي والعيسى والملائكة وقباني ، يتضح ذلك في المعجم الشعري وفي الموضوعات التي يعالجونها ؛ على ان استاذنا عبد الله كنون الذي يقول عن هؤلاء الشعراء بانهم رواد «للجيل الطالع الذي مازال كثير من براعمه في طور التفتح »(1) يرى انه لا وجود لقضية تأثير مشارقة في مغاربة ، وانما « القضية لا تعدو ان تكون تجاوبا مع ما حدث في الشرق العربي من التخفف من قيود العروض القديم »(2)، والحق ان ما يتصل ببنية القصيدة النغمية قد يصح لنا اعتباره « تجاوبا » ، ولكن ما يتصل بشرايين القصيدة ونبضاتها فانما يجب ان يسمى «تأثيرا» ، وهو تأثير باد في نتاج هؤلاء الشعراء ، لا يعوزنا التدليل عليه ان أردنا ، ومن ثم نستطيع الزعم بأن مما يعيب جل شعراء هذه الطائفة انهم لا يتمتعون باصالة فردية ، ولا يتوفرون على شخصية قوية فيما ينشئونه من شعر .

ح ـ ان قراءة متمهلة لديوان المرحوم مصطفى المعداوي الذي كان يصوغ لفجر الحياة :

شذى الاغنيات
من النظرة الخصبة العامرة
ومن بسمة الشفة الزاخرة
ومن مولد النغم الزاهر
يراود جفني يا شاعري

ترشحه ممثلا ، مضى ، لهذه الطائفة ، ففيه يمكن أن تتمثل خصائصها ومميزاتها ، تلك التي تتجلى في الثورة على المحتوى التقليدي ، فقد رفضوا القول في الاغراض الكلاسيكية من مدح وهجاء وغزل بالمذكر وما الى ذلك ، وصوروا بقصائدهم الحياة والطبيعة، وعكسوا بها عواطف الانسان ومشاعره ، خلجاته ووجداناته ؛ والذي استخلصته من ديوان (3) المعداوي انه يقف بين بين من حيث الشكل ، فهو حينا يحافظ على التطور والقافية ووحدة القصيدة ، وآخر يكسر الهندسة الروتينية العروضية ، فينوع القافية ويوزع التفعيلات؛ وذلك هو ما ينطبق على جل هذه الطائفة ، وما قلته عن مفردات المعجم الشعري عند المعداوي من انها سهلة ، مألوفة ، فيها ألق وشفوف ، وليس فيها ما يدل دلالة قاطعة على اطلاعه او بالاحرى على اهتمامه بمعجم

---

1) انظر كتابه « احاديث في الادب المغربي الحديث » ص 178 .

2) المصدر السابق ، ص 178 .

3) انظر حديثي عن الديوان المذكور في مجلة « الايمان » ـ العدد الاول ـ السنة الثانية ـ 1964 .

الشعراء ذوي الالفاظ الجزلة ، المتميزة ؛ ذلك ، ايضا ، ينطبق على أفراد هذه الطائفة مع ملاحظة اختلاف السمات الرئيسية لماجمهم تبعا لاختلاف شعرائهم المفضلين .

د ــ من راي الاستاذ محمد الامري المصمودي ان « اكثرية الذين يتوفرون على الحماسة لهذا التطوير عندنا تنقصهم الخبرة بالاوزان العربية وما تنطوي عليه من امكانيات ثرة يستطيع الشاعر الخبير بها استغلالها لصالح تجديد الشعر وتطويره (1) » ومن تم فهم يقعون « في اخطاء عروضية لا يسمح بها حتى الشعر الحر نفسه (2) » ، وعندي ان ذلك كله ليس من شأنه ان يحملنا على التأسف والحسرة ؛ لانه امر متوقع ؛ فلابد من ان تتسم كل حركة في بداية تجربتها بشيء ، يكثر او يقل من السقطات والعثرات يجب الاستفادة منها واتخاذها درجات سلم ، يصعد ، بواسطتها ، الى الافضل والاكمل ؛ بل ان ذلك ليبدو طبيعيا ومستساغا اذا ذهبنا مع الدارسين الى ان « الشعر العربي الحديث باكمله ما يزال في مرحلة تجريبية » كما يقول عالي شكري، وان اضطراب الميزان في بعض الابيات هو من عدم اقامة عمود هذا الشعر في جل ما ينشر منه لان قواعده لم ترس بعد على وضع ثابت » كما يقول الاستاذ عبد الله كنون .

هـ ــ وهذه الطائفة نخبتان : نخبة ما فتئت تغذ السير في الطريق الذي اختارته ، تقدم المحاولة تلو المحاولة ، وتعرض التجربة اثر التجربة ، تصقل وتهذب، لتفتح ، لا شك ، بالتالي وبالنتيجة ، فتوحا مبينة في آفاق الشعر الحديث ، ونخبة اخرى يؤخذ عليها هذا الصمت المقيت الذي لاذت به ، وعدم متابعتها السير في الدرب الذي بدات السير فيه ؛ فاذا كنا لم نعد نسمع اغنيات جديدة تسيل بها حنجرة المداوي فلانه او لان الاقدار ارادت له أن يصمت ؛ فمن اراد ، مثلا للطنجاوي والبقالي انيتدثرا بالصمت ؟ ! ان الذي اعلمه هو ان الطنجاوي بهرته طلعة صاحبة الجلالة ، فاندفع ، وراءها مفتونا ، لاهثا تأمره فيأتمر ، وتنهاه فينتهي ، فضاعت هذه الطائفة من صوت ، كان بعد تجربة ومرات ، سيعزز جانبها ، اما البقالي فلعله اراد ان يستغفر ويتوب ، فانصرف عن زمرة « الغاوين » ، وجعل يكتب النثر ، مذكرات وقصصا ؛ فاذا عاوده الحنين الى الشعر :

وذو الشوق القديم وان تعزى
مشوق حين يلقى العاشقينا

اعاد نشر قصائد سبق نشرها منذ اعوام !

و ــ ومهما يكن من أمر فان النماذج التي قدمتها هذه الطائفة تعتبر في رأينا ، نماذج طيبة ، مشجعة ، لا تنقصها روح الجدة ، ولا تعوزها نظارة الوشاح ، لا تخلو من صدق الفن ، ولا تعدم نبل المقصد ؛ اما القول بأنها « تقل قيمة عن كثير مما ينسج على هذا المنوال في الشرق (3) فليس له من تفسير وتعليل الا ان تكون الابوة ، الاشرافية ، التوجيهية » بما فيها من عطف وحدب على « فلذاتها » هي التي املته .

اما وقد انتهينا الى هذا الحد فلابد من طرح هذين السؤالين : ما هي رسالة الشعر عند هذه الطائفة ؟ وما هي طبيعة الايديولوجية التي ياخذ بها هؤلاء الشعراء ؟ او بصورة اخرى : كيف يجب ان يكون الموقف الذي يقفونه ؟ وما هي الوسائل التي عليهم الاخذ بها ليستوي الشكل الفني لديهم قويا ، ناضجا ؟

في راي واحد منهم ، هو الشاعر الفرقاني محمد الحبيب ان « الشعر يجب ان يقف على راس الموكب ، يصب في افئدة الظما الجياع جرعات القوة والامل ، ويشدو مع السائرين الصاعدين في منكب التاريخ انشودة الحياة . . . ان على شعرنا التقدمي الحر ان يعي متطلبات المرحلة التاريخية التي تجتازها البلاد ، وان يعي دوره المنتظر المحتوم منها ، وان عليه ان يكافح بالفكرة وبالكلمة ، بالعاطفة المحمومة ، بالهمة المجنونة ، بالخفقة اللاهبة ، بالنبضة الذائبة ، بالاحساس الصادق، بالموجة الكريمة ، بالضمير اليقظان ، بالشعور الطافح اللهفان (4) » .

ان العالم العشريني ، بكل ماديته وآليته ، لايزال يكبر الشعراء ويعترف بجدوى الشعر وفائدته ؛ غير

---

1) انظر كتاب الاستا الصباغ « اللهاث الجريح » السادسة منها ــ دعوة الحق ــ العدد العاشر ــ السنة الثانية ــ 1959 .
2) المصدر السابق .
3) الكلمة للاستاذ عبد الله كنون في كتابه « احاديث في الادب المغربي الحديث » ص 184 .
4) انظر مقدمة ديوان « نجوم في يدي» ــ دار النشر المغربية . 1965 .

ان نظرة الانسان العشريني الى الشعر تخالف نظرة اسلافه ، فهو لم يعد عنده كساء عين وحلة موسم – كما يقال – وانما هو قوة حية ، وطاقة جبارة ، في مكنتها ان تشيد قلاعا للخير والحرية والشمس ، وتهدم معاقل للشر والعبودية والظلام ؛ ومن ثم فشعراؤنا الشباب مدعوون الى ان يستلهموا بيئتهم ويعيشوا تجاربهم وتجارب شعبهم ، بكل ما يكون في التجارب – عادة – من خصب وزخم ، من عنف وقوة ، من عناد واصرار ، لتعكسها كلماتهم الحية ، الجميلة البهية ، بكل عميقات طاقاتها . .
ان القضية التي يجب على شعرائنا الشباب ان ينذروا لها مواهبهم هي قضية الانسان – انها ام القضايا – انساننا البسيط ، الكادح المتواكل ، في مجتمع تتقاذفه شتى التيارات وتتنازعه مختلف الاعاصير ،، ان عليهم أن يقودوا ذلك الانسان ، في هذا المجتمع ، الى الآفاق العامرة بالضياء والخير والجمال ،، ان عليهم ان يشعروا بوجوده ، بقيمته ، بكرامته . . .

هل ادعوا الى التزام . ؟ قد اكون ، وانه للتزام هادف ، نبيل .

ذلك من نحو . . .

ومن آخر ، تنبغي الاشارة الى ان « الموهبة » وحدها ليست كافية لخلق شاعر عظيم ، فلابد من صقلها وتطويرها بالتعميق الثقافي في صوره المختلفة وأشكاله المتباينة . . . ولعل اول ما يجب به العناية من طرف شعرائنا الشباب هو اللغة : فهي وعاء الحياة ، وهي وعاء الوجدان ، وهي وعاء الفكر ، وهي بالنسبة الشاعر وسيلته التي لا وسيلة له غيرها ، يعكس بها نفسه للاخرين ؛ من اجل ذلك نقول ان على بعض شعراء هذه الطائفة ان يتمتعوا في فهم اللغة التي يكتبون بها شعرهم ، يسبرون اغوارها ، ويرحلون في آفاقها حتى يمتلكوا اعنتها ويتمكنوا من اسرارها ، وعندئذ سيحسون بان لغتهم تسع كل شيء ، ولقد كان شعراءنا في غابر الزمن ، من امثال ابي العلاء هناك واليوسي هنا ، من اعلم الناس باللغة ، واليوم يشغل بعض شعراء الحرف العربي كراسي في مجامع لغوية وعلمية ، وكذلك الامر بالنسبة لبعض شعراء الحرف القشتالي .

في كلمة موجزة : على اشياخ الشعر الحر ان يوسعوا ثقافتهم الفكرية واللغوية ،، عليهم ان يعيشوا تجاربهم الذاتية وتجارب الناس من حولهم ، بعمق ليعبروا عنها بعمق . . . عليهم ان يستلهموا تراثنا القديم ويستوحوا التراث العالمي الجديد ، ليبدعوا شعرا انسانيا نصدره مختوما بطابع الاطلس الجبار !

ثم ما ذا من حديث عن الطائفة الثالثة ؟

ان الحديث عنها ، ينبغي ان يقدم له بحديث ، موجز ، عن هذا اللون من الشعر الذي ثار وتمرد ، وكسر غلا وقيدا ، وانطلق حرا من كل قياس او عرف !

منذ اعوام ، انتشرت في لبنان دعوة محمومة الى نبذ الاوزان الخليلية واتهامها بالعقم والجمود – كان سدنة الشعر في لغتنا ما عبروا يوما عن مفاهيم عميقة ، نبيلة ، انسانية في اطار تلك الاوزان – وتولت مجلة « شعر » اللبنانية الترويج لهذه الدعوة الجديدة ، والمعروف عن هذه المجلة انها عربية اللغة ، غربية الفكرة ، ومن راي متزعمي هذه الدعوة ان الشعر فن لا صلة له بالوزن والقافية ، وانما الوزن صفة عارضة يمكن ان يقوم الشعر بدونها ، اي ان العنصر النغمي ليس ضرورة حتمية في بناء هيكل القصيدة بالكلمة العربية . والحق ان المفردة العربية مفردة مموسقة بالطبع وليس بالتطبيع ، وانه لصواب ما يذهب اليه دارسو الشعر العربي من ان ديوان شعرنا يضم روائع ، بلغت فيها المفردات بانسيابها الموسيقي وتدفقها النغمي تجريدية الموسيقى نفسها ؛ على ان ذلك كله لا ينهض عذرا عند هؤلاء الذين يرمون بالعروض الخليلي لجج البحر ليكتبوا نثرا « فنيا » يسموه اولا شعرا منثورا ، ثم قصيدة النثر ، ثم يبلغ بهم الاندفاع التحرري – والحرية في الفن « لا تكون حرية حقيقية الا حين تبتدي لمحايها وقيود ظاهرية » بتعبير اليوت – الى نشر كتب « تناثر » على صفحاتها ، هذا النثر « الفني » وسموها دواوين شعرية ، ومنها « حزن في ضوء القمر » لمحمد الماغوط الذي يعتبر مع زميله توفيق صائغ وجبرا ابراهيم جبرا قادة هذه الدعوة الجديدة وروادها .

والسؤال المطروح الان ، هو :

ما هي آثار هذه الدعوة في شعرنا المغربي الحديث ؟

ان المتتبع « لنشاط » الكلمة في بلادنا لا يتردد في الاعتراف بوجود آثار لهذه الدعوة في خمائلنا المعطرة ؛ وهي آثار ، ارى انها ظهرت نتيجة عاملين اثنين لا ثالث لهما :

اما اولهما فهو يعكس الفهم الخاطيء ، المنحرف لحركة الشعر الحر او التفعيلي في الشرق ، فلقد توهم شداة مبتدئون في بيدر الادب ان الشعر الحر انطلاق بلا قيد ، وتحرر بلا شرط ، وثورة بلا قواعد ، فجعلوا يكتبون انماطا من كلمات « تنضم » غموضا ، و «تقطر» لغزا ، وقطعوها على اسطر « والتقطيع هبة يستحقها

الشاعـــر لانه يكتب وحدات موسيقية موزونة » على حد قول نازك ، يمضي الانسان في قراءتها ، فاذا بالبصر يستصرخ ، واذا بالسمع يشمئز ، واذا بالنفس تمتعض وتضيق ، واذا بالانسان ينفض يديه من القراءة دون ان يحس لما قرأ وقعا طيبا في نفسه ، او أثرا جميـلا في قلبه ، ويلوح لي ان هؤلاء الشداة يعتمدون في عملهم » الا على التركيبـة اللغويـة ، لعجزهـم عن استغـلال التركيبتين : الموسيقية والنفسية ؛ والتركيبة اللغوية التي ترفدها محفوظات ، وربما تكون غير منتقاة ، ليست كافية لتقديم عمل شعري على الاطلاق .

اني لاذكر ان كل مرة قرات فيها لونا من كلمـات هؤلاء الشداة كنت اهمس لنفسي او حولي : ما علـم هؤلاء الشعر وما ينبغي لهم أن يعلموه !

هل أقدم نماذج من هذا اللـون ، تنشره بعض صحفنا ومجلاتنا ؟ لن افعل ، لسبب بسيط وهو اننـا هنا للاحتفال باعراس الشعر ؛ ومن العيب ان نخدش كرامة المحتفل به . اليس كذلك ؟

واما ثانيهما ، اعني ثاني العامليـن ، فهو يبلـور تأثير بعض كتابنا بحركة هذا اللون الشعري في الشرق من جهة ، وتأثرهم بالشعر الغربي الحر الذي قرأوه في لغته الاصلية او مترجما ، ومن اشهر هؤلاء : الدكتـور محمد عزيز الحبابـي ــ محمد الصبـاغ ــ محمد علي الهواري .

اما الدكتور الحبابي فلـه في مكتبة هـذا اللـون الشعري كتاب : «بؤس وضياء » ، ولقد قلت في حديث لي عنه بأن « مضامينه خصبة ، عطاءات ثرة .. الحب ، التفاؤل ، التشوق لغد افضـل ، الايمـان بالانسـان ، التمجيد للحرية ، خطوطها البارزة وسماتها الواضحة ، اما مشكل شعره فهو منثور ، لا يلتزم وزنا ولا قافية ، ولكنه مع ذلك ليست تنقصه موسيقى نفسيـــة ، ذات ظلال خضراء مجنحة ، تنساب في نفس القاريء انسيابا هادئا .. منغما ، ولعل الحبابي لا تنقصـه القدرة على قولبة شعره في أوزان الخليل ، وهذه قصيدته « الحى اللاتيني » من بحر المتقارب دليل على ذلك (1) » .

واما الاستاذ الصباغ فله في مكتبتنا من هذا اللون عملان هما : « شجرة النار » و « انا والقمر » ؛ ويـوم اصدر هذين العملين كان من اشد الناس تعلقا بهـذا اللون ــ ولا أحب انه ما زال محتفظا برايه ــ فهو يبدي تعجبه البالغ من كون « بعض مجلاتنا التي تفرغـت للآداب لا زالت تتساءل في حين عن الشعر الحر والشعر المنثور (2) » ، وانه ليعترف باعجابـه « بالرسالـة الادبية الغربية في عمقها واداتها ، وحيويتها وتعبيرها ، وصورها والوانها » ولكـن الطريـف في الموضوع هو ان الشعر الاوربي ، عند رواد له أفذاذ ، ما زال محتفظـا بعروضه ، وزنا وقافية ، ومنه الشعر الاسبانـي الذي يقراه الصباغ ويعجب به ؛ فلماذا اذن يأسف « للاقلام الشعرية العربية التي لا زالت سجينة بين النونيـات والداليات والسينيات » يحصر الوزن معانيها ، وتقيد القافية اخيلتها » لست ادري ، لعل ذلـك ، فقـط ، يفسر تأثره باستاذه نعيمة الذي يقول : « وحبذا اليوم ندفن فيه الطائيات واللاميات والعينيات والخائيات في غار التاريخ ، ونفتح لشعرائنا مجالا للخيال والتعبير لا تحصره قافية ولا يقيده روي » ؛ ولكنهما يختلفان عند الفعل ، فنعيمة اذا قال شعره كان محافظا فيه على الوزن والقافية ، اما الصباغ فلا يعتمد وزنا ولا يلتـزم قافية عند الفعل ، ويظهر أنه قد عدل عن هذا الدرب ؛ ومن اجل ذلك كف عن انتاج هذا « الشعر » فلقد مرت عشر سنوات ونيف دون ان يصدر مثل عملية : «شجرة النار » ــ و « انا والقمر » .

تطوان : حسن الوراكلي

---

1) انظر حديثي عن « بؤس وضياء » مجلة الآداب ، العدد الاول ــ السنة الحادية عشرة ــ يناير 1963 .
2) انظر كتاب الاستاذ الصباغ « اللهاث الجريح » الطبعة الاولى ، ص 28 ، 29 .

موجة الشعر الحديث بالمغرب

للأستاذ حسن الوراكلي

(2)

ومن العوامل التي عكرت صفو الجو بينهما ان ابن زيدون انتقد شعرها وذلك عند ما ارسلت له ابياتها او دعتها حنينها وصبابتها :

الا هل لنا من بعد هــذا التفــرق
سبيل فيشكو كل حب بما لقــى
وقد كنت اوقات التزور فى الشتا
ابيت على جمر من الشوق محرق
فكيف وقد امسيت في حال قطعه
لقد عجل المقدور ما كنت انقــي
تمر الليالي لاارى البيــن ينقضــى
ولا الصبر من رق التشوق معتقى
سقى الله ارضا قد غدت لك منزلا
بكل سكوب هاطل الوبــل مغــدق

فاجابهــــــا :

لحا الله يوما لست فيــه بملتــق
محياك من اجل النوى والتفــــرق
وكيف يطيب العيش دون مســرة
وأي ســرور للكئيــب المــؤرق

وبعد ذلك اخذ ينتقد شعرها فعاب عليها صــدر البيت الاخير من الابيات السالفة فقال :

واني انتقدت عليك قولك :

سقى الله ارضا قد غدت لك منــزلا
فان ذا الرمة قد انتقد عليه قوله مع تقديم الدعاء بالسلامــــة :

الا يا سلمى يا دار مي على البلــى
ولا زال منهلا بجرعائــك القطـــر

اذ هو اشبه بالدعاء على المحبوب من الدعاء له ، واما المستحسن فقول الاخر :

فسقى ديارك ــ غير مفسدها ــ
صوب الغمام وديمة « تهمى (1) »

واعتقد ان هذا الانتقاد لم يكن السبب الجوهري فى القطيعة التي حدثت بينهما كما يرى بعض الباحثين كشوقي ضيف الذي ذهب الى القول بأن ابن زيدون لم يكن لبقا فى ايراد هذا النقــد على اذن معشوقتــه (2) ، وآية ذلك أن هذا النوع من الانتقاد لم يكن ليؤدي الى هذا التوتر فى العلاقات بين ابن زيدون وولادة ؛ وفصم الروابط بسهولة ويسر ، ونحن نعرف جيدا أن شاعرتنا ناقدة متبصرة عالجت النقد وكانت لها صلات وجولات فى ميدانه جعلتها من غير شك تتقبل النقد ولا ترى فيه عيبا او خدشا لمحصولها العلمي ورصيدها الثقافــي ؛ ولو كان ذلك مما يغضبها أو يسيء اليها لما فتحــت ابواب منزلها لعشاق الثقافة ورواد العلم لتتطارح معهم الموضوعات فى عديد من الفنون ، وهي نفسهــا ــ كما يحكى ــ طلبت من ابن زيدون ان ينظم قصيــدة فى ابن القلاس فقال :

اصــخ لمقالتــي واسمــــع
وخــذ فيمــا تــرى ودع

---

1) النفح ج 2 ص 449 .
2) ابن زيدون ــ سلسلة نوابغ الفكر العربي ــ ص 22 .

وعند ما وصل الى قوله :

فـان قصـــارك الــدهليــــــــ
ـــز حيــن سواك في المضجـــع

استدركت عليه ولادة قائلة :

ـ قل يا ابن زيدون :

فـان قصـــارك الاصطبـــــــــ
ـــل حين سواك في المضجـــع

وايا ما كانـت الحـال فمن المستبعد ان يكـون الانتقاد السالف الذكر سببا مباشرا للفرقة بينهمـا ، وانما هنالك أسبـاب معقولـة منطقيــة ، اضرمت نار الخصومة بين الحبيبين ودفعت ولادة على الخصوص الى ان تهجره وتسلوه ، وتتركه ملتاع الفـؤاد تتحسر نفسه لوعة واسى .

وفيما يلي هذه الاسبـاب مستمـدة من حياتـه وشعره ، ولسـت اذكـر انها وحدها التي تحالفت على خلق جو مكهرب احال سعادتهما شررا متطايرا ، فقـد تكون هناك أسباب اخرى غير هذه ، سبق ان المعنا الى بعض منهـــا .

أ ـ اهتمامه بجارية ولادة عتبة عند ما طلـب منها ان تعيد ما غنت (1) فى تلك اللحظة تسربت الغيرة الى قلبها ، وطفت على وجهها سحابة من الغضب ، وها هو يحكي ذلك بنفسه فيقول :

« فسألتها الاعادة بغير أمر ولادة فخبا منها برق التبسم ، وبدا عارض التهجم (2) » .

فكان ذلك بداية لما سيحدث من جفوة ، وارهاصا لما سيشوب حياتها من كدر وحزن .

ب ـ تشهيره بها ، واعلانه غير ما مرة اتصاله بها اتصالا غير مشروع يقول فيما يقول عنها :

اكل شهـي أصبنـا من اطايبــه
بعضا وبعضا صفحنا عنه للفـــار

ويقول فى رسالته الهزلية (3) الموجهة لابن عبدوس على لسانها :

« وكم بين من يعتمدني بالقوة الظاهرة والشهوة الوافرة ، والنفس المصروفة الي ، واللذة الموقوفة علي، وبين آخر نضب غديره،ونزحت بيره وذهب نشاطه. . »

وفى هذا ـ كما يبدو ـ اهانة كبرى لا ترضى بها اية امراة كيف ما كانت اخلاقها من الميع والانحلال .

جـ ـ الوشاية التي سعى بها اعداؤه الذين أرادوا هدم سعادته ، وهذا ليس بدعا ، فتاريخ الحب حافـل بالسعايات والدسائس التي كان يحوكهـا فى الظـلام المدلسـون ، ولنستمع اليه يفصح عن ذلك افصاحا يقطر بوحا شجيا واسى ممضا عند ما يقول :

لما اتصلت اتصال الخلب (4) بالكبد
ثم امتزجت امتزاج الروح بالجسد
ساء الوشاة مكاني فيك واتقـدت
في صدر كل عدو جمرة الحســد

ويقول من قطعة جميلة له :

أشمـــت بـي فيـك العـــدا
وبلغـت مـن ظلمــي المــدى

ويقول في النونية المشهورة :

غيظ العدا من تساقينا الهوى فدعوا
بأن نغـص فقـال الدهـر آمينـــا

ويقول فى نفس النونية :

يا ليت شعري ولم نعتب اعاديكم
هل نال حظا من العتبى اعادينـــا

ويقول مبينا انه كان يأمل فى استمرار الوصال ، وديمومة الاتصال ، ولكن الوشاة حالوا دون تحقيـق ذلـــك :

---

1) مرت الحكاية فى القسم العاشر من هذا البحث .

2) الذخيرة 1 \ 1 ص 378 .

3) لابن زيدون رسالتـــان مشهورتان : الرسالــة الهزلية التي خاطب بها منافسه ابن عبدوس على لسان ولادة شرحها ابن نباتة فى كتابه « سرح العيون ، شرح رسالة ابن زيدون » . اما الرسالة الجدية فهي التي بعث بها الى ابن جهور شرحها الصفدي في كتاب تحت عنوان : « تمام المتون ، شرح رسالـة ابن زيدون » ، والمقري فى النفح جـ 2 ص 449 زعم أن الرسالة الهزلية شرحها ابن نباتة والصفدي ، وذلك غلط بين لا يحتاج الى تعليق .

4) الخلب : لحيمة تكون لاصقة بالكبد .

ولي امــل لو الواشــون كفــوا
لاطلــع غرســه ثمــر النجـــاح

هكذا يظل ابن زيدون — في أغلب الاحيان — كلما نظم قصيدة أو قطعة في صاحبته ولادة الا وذكر العدا أو الوشاة او ذا حسد او الكاشح، وتشكى من سمــوم المتقولين وضج من اكاذيبهم، ولا سيما والظروف المحيطة به كانت تدعو الى الايقاع به — وفعلا أدخل السجــن — كما كان لولادة جم غفير من الطامعين يبغــون التقــرب اليها وخطب ودها، يتعسون عليه مكانته لديها.

اما موقف شاعرتنا ولادة من ابن زيدون في تشهيره بها والتعرض لها فكان عنيفا كالعاصفة الهوجاء قــويا كالاعصار المبيد، اذ تصدت له تكيل له الشتائم وتقذفه بما يشرخ الآذان ويتعفف المرء عن روايته :

ولقبــت المســدس وهــو نعــت
تفارقــك الحيـــاة ولا يفـــارق
. . . .
. . . . (1)

ثم قالت فيه :
ان ابــن زيــدون على فضلــــه
. . . . (2)
. . . .
. . . . (3)

ولادة لم تهج ابن زيدون فقط بل هجت كذلــك الاصبحي هجاء مرا وذلك في قولها له :

يا اصبحــي اهنــأ فكــم نعمــة
جاء تلك من ذي العرش رب المنن
. . . .
. . . . (4)

ذلك هو حديثنا عن شاعرتنا الطروب ولادة التي صاحبناها في حياتها وعملها الشعري، وان طالت وقفتنا معها قليلا، فلان شخصيتها تطغى على جميع الشواعر الاندلسيات الاخريات، لما اشتهرت به من ثقافة رحبة، وشاعرية شفافة جعلتها من الشهيرات في حلبة الادب، ولما اتسمت به من دعابة وعبث حتى سنت للنساء سنة الانكشاف والاستهتار، فعاشت حياة مفعمة بالملذات، حافلة بالمسرات، عبقة بالظرف، لا تريــد ان تحيــا في عزلة عن المجتمع القرطبي الصاخب خصوصا، والمجتمع الاندلسي العابث عموما، وتأبى الزواج لانه يشغلها عن مرحها ولهوها، الى ان توفيت سنــة 480 او سنــة 484 هـ (5) وهي تقارب المائة.

— يتبـــــع —

تطوان : محمد المنتصر الريسوني

---

1) انظر النفح ج 2 ص 448، الطبعة الاولى 1302هـ.
2) انظر نفس المصدر.
3) انظــر نفس المصدر.
4) النفــح ج 2 ص 448.
5) النفــح ج 2 ص 449. وفي الذخيرة ج 1 ص 379 لم يشــر ابن بســام الى سنــة وفاتها، وانمــا قال متحدثا عنها وعن ابن عبدوس : « وطال عمرهــا وعمر أبي عامر حتى أربيا على الثمانين »

قصة العدد



الاشخاص : المدير لقسم من اقسام وزارة ...
الموظف : الم بادان
الشاوش : الم أوفيد

المكان : المدير جالس بمكتبه ومنهمك في توقيع الوثائق والرسائل . يقف عن عمله ، ويمد يده الى الجرس الذي بجانبه ليستحضر الشاوش ، ثم يطاطيءراسه ليستانف عمله .

يفتح باب المكتب ويظهر الشاوش .

المدير : (مطاطئا راسه) : هذا انت يا أوفيد ؟

أوفيد : نعم سيدي المدير .

المدير : هل جاء المسيو بادان ؟

أوفيد : نعم سيدي المدير .

المدير : (مستغربا) : المسيو بادان هنا ؟

أوفيد : نعم سيدي .

المدير : فكر فيما تقول ! اني اسألك هل المسيو بادان ، الموظف ، المكلف بالارسال موجود بمكتبه ام لا ؟

أوفيد : نعم سيدي المدير ، ان المسيو بادان موجود بمكتبه .

المدير : (متشككا) : افيد انك سكران ؟ !

أوفيد : انا !

المدير : هيا اعترف فاني لن أؤخذك هذه المرة ولن اعاتبك .

أوفيد : (بصوت تكاد تخنقه الدموع) سيدي المدير اقسم لك ! ... لم اشرب الا كأسا من الكوكو .

المدير : (مخاطبا نفسه) : ان وجود المسيو بادان بهذه الوزارة ، في هذه الساعة ، امر يثير الغرابة والاندهاش، سنرى؛ (ثم يخاطب أوفيد قائلا) : اخبر المسيو بادان انني أريد ان اراه .

أوفيد : سمعا سيدي المدير .

(يخرج أوفيد ويستانف المدير عمله، فيسود الصمت مدة ثم يسمع نقر على المكتب) .

المدير : ادخل !

ـ يدخل المسيو بادان وينحني مسلما ويقول : سيدي المدير ....

المديـــر : وهو منهمك في توقيع الوثائق ...)
صباح الخير . م . بادان تفضل بالدخول ، واني لارجوك ان تأخذ مقعدا لتستريح ...

الـم بـادان : عفوا سيدي المدير ! انـي لك من الشاكرين ....

المديـــر : لا داعي للشكر يا سيدي بادان ! قل لي ، انك لم تات مكتبك منذ ما يقرب من خمسة عشر يوما .....

الـم بـادان : آه سيدي لا تثر هذا المسألة !

المديـــر : كيف ؟ اني لم احضرك الا لاثير معك هذه المسألة . اجل لقد تغيبت عن عملك نحو الاسبوعين وبما ان رئيسك كان يخبرني بعدم حضورك ، فانني اشفقت من حالك وارسلت طبيب الوزارة ست مرات الى منزلك ليستخبر عن صحتك ، فكان في كل مرة يخبر بانك قصدت المقهى .

الـم بـادان : لقد كذبوا عليه يا سيدي المدير ، ان بواب العمارة التي اسكنها رجل وقوح نمام وساطلب من رب العمارة ان يطرده .

المديـــر : حسن ! حسن ! سيدي بادان هون عليك ، هدىء اعصابك !

الـم بـادان : سيدي المدير اليك حقيقة الامر ، لقد منعتني شواغل عائلية عن مغادرة منزلي اذ توفي أخو زوجتي .

المديـــر : آه توفي مرة أخرى ! !

الـم بـادان : سيـــدي .....

المديـــر : كفى سيدي بادان ! كفى تهكما وسخرية !

الـم بـادان : آه ، كيف اسمح لنفسي ...

المديـــر : انك تعتذر الان بموت اخي زوجتك ، وقد سبق لك ان اعتذرت ، منذ ثلاثة اسابيع ، بوفاة خالتك ، وفي الشهر الاخير بدفن عمك ، وفي عيد الثالوث بدفن ابيك . وفي عيد الفصح باقبار امك ؛ ولم تكتف بذلك ، بل لا يمر بك يوم من الايام الا وانت مشتغل بحفر قبر لابن عم ، او متهم بتشييع جنازة حفيدة ، وابن خالة او ابنة جارة ! ! لقد قضيت على جميع اقاربك ! ما هذه المجزرة يا سيدي بادان ؟ ما هذه الحرب الشعواء التي شننتها على ذويك ؟ وكأن همك ان ترديهم جميعا وتهلكهم عن آخرهم ! ! .... نعم ! نعم ! لا ينبغي ان أنسى انك تغيبت ايضا لبعض الافراح ، ما زلت اذكر انك تغيبت ، في بحر سنة واحدة، مرتين لزواج اختك الصغيرة، واربع مرات لحضور عقيقة ولد لاختك الكبيرة ، كأن اختك أرنبة تلد كل ثلاثة اشهر ! !

كفى سيدي بادان ! كفى ! فان كنت كذوبا فكن ذكورا ولا تظن انك تستطيع ان تسخر بنا الى الابد او ان الدولة تؤدي لك مرتبا سنويا قدره الفان واربعمائة فرنك لتقضي جميع أوقاتك في دفن هذا او ذاك ، او في الاحتفال بزواج هذه او تلك ، او في الحضور لعقيقة مولود رضيع !

الـم بـادان : سيدي المدير ...

المديـــر : اسكت واتركني اتمم كلامي ! بمكتب الارسال ثلاثة موظفين ، انت والم. سوب ، والم. فارباتو . فالم. سوب قضى سبعا وثلاثين سنة موظفا ، وقد وهن العظم منه وتلاشت قواه . واما الم . فارباتو ، فامره واضح : فانه يقطع ايام السنة بعيدا عن مكتبه متجولا في مدن الاقليم وقراه ، ليعرض انواع الزيوت ! !

انه لمن المزريات المخزيات ان يكون بمكتب الارسال ثلاث موظفين ليس من بينهم واحد ينهض باعباء مهمته ويقوم بما اسندته له الدولة من امر . فأولهم شيخ هرم ذوى عوده وخبا ضوؤه ؛ وثانيهم سمسار متجول ؛ وثالثهم يصل طرفي السنة في تشييع الجنائز ودفن الاقارب والاحباب ، « وكأنه اجل يسعى الى أمل » .

هل ادت بك السذاجة ، يا سيدي بادان ، الى ان اصبحت تظن انه من الممكن ان تظل الامور سائرة سيرها الى الابد ؟ كلا ثم كلا، لامناص لك من اختيار احدى الخطتين ، اما

المواظبة على الحضور واما الاستقالة! فان كانت الثانية فها انا مستعد لقبولها في الحال ؛ وان كنت تختار التشبث بوظيفك فاني انبهك الى انه يجب ان تكون بمكتبك كل يوم ابتداء من الساعة العاشرة ، وذلك من الغد فصاعدا ، افهمت ؟ . . . ولكي لا يبقى اي غموض بيننا فاني اؤكد لك انـي ساطردك من وظيفتك ملوما مدحورا في اول يوم تنزل فيه بساحتك نازلة من النوازل التي ترفرف ، حسب ما يظهر ، فوق راسك ، فتنشب المنية اظفارها من جديد في احد افراد عشيرتك !! افهمت ؟

الـم بـادان : آه يا سيدي المدير ! يبدو من اللهجة التي تخاطبني بها انك ضجر غضبان!

المـديـر : ويل لك ! انك على غلط . فانا ، على العكس ، مما تظن ، فرح جذلان ! !

الـم بـادان : انـك تسخـر ......

المـديـر : انا يا سيدي بادان ؟ حشا ان تنطوي نفسي على الخبث فتسمح لـي ان اكون من الساخرين .

الـم بـادان : اجل سيدي انك تسخر ! فانت شبيه بجميع اولئك الاغبياء الذين يضربون على بطني مداعبين ، ويدعونني « بالموظف » لكي يضحكوا ... آه اسأل الله ان يحفظك من ان تحيا ، ولو ربع ساعة ، حياتي ، اي حياة **« الموظف ديال الضحك »** .

المـديـر : (مندهشا) كيف ذلك ؟
اعرني سمعك يا سيدي . هل فكرت يوما من الايام في حالة ذلك الموظف المسكين الذي يرغب ، دائما وباصرار ، في الذهاب الى المكتب ، والذي يستولى عليه الخوف من الطرد فيملأ قلبه فزعا، وينغص عليه الحياة آناء الليل واطراف النهار ؟ هل فكرت في ذلك ؟

الـم بـادان : اللهـم لا !

الـم بـادان : فلتعلم اذن ياسيدي انها حالة مزعجة مروعة ، وانها حالتي انا . ففـي كل صباح اعود الى رشدي واقول لنفسي: « هيا اذهب للمكتب يا بادان ؛ لقد مرت ثمانية ايام لم تدخل فيها مكتبك » . واذ ذاك البس ثيابـي ، واخرج من منزلي لاتوجه نحو الوزارة، هيهات ! هيهـات ! فان رجلي تخطوان بي نحو المقهى ، فادخله واشرب جعة ثم ثانية ، وانظر الى عقربي الساعة التي بداخل المقهى ، واقول : « عندما تتم الساعة التحق بالوزارة » ولكن ، ويا للاسف عندما تتم الساعة انتظر ان يمر الربع ساعة التالي ، ثم النصف ساعة ....

المـديـر : وعند ما تشير الساعة الى النصف تتكرم على نفسك بانتظار الربع ...!

الـم بـادان : الامر كذلك ، ثم اخاطب نفسي قائلا: « فات موعد الدخول للمكتب ، واذا قصدت عملي الان فقد اعد من الساخرين العابثين ، فالى فرصة اخرى » فهذه هي عيشتي يا سيدي! وهي عيشة مريرة لا تطاق ؛ ولـذا اصبحت لا استمرىء الاكل ولا استطيب النوم ، ولا استطيع انبساطا ولا سرورا ، فاذا جلست للاكل استحال طعامي علقما ، واذا خرجت من منزلي فاني اسير والجدران خوف ان يلمحني احد رؤسائي فيوسعني لوما وتانيبا ؛ واذا رجعت لأم مثواي فانه لا يهدأ لي بال حتى اتأكد من ان بواب عمارتي لم يتوصل بمرسوم وزاري يقضي بعزلي ، ويعلن بابعادي عن وظيفتي ، فاني اظل قلقا وجلا ، وابيت حيران مضطربا . يا الله من هذه الحياة النكدة !

المـديـر : تمهل يا سيدي بادان . اانت جاد ام مازح ؟ !

الـم بـادان : أيليق بمن في حالتي أن يمزح ياسيدي المدير ؟ فان الثلاثة آلاف فرنك التي تناولني اياها ، سنويا ، هذه الوزارة هي كل ما اكسبه لاعيش . فما ذا عسى ان يكون مصيري يوم ينضب هذا المورد الضئيل ؟ وما ذلك اليوم المخيف ببعيد ! فانـي في الخامسة

والثلاثين من عمري ، وهي مرحلة قاسية من مراحل الحياة ، لا يجني فيها من اضاع فيها مكسبه الا الآهات والحسرات . وليس في كل هذا ما يدعو للانشراح والاطمئنان ! فاني فقدت نشاطي وحيويتي ، وخف وزني بعشرين رطلا منذ ان توالت تغيباتي عن الوزارة ، (يشمر عن ساقيه قائلا) : انظر يا سيدي الى نحافة هاتين الساقين؛ فو الله لكأنهما شمعتان!وان كلتى تشبهان ، لضالتهما كلتى قط هزيل نزيف ؛ ان حياتي اصبحت سلسلة ، حلقاتها الآلام والاحزان ، اذ أقضي ليلي سابحا في خضم من العرق ، ساعلا ، ملتهب الحلق ، ظمآن ، (يهز راسه) اني لارى سحبا مظلمة تحيط بافق حياتي!

المدير : اذن فلم لا تقبل على عملك لتريح نفسك وتستعيد نشاطك ؟

الم بادان : مستحيل يا سيدي المدير !

المدير : ولم ؟

الم بادان : لا أستطيع ، فان ذلك يقلق راحتي .

المدير : لو كان كل زملائك يسيرون سيرتك، ويطبقون منطقك لما استتب امر ،

الم بادان : الفت نظرك يا سيدي المدير ، ان زملائي يجودون على المكتب بحزمهم ونشاطهم وذكائهم ووقتهم ، اما انا فاني اضحي، في سبيل المكتب بحياتي، بروحي ، (ثم يقول وقد استولى عليه الياس) آه يا سيدي ، ثقل الحمل حتى اصبح لا يطاق !!

المدير : (ناهضا) : انا نتفق معك .

الم بادان : أليس الامر كذلك ؟

المدير : بكل تأكيد هيا ناولني استقالتك لاوجهها للوزارة

الم بادان : (مستغربا) : استقالتي ! ! انا لا افكر في تقديم استقالتي ، بل اطلب الزيادة في مرتبي .

المدير : كيف ؟ الزيادة ؟

الم بادان : (خارجا) أجل ليس من العدالة في شيء ، ان أعرض نفسي لهذا العذاب، في مقابل مائتي فرنك في الشهر . !!

تعريب : عبد القادر الخلادي

أدب وفكر :

في عالم القصة

للأستاذ مبارك ربيع

لا احد اليوم يجهل الدور الذي يلعبه الفن القصصي فى التعبير الادبي ، واذا كان ثمة زمن ينظر فيه الى هذا اللون الادبي بمنظار الانتقاص والازدراء ، فان هذا الزمن قد ولى منذ امد طويل بالنسبة للرواية او القصة الطويلة ، ومنذ عهد قريب بالنسبة للقصة القصيرة ، ولنتصور ذلك يكفي ان نذكر ما قاله تشيخوف فى سنواته الاخيرة لاحد الكتاب الشباب : انكم احسن وضعا فى بدايتكم ، منا فى بدايتنا ، كنا نكتب ولا نجد من يقبل على قراءتنا ، اما انتم فقد تيسرت لكم السبل . بيد ان الفن القصصي مع كل ما يبدو من سهولة الاطلاع عليه ومطالعته ، يحتاج الى تكوين خاص لا من المؤلف بل من القارىء . وكما يقال : فان القارىء مؤلف جديد ، او هو مؤلف بالقوة ، ان لم يكن كذلك بالفعل . والقارىء الممتاز لا بد ان يكون مؤلفا بالفعل مهما تباين تأليفه وهو ينتهي من القصة ، لتأليف المؤلف الاول . واذا كان القارىء يحتاج الى تكوين خاص للافادة من القصص ، وتحصيل المتعة الفكرية منها ، فان انارة بعض جوانب العمل الادبي ضرورية وبقدر ما هي كذلك بقدر ما يجب ان تكون هذه الانارة اصيلة ، وهذا ما يدعو الى تتبع خيوطها فى احاديث كتاب القصة انفسهم ، لا النقاد فحسب . لان الناقد فى غالب الامر يشرح العمل الادبي من خارج ، وليست معاناته او تعاطفه ، مهما يكونا عميقين الا من الدرجة الثانية . وبالاضافة الى ذلك فان عمل الناقد فى الغالب، يكون مشبعا بروح مدرسية، فلابد له من المقارنة والتحليل وتدعيم موقفه بما عنده من معارف ادبية ، بينما حديث كاتب القصة ، اقرب الى البراءة او السذاجة لاعتماده على التعاطف بالدرجة الاولى . وقد اخترت هنا حديثين لكاتبين من مشاهير كتاب القصة فى عصرنا ، واخترت ايضا يكون احدهما من كتاب القصة الطويلة او الرواية ، والاخر من اصحاب القصة لقصيرة ، كما ارتأيت اخيرا ان يكونا من بلدين متخالفين فى المزاج والاتجاه الادبي فيما هو متداول بين الناس . فالكاتب الاول هو : « كلود سيمون » الفرنسي والثاني هو : « يوري كازاكوف » السوفياتي من كتاب القصة القصيرة بل احد كبارها فى الاتحاد السوفياتي حاليا . وقد نشرت كلا من الحديثين الاسبوعية الفرنسية : « Les lettres francaises » على التتابع فى عدديها المؤرخين بـ 13 ابريل 1967 و 16 مارس 1967 .

ويشرح كلود سيمون فى حديثه هذا (الذي جاء بمناسبة نشره لاحدى قصصه اخيرا) علاقة الادب القصصي بالواقع ، ووعلاقة الكاتب بشخصياته ، ودور اللغة والتكنيك القصصي الحديث وعلاقته بالقواعد الكلاسيكية للقصة ... وبالطبع فان كل ما يعرضه قابل للنقاش ، لانه لا يعدو ان يكون انطباعا شخصيا ، او فهما خاصة لفن القصة . ولكنه على كل حال مدخل مباشر للتحليل القصصي .

واضح ان الفن القصصي كغيره من الفنون ، يتمرد على القوانين والقواعد ، وحتى الذين يسلمون بضرورة هذه القواعد والقوانين فانهم لا يرتضونها من حيث هي تصميم اساسي للعمل الفني ، وانما هي فى نظرهم

للاطلاع ، أي انها تدخل في ما يكون الثقافة الفنية للكاتب والقارىء ايضا . وأهم عناصر القصة (مهما تكن الرؤيات المختلفة في هذا المجال) هي : الحدث ، والشخصية والزمان والمكان . واجتماع هذه العناصر هو ما يطبع العمل القصصي بطابع الواقعية . بيد أنها واقعية خاصة او واقعية فنية قبل ان تكون واقعية موضوعية . فالزمن الروائي ينظم احداث القصة نظما فريدا ، لا توجد عليه هذا الاحداث في ما جريات الحياة المعتادة ، التي نسوقها باستمرار . ويقول كلود سيمون بهذا الصدد : « ان الوقائع بالمعنى المألوف ، بالمعنى الذي نفهمه في العادة ، والذي يجعلها متعاقبة حسب ترتيب معين ، يوازي ايقاع دقات الساعة ؛ هذا المعنى ليس هو ما نعثر عليه في عمل الكاتب القصصي ، بل اننا لنجد ترتيب الوقائع المعتاد قد انقلب راسا على عقب » وهذا القلب للاحداث او هذا الانقلاب ، الذي يلمح اليه هنا ، يرجع الى القوى الخلاقة في الكاتب التي تعتمد في اسسها الذاكرة والخيال ، اي استدعاء الماضي أو استحضاره من جهة ، وخلق صور جديدة او نظم الصور القديمة في صور جديدة من جهة اخرى . وبتكامل هاتين القوتين قوة الذكر (بالضم) وقوة التخيل ، تبدو الاحداث الماضية ، السعيدة وكأنها حدثت الساعة او بالامس القريب، وتلتحم هذه الاحداث الماضية البعيدة ، باحداث الزمن القريب ، وتتداخل تداخلا عميقا، يعبر عن الخلق الفني الجديد الذي لا يشابه القديم ولا الجديد فهو لا واقع بالمعنى المعتاد ، ولكنه واقع بالمعنى الفني ، واقع ولا واقع يمتزج فيه التاريخ (بمعنى خاص) بالتنبؤ ، وتلك خلاصة عملية الابداع الناجحة ، التي تنبع من معاناة الكاتب . وبين فعلي الذكر والتخيل ، هناك فعل التداعي ، تداعي الصور والفكر (بفتح الكاف) والاحداث ، وهو القوة الجامعة التي تربط الاحداث . ويشير سيمون الى دور التداعي هذا عندما يقول في حديثه . «أما ما يجمع بينها (الاحداث) من ضروب التداعي فهو المشابهات المعطاة ، من قبل الحساسية » ولسنا مضطرين لان نقبل التداعي في هذا المعنى الضيق الذي يقتصر على المشابهات ، فالتداعي من الوجهة السيكلوجية ، لا ينشأ عن المشابهات فحسب بل ايضا عن المفارقات، وضروب التباين، بل ما هو اكثر من ذلك فان لنا ان نفترض ان التداعي في العمل الفني غير محدود بالصور المقارنة ، او المقترنة ، سواء كانت تشابها او تباينا ، بل هو فعل خلاق ، وبهذا يكون له سره الخاص ، الذي هو سر جميع القوى المساهمة ، في عملية الابداع . أما الحساسية Sensibilité التي يذكرها سيمون ، فهي ايضا ليست احساسا معتادا ، بل احساسا مرهفا ، اقرب ما يكون الى الشاعرية ، انفعال سامي ، يتركز في اللقطة الفنية للكاتب ، او ما يعبر عنه بزاوية الرؤية .

وليست الذاكرة بدورها عند الكاتب القصصي محصورة في الطابع الذي نصبغه عليها كقوة نفسية لاستحضار الماضي فحسب ، وهذا ما لم يغفل عنه سيمون في حديثه ، اذ يقول : « ان ذاكرة الكاتب في العمل الروائي ليست ايقاعية (او توقيعية) Mélodique بل هي تنسيقية Harmonique ومعنى هذا ان وظيفتها لا تقف عند استرجاع الاحداث ، حسب ايقاعها الطبيعي ، بل هي تنسق بين هذه الاحداث تنسيقا خاصا ، وتربط بينها ربطا لا عهد للاحداث به من قبل ، ربطا جماليا وتقنيا ، يؤدي الى اتحاد الاحداث وحدتها واستنقطا بها لهدف واحد واهداف محددة معينة هي التي يعمل الكاتب القصصي لبلوغها ، وهذا التاليف بين الاحداث في وحدة فنية ، هو ما يجعل الكاتب القصصي يتجاوز احداثه الخاصة ، الى احداث الغير ، فهو لا يصور ذكرياته بالضرورة ، ولا ينبغي له ذلك ، بل ان مادته الاساسية عند الغير وفي الغير . وهنا دور الخيال مرة اخرى ولكن « تخيل تاريخ الاخرين انما هو تذكر الكاتب لذاته ايضا » فاحداث الغير تندمج في احداث الكاتب ، وبراعة الكاتب هي في هذه القدرة على استيعاب واقع الاخرين ، والتعاطف معه ، الى درجة يصعب معها التمييز بين ذكرياته وذكرياتهم ، او وضع حد فاصل بينهما . فالنتاج القصصي تركيب فني لاحداث عالمية ، تنعكس على صفحة الانا ، بشتى الكيفيات .

ومن المشاكل التي تثار بصدد العمل القصصي ، دور الرمز الكامن وراء الحدث . فهل يجب أن يكون ثمة رمز بالضرورة ؟ وهل من حق القارىء ان يكتشف بوسائله الخاصة هذا الرمز ؟ والى اي حد يكون الكاتب مسؤولا (من الوجهة الفنية الخالصة) عما يكتشفه القارىء ؟ هذه كلها اسئلة في هذا المجال ، وكثيرا ما يسأل الكاتب ما ذا تعني بهذه الشخصية او تلك ؟ والاجوبة متعددة ، حسب طريقة كل في الكتابة او في المطالعة . ويجب ان نثبت هنا ان الكاتب الروائي لا يعرف او يتظاهر بانه لا يعرف ما ترمز اليه شخصياته، وفي ذلك طبعا اغناء لعمله ، لانه يستمر بذلك محط تاليفات جديدة من جانب الغير ، قد تكون أعمق بكثير مما رمى اليه . وبهذا الصدد يقول كلود سيمون : « هذا ما لا أعرفه (أي دلالة شخصياته عما وراءها)

ويجب الا يبحث القارىء عن رموز فيما أكتب ولا عن دلالات ، فليس هناك الا ما اكتب ، فانا اظهر الاشياء كما احس بها » ، وهذا موقف مألوف من كتاب القصص اذ المفروض ان كاتب القصة ، لا يخرجها الى القراء ، الا وقد اكتملت ، اي ان يكون قد عبر فيها عن كل ما يريد التعبير عنه ، فليس من المقبول ـ فنيا ـ ان يضيف بعد ذلك شيئا على طريقة تقريرية . ولقد عبر « اوسكار وايلد » عن ذلك عند ما قرر في مقدمته لقصة « لوحة دوريان جراي » ان من يخاطر وراء استكشاف الرمز انما يخاطر على حسابه الخاص .

ونأتي الى دور اللغة في القصة او على الاصح الحوار ، لانه مشكلة اساسية ، وهي تتخذ طابعها حسب كل لغة . والجانب الذي يهمنا من حيث اننا متكلمون بالعربية ، لا يكشف عنه هذا الحديث ، وان كنا نلاحظ ان مشكلة الحوار لم تعد حادة بالشكل المفتعل الذي كانت عليه في بداية الادب القصصي في العربية في العصر الحديث ، ويمكن ان نقول ان مشكلة الحوار قد وجدت حلها وتتلخص في ان مهارة الكاتب ليست فقط (ولعلها لم تكن ولن تكون ابدا) في فتح أفواه الشخصيات بما يمكن ان تنفتح به في الحياة المعتادة ، بل في جعلها تنفتح بما ينسجم مع السياق القصصي الذي تحوم فيه ، اي ان النظرة هنا فنية قبل ا نتكون موضوعية . بيد ان كلود سيمون يتحدث عن جانب محدد في الحوار ، عن نقطة معينة ، هي هذه التي تتعلق بالحوار المتقطع الذي يعمد اليه بعض الكتاب ـ وهو منهم ـ فذلك قد يوحي بالعجز عن التواصل وربما اوحى بتقطع الحياة النفسية الشخصية ، ورأي سيمون بهذا الصدد ان الحديث الروائي او الحوار يدل على ضرب من التواصل « Infra-langage » لا تعبر عنه اللغة المعتادة ، ولهذا يعمد الكاتب الى الايحاءات التي من شأنها ان تأتي بالكلمات ملونة تكملها المقاطع . وكأنما يهدف الكاتب بهذه العملية الى خلق بديل عما يواكب المحادثة العادية ويكملها من حركات عضوية ، ومقاطع صورية ونظرات متبادلة .

ولا ننهي هذا الحديث الخصب قبل ان نقتطف ما ينير جانبين هامين من جوانب الكتابة القصصية احدهما يخص القارىء ، والثاني يتعلق بالكاتب . بالرغم من ان هذين الطريقين لا ينفصلان في الحياة الادبية عامة ، والقصصية بوجه أخاص . اما الجانب الذي يتعلق بالقارىء ، فهو اذا كان القارىء حرا في ان يفهم ما يشاء من احداث القصة دون ان يتحمل الكاتب مسؤوليةذلك،فالىاي حد من حق الكاتب ان يرد على ما يخرج به القراء من كتابته او ما يؤولون به كتابته خصوصا اذا لم يكن راضيا عن ذلك التأويل . ان هذا المشكل بالرغم من اهميته بسيط وربما كان زائفا . فمنطقيا نرى ان الكاتب لا يملك الحق في الانزعاج على ما يفهم من كتابته ما دام يعتبر نفسه غير مسؤول عما يفهم منها ، ويرى كلود سيمون بهذا الصدد : « ان كل قارىء يقع تحت تأثير مظهر واحد في الكتاب » ومعنى هذا ان عملية « اسقاط » تحدث اثناء المطالعة ، ولهذا ينفعل القارىء بجانب واحد ـ غالبا ـ هو الذي يلائم جزءا من ذاته ، فيصبح القارىء تحت هذا العامل ، وكأنه يرى ذاته في الكتاب ، ومع وفرة القراء تكثر هذه الجوانب « المسقطة » فتؤدي الى اختلافات او توافقات في فهم العمل القصصي . ولهذا يمكن للقارىء ـ اي قارىء ـ باعادات متكررة لقصته ، ان ينفعل كل مرة بجانب جديد في القصة ، وخاصة اذا كانت فترات المطالعات متباعدة . وهذا معروف في حياة الكتاب انفسهم عند ما يقراون لغيرهم .

الجانب الثاني الذي يتناوله كلود سيمون في هذا الحديث يتعلق بالدافع الذي يجعل الكاتب يكتب . وهذا المشكل موضوع منذ القديم والاجوبة عنه متعددة ، وليس فيها قول فصل ، اما راي سيمون هنا فهو لا يختلف عن الراي الكثيرين من الكتاب فالحاجة الى الكتابة عنده حاجة الى العمل ، كما ان : « الرغبة في الكتابة تأتي كما تأتي الرغبة في التصوير للفنان الذي يعمد الى رسم لوحة . » ويستعير هنا جواب « نوفاليس (1) » عن سؤال وجه اليه : ما هو المؤلف ؟ فكان جواب « نوفاليس » : « ان الهدف الاساسي للمؤلف هو ان يكون مؤلفا ! » واذا كان سيمون ربما لم يوفق في قوله ان الحاجة الى الكتابة هي حاجة الى العمل ، فاننا نرى انها حاجة الى التعبير ، الا اذا كان المقصود ان العمل كالبناء والحراثة هو ايضا تعبير .

1) احد كتاب القرن الثامن عشر ومن ممثلي الاتجاه الرومانسي .

مع القصة السوفياتية المعاصرة

تجد خير معبر عن الاتجاه القصصي السوفياتي الحديث ، وخاصة عن القصة القصيرة ، في الكاتب « يوري كازاكوف » وان لم يكن وحيدا ، بالطبع يوجد كثيرون نذكر منهم : باوستوفسكي وجوبارتوف ، وبافلنكو .. الا ان لادب كازاكوف ميزته الخاصة ، وهي ما يكشف عنه هذا الحديث ، الذي كتبه عنه جان كوجار (1) . وقبل ان نستعرض اهم جوانب هذا الحديث ، يحسن ان نتعرف على هذا الاديب ، الذي لا نعلم ان بعض اعماله قد نقل الى العربية ، بالرغم من انه ترجم الى كثير من اللغات الاوربية . كازاكوف من مواليد 1927 ، من اسرة كادحة ، وقد تخرج من احدى مدارس الموسيقى سنة 1951 ، ومن هناك التحق باحدى الفرق الموسيقية ، وبدا اعماله الادبية سنة 1953 عند ما قبل بالمعهد الادبي (غوركي) . واثناء دراسته لم يكتب الا قليلا ، الا انه كان يقرا كثيرا جدا . وهو يقوم باسفار عدة في عطلاته ، تغنيه بمادة الكتابة . بدا كازاكوف بنشر انتاجه منذ 1957 في المجلات الدورية ، وبعد ذلك بحوالي سنة بدا يطبع مجموعاته القصصية منها (المحطة الصغيرة ، في الطريق ، الازرق والاخضر ...) وجل قصصه مترجم الى الفرنسية وغيرها . وقد زار فرنسا اخيرا ، والحديث الذي نشره عنه جان كوجار كان بهذه المناسبة .

ومما جاء في تقديم كوجار لهذا الكاتب قوله : « ان قارىء كازاكوف يعرف باي احكام وباية مهارة وحذق ، يبعث مؤلف (المحطة الصغيرة وقصص اخرى) أعظم شيء من لا شيء وكيف يلتقط الدقائق الفرارة ، بما لا يدرك بالحس ، وكيف ان هذا العملاق الطيب اللين الجانب ، يتوفر على اصابع لا تقهر . فليس هناك من يضارعه في قدرته على الايحاء بالعلاقات الخفية التي تمتد وتنقطع وتتجدد بين الانسان والطبيعة ، وبين الاحياء جميعا . وبالوسع ان يتحدث المرء هنا ، وهو يقرا كازاكوف ـ عن الرسم او عن الموسيقى . فكل لمسة او نغمة تضيف الى المجموعة عديدا من العلاقات . ان نثر كازاكوف ، الذي لا يمت الى الاسلوب الخطابي بصلة ، يرتعش تماما ، بالطريقة التي يرتعش بها اللون على قماش المصور . »

وقد تعرض كازاكوف الى رايه في القصة القصيرة ، وهو الذي لم يكتب الا في نطاقها ، فجاء رايه مؤيدا لآراء كثير من المهتمين ، بهذا اللون الادبي . فالقصة القصيرة ليست من السهولة بالقدر الذي يظنه كل من يحاول الكتابة فيها . والخطا الكبير آت من أن الناس ، يزنون القصة القصيرة وزنا كميا ، فينظرون الى مسافتها الصغيرة امام الرواية مثلا أو اي كتاب تحليلي آخر ، فيستهينون بشأنها ، بينما هي في الحقيقة عمل تركيبي دقيق متعدد الصعوبات . والقصة القصيرة لكل ما تقدم لم تاخذ بعد مكانتها اللازمة عند الناس . وهذا الراي في القصة القصيرة موجود في الوسط الادبي الفرنسي ايضا ، وقد أشار كازاكوف الى هذا وقارنه بوضع القصة القصيرة في الاتحاد السوفياتي : « اني اعرف ان القصة القصيرة ، لا تؤخذ بعين الجد في فرنسا ، وهذا يماثل الوضع التي كانت عندنا قبل تشيخوف الذي اقتحم الطريق ، واعتقد ان كتاب القصة القصيرة مدينون له بالشيء الكثير . » أما عن الصعوبة الفنية في القصة القصيرة بالنسبة الى الرواية فتلخص في ان « الموضوع فيها مكثف ، بينما المجال الفني متسع في الرواية . » والمقارنة التي توضع في العادة بين القصة القصيرة والرواية تضع سؤالا رئيسيا يتجاوز الشكل او النظرة الشكلية للموضوع من حيث انه يطول او يقصر ، ويضع على بساط البحث القيمة الانسانية ، لكل من القصة القصيرة والرواية . فكاتب القصة القصيرة مدفوع الى الاقتصار والى التركيز ، انه يقدم « شريحة طولانية » معمقة . وغير ذلك كاتب الرواية الذي يكتسح كل الابعاد . افلا يقال هنا ان العمل القصصي القصير اقل شمولا ، وبالتالي فهو يفتقد النظرة الانسانية التي من اولى خصائصها الشمولية ؟ يصعب جدا ان يجاري المرء هذه الخواطر لان النظرة الانسانية لا تربط باتساع المجال الفزيائي او الهندسي ، بل بالافق المعنوي . وزاوية الرؤية التي يختارها الكاتب سواء في القصة القصيرة او الرواية ، هي نظرته الانسانية . ولا ننسى ان عدة قصص قصيرة تكون نظرة متكاملة انسانية ، تعادل النظرة الروائية . وهذا ما البته كازاكوف مستشهدا بقصص تشيخوف ، الذي لا يقل في نظرته وشموليته عن كتاب الرواية . وهذه المقارنة بين القصة القصيرة والطويلة تقودنا الى محاولة تحديد او تعريف كل منهما ، وهي مشكلة صعبة خاض فيها الكثيرون . اما فيما يتعلق بالاقصوصة الروسية ، فان كازاكوف يعترف بانه في الوقت الراهن يصعب وضع حد او تمييز بين الاقصوصة الروسية والغربية ، بالرغم من ان هذا اللون الادبي وجد طريقه

1) « Les lettres françaises » (16 مارس 1967)

الاول في روسيا ، ويجمل كازاكوف اتجاه القصة السوفياتية الحالية في ان قارئها غير مشدود ضرورة ، الى القصة بسير الاحداث ولا بالمفاجأة المنتظرة ، بل ان قوة القصة القصيرة في روسيا هي في عوامل اخرى . ان ما تعرضه القصة السوفياتية لجد قليل وغير ذي اهمية : « الشمس تشرق ... الشمس تغيب ... رجل يسير في الطريق » . بيد ان الاهمية كلها في العالم الداخلي للبطل ، في توتره الداخلي .

ان كازاكوف فيما ذهب اليه من اعتماد القصة القصيرة السوفياتية على العالم الداخلي ، لا يتحدث عن قصصه بالذات بل عن غيره من الكتاب . وهذا يبرز جانبين في هذه القصة فهي بهذه البساطة المتناهية تعد امتدادا لقصة تشيخوف ، وتمتاز عنها عند كبار الكتاب بعمق التحليل للعالم الداخلي للشخصية . والحديث عن القصة السوفياتية حاليا يجعلنا نفكر في الادب الروسي عامة . فقد طغى الالتزام او على الاصح التوجيه على هذا الادب في هذا القرن ، والقصص السوفياتية على الجملة تهتم بقضايا المجتمع ، كما يراها الاتجاه السياسي والاقتصادي العام . والواقع ان هذا الحكم لا يصح على كل الادب الروسي وعلى كل الكتاب ، وكازاكوف من هؤلاء الذين لا ينطبق عليهم ذلك ، لا لانه يقول ذلك ، بل لان ذلك ما تشهد به آثاره فهو يتناول في قصصه موضوعات الحب والسعادة والحزن ... وهذه جملة من الموضوعات التي لا يرتاح لها المتعصبون ، ويرون فيها خروجا عن الالتزام ، ونكوصا الى الذاتية الفارغة ويصف كازاكوف هذه المرحلة التي ظل الادب السوفياتي فيها خاضعا للتوجيه الصارم فيقول انها انتهت منذ سنوات ، وان الادب السوفياتي في تلك المرحلة اكتسى طابع الابتذال ، فالنداء الذي كان يتعالى حول الاديب باستمرار هو : « انك سوفياتي ، فعليك ان ترسم الحقيقة السوفياتية لقرائك ، عن طريق الابطال الايجابيين . » هكذا كانت الاوامر تصدر الى الكتاب ، الى ان تغييرا اساسيا قد وقع واصبح بامكان الاديب ، ان يعبر عن انسانيته على نطاق أوسع . ويتحدث كازاكوف عن الازدراء الذي تعرضت له قصصه أول الامر ، لخروجه عن المفاهيم الضيقة للالتزام ، الا ان كتبه ترجمت الى لغات اجنبية ، وتوطدت مكانته الادبية، فاقبل عليه النقاد بعد اعراض ، وأمكنهم بعد ذلك ان يولوه حقه من التقدير والاهتمام .

مبارك ربيع







قادة فتح المغرب العربي

تأليف اللواء محمد شيت خطاب
تعليق : أبو سعد

هذا عنوان كتاب جديد تفضل مؤلفه الاستاذ الصديق السيد محمود شيت فأهدانا اياه في الايام الاخيرة ، وهو في الواقع حلقة من سلسلة كتب يصدرها اللواء محمود حول قادة الفتح الاسلامي ، فلقد حبب اليه – وهو احد خريجي كلية الاركان العسكرية – وهو احد الذين شاهدوا ثورة عام 1941 ضد التدخل الاجنبي بالعراق، وهو كذلك أحد الذين تطوعوا في حرب فلسطين ، اقول حبب اليه ان يعنى بالفاتحين المسلمين الاولين ، ولم تمنعه مشاغله كوزير ان يتصدى في عزم وتصميم لهذا الموضوع الذي تحتاج اليه المكتبة الاسلامية وساعده على ذلك ان الرجل يعتبر من اعضاء المجمع العلمي العراقي واعضاء مجمع اللغة العربية القاهري .

قرات له عدة كتب : الرسول القائد ، وقادة فتح العراق والجزيرة ، وقادة فتح فارس ، وقادة فتح الشام ومصر ... وعرفت له عدة بحوث : حول المهلب ابن ابي صفرة ، والفاروق القائد ، والاحنف بن قيس التميمي ، وقتيبة بن مسلم الباهلي ، وعقبة بن نافع الفهري ، وابي موسى الاشعري ، والمصطلحات العسكرية في القرآن الكريم ، واخيرا ظهر له كتابه هذا « قادة فتح المغرب العربي » في جزئين هامين ، وصديقنا محمود من مواليد الموصل ، وبيته بيت علم وفضل ، وهو الى هذا يمتلك مكتبة ضخمة تحتوي على عشرات الكتب النادرة .

* * *

ويعتبر (قادة المغرب العربي) من اهم المصادر التي ينبغي ان تكون مرجع الذين يتحدثون عن تاريخ بلادنا ، وقد أدرك المؤلف الفاضل من خلال دراساته الصلات العريقة التي تجمع بين اقطار المغرب العربي فاهتدى الى ان يفرد هذه البلاد بتأليف خاص يجمعها فيه كما جمعها التاريخ في غابرات القرون ... ولهذا كان الكتاب في عداد الوثائق التي تشهد بوحدة هذه البلاد وانسجامها وتناسقها ...

والمؤلف وقد اشبع قلبه حبا للسلف الصالح ابى الا ان يكون اهداؤه الكتاب لصحابي جليل ندين له بكل فضل ، وأعني به سيدنا عثمان بن عفان الذي كان أول من بعث الجيوش لفتح افريقية ...

وقد استهل الجزء الاول – الذي يوجد بين ايدينا اليوم – بمقدمة عن البلاد والسكان عبر التاريخ سواء قبل الفتح الاسلامي أو في اثنائه ، وقد اطرى كثير الاطراء على المجهود الموحد الذي قام به ابناء المغرب

العربي في هذا القرن من أجل الابقاء على البلاد عربية اسلامية كما شاء لها القادة المسلمون الاولون .

ولعل مما دفع بنا الى التعريف بهذا المؤلف الجليل انه يعتبر بمثابة تقديم طيب لبلاد المغرب العربي الى بلاد المشرق العربي ، فاخواننا هناك في حاجة أكيدة الى المزيد من الحديث عنا ، الى المزيد من التعريف بنا ، نحن الذين ما فتئنا نحمل نفس الراية التي حملها بالامس عقبة بن نافع رضي الله عنه ، ويشعر القارىء باغتباط ما عليه من مزيد وهو يستعرض حياة اولئك الذين قادوا المعارك العظيمة منذ الايام الاولى للاسلام من عبد الله بن ابي سرح فاتح افريقية الى معاوية بن حديج فاتح بنزرت وسوسة وجلولاء الى عقبة بن نافع الفهري القرشي فاتح زويلة وفزان وطنجة والسوس ... الى ابي المهاجر دينار فاتح المغرب الاوسط الى زهير بن قيس البلوي قائد المعركة الحاسمة في افريقية الى حسان بن النعمان الازدي الغساني فاتح قرطاجنة الى موسى بن نصير اللخمي فاتح الاندلس ...

وكل شخصية من هذه الشخصيات العملاقة في التاريخ الاسلامي كان المؤلف يفرد لها فصولا تحللها وتضفي عليها كثيرا من النور ، فهو يتناولها مرة كما هي انسانا وبشرا ويتناولها قائدا وزعيما ، وهو يصور الصراع العنيف الذي كان يخوضه هؤلاء الرجال بل ويصور ما استهدفوا له – بسبب اجتهاداتهم – من عزل ونقل بين الفينة والاخرى ، فهو اذن مليء بالحقائق التاريخية التي ظلت مبعثرة هنا وهناك ، ولزيادة الايضاح عمد المؤلف الى تزويد الكتاب بعدة خرائط تصويرية تساعد القارىء على تتبع المواقع التي سلكها المجاهدون الاولون ، ويظهر ان شخصية عقبة بن نافع قد استأثرت باهتمام محمود ولذلك فانه لم يكفه أن أفاض فيها القول ، **ولكنه تقدم الى حكومة صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني باقتراح : ذلك أن تعمل على تحقيق المكان الذي وطئته أقدام عقبة آخر ما وطئت لتجعل منه شاهدا تكتب عليه كلمته الخالدة : « يا رب ، لولا هذا البحر لمضيت مجاهدا في سبيلك » انه يقترح أن يقام هناك « مسجد شامخ » يحمل اسم عقبة بن نافع اكبارا له وتكريما للمشرق في شخصه ..**

ونحن نعترف أن القيام بعمل شاق كالذي قام به محمود يستحق كل تقدير واكبار ولكن مع ذلك نرى أن نلتمس من الاستاذ أن يقوم في الطبعة الثانية للكتاب بتحريات أكثر دقة حول بعض الهفوات المطبعية التي لم يسلم منها التأليف .

فقد ذكرت مدينة فاس على انها من مفتتحات حسان بن النعمان ومع انها من مؤسسات الامام ادريس، على أن الخرائط المثبتة في الكتاب ينبغي لها في نظرنا ان تكون مستجيبة للمعلومات التي تقدم معها اولا باول ، فعند ما يتعلق الامر بالفتوحات الاولى لا ينبغي اثبات اسماء بعض المدن من التي لم يكن لها وجود تاريخي آنذاك ، وهكذا تتمشى الخرائط بصفة متوازية مع الحقيقة التاريخية المذكورة ..

وبصرف النظر عن هذا وذاك فان « قادة المغرب العربي » موسوعة ينبغي أن تكون في مقدمة المراجع التي يستشيرها طلابنا في دراساتهم لا سيما وان في المصادر العديدة والمتنوعة التي توفر عليها المؤلف قلما تتيسر جميعها لدى الناس .

ونحن اذ نهنىء « الفاتح » محمود بما فعل ، نامل ان يتابع سيره لاستقصاء سائر الفاتحين ، وعسى أن يجد من الوقت ما يسمح له باجتياز هذه المرحلة الى المرحلة الثانية التي تنتظره وهي الرحلة الى البلاد التي يتحدث عنها وذلك ليقف على معالم اولئك ، بل وعلى درجة صمود تلك البلاد وتمسكها واصالتها .

الرباط : أبو سعد

نشاط وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

« معالي وزير عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية ينوب عن حضرة صاحب الجلالة في موسم المولى ادريس »

في يوم الخميس 17 جمادي الاولى 1387 موافق 25 غشت 1967 اقيم احتفال ديني رائع بمدينة زرهون احياء لموسم المولى ادريس ، وذكرى مؤسس أول دولة مغربية اسلامية ، وتخليدا لعظمة هذا الرجل العظيم ناشر اعلام الدين الاسلامي في ربوع المملكة الشريفة ...

لقد شهدت مدينة زرهون هذه السنة احتفالات رائعة ، واقبالا منقطع النظير .

وبهذه المناسبة أوفد صاحب الجلالة مولانا الامام الحسن الثاني نصره الله وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الاستاذ الحاج احمد بركاش نيابة عن جلالته حفظه الله ونصره ، في حضور الحفل الديني الذي اقيم في هذه السنة بضريح المولى ادريس الاكبر .

وقد غصت مدينة زرهون بجمهور غفير من الذين خفوا لهذا الموسم من انحاء المملكة .

وكان معالي الوزير محفوفا بمساعديه الاقربين وسعادة العامل وباشا المدينة والشرفاء حيث احيا ليلة مباركة بالصلاة وتلاوة القرآن الكريم والامداح النبوية .

وفي جو خاشع توجه المومنون الى الله العلي القدير ان يحفظ مولانا الامام وينصر الاسلام والمسلمين ويعلي بفضله رايتهم .

وقد حمل معالي الوزير من طرف صاحب الجلالة نصره الله صلة ملكية مهمة قصد توزيعها على الشرفاء والمعوزين .

ـ في بنـــاء المساجـــد ـ

يشهد هذا الشهر بوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية نشاطا ملحوظا فيما يتعلق بتدشين عدة مساجد في انحاء المملكة .

وهكذا سيتوجه معال الوزير في نطاق نشاطه المعتاد الى عدة مدن وقرى لتدشين مجموعة من المساجد الجاهزة ، وذلك في كل من خنيفرة ، والحاجب ، وازرو ، وحرمومو ، وادرج بناحية تازة ، وكلمين ، وسطات ، ومراكش في مسجدها العظيم بكليز .

في النشـــاط الثقافـــي

« التمهيد ، لما في الموطأ من المعاني والاسانيد »

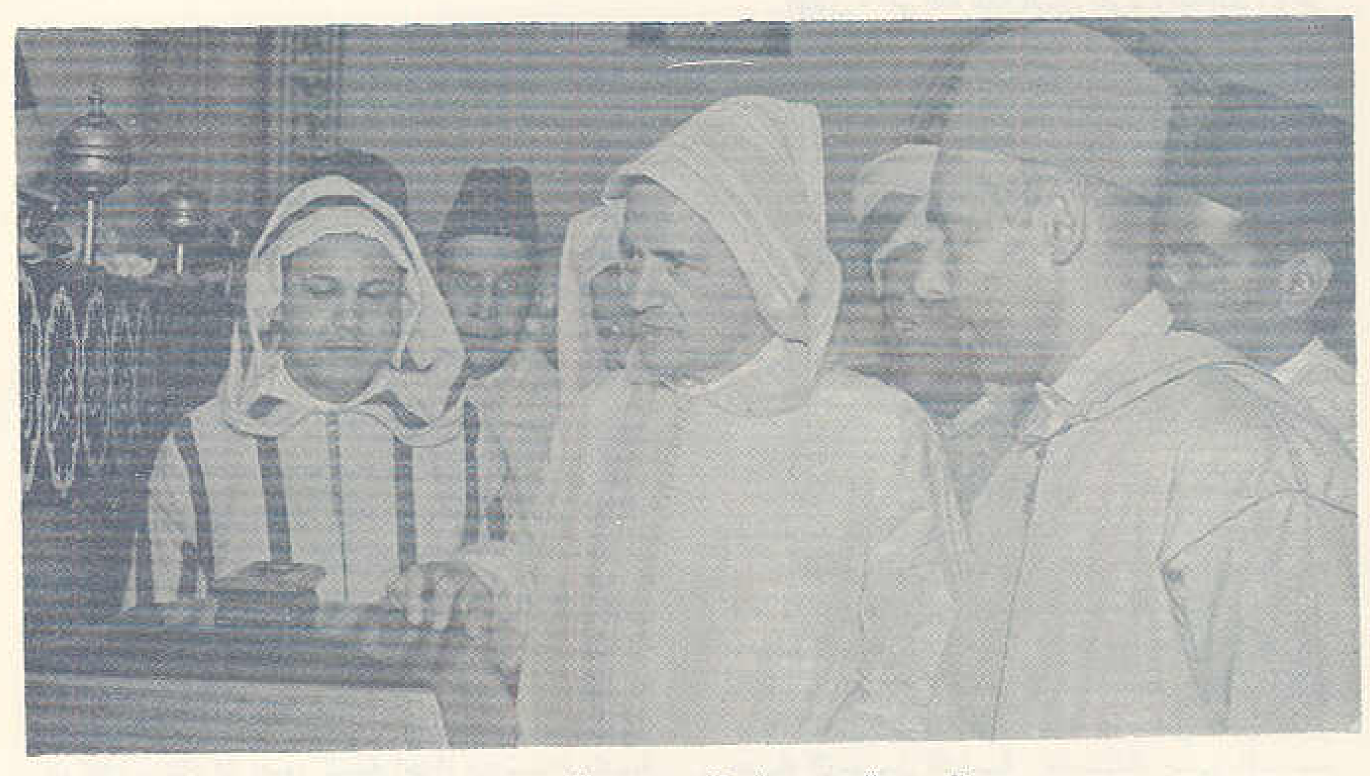
ما فتئت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية تخطو خطوات ايجابية فعالة لتحقيق رسالتها الاسلامية ونشر الوعي الاسلامي ، والثقافة الاسلامية النيرة الاصيلة على المستوى المحلي والعالمي ، وبعث التراث الحي الخالد الذي تزخر به خزائننا ومكتباتنا ، كما لا تدخر وسعا في تدعيم الحركة الفكرية والثقافية وتطويرها في هذه البلاد .

وهكذا فقد تم في الايام الاخيرة انجاز طبع كتاب « التمهيد ، لما في الموطا من المعاني والاسانيد » تأليف الامام ابي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري الاندلسي ... وكتاب التمهيد هذا ، كتاب فريد في بابه ، موسوعة شاملة في الفقه والحديث ، ونموذج فذ في اسلوبه ، ومنهجه ، رتبه المؤلف بطريقة الاسناد ، على اسماء شيوخ الامام مالك الذي روى عنهم ما في الموطا من الاحاديث ، وذكر ما له عن كل شيخ مرتبا على حروف المعجم ، فبدأ بمن اسمه ابراهيم ، ثم اسماعيل ، واسحاق ، ثم ايوب ... وختم بمن اسمه يحيى ويونس ، ويعقوب ، واخيرا بالكنى والالقـــاب ...

وقد اقتصر فيه على ما ورد عن الرسول عليه السلام من الحديث متصلا او منقطعا ، او موقوفا ، او مرسلا دون ما في الموطا من الآراء والآثار .



معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الحاج احمد بركاش وهو يتوجـه الى الضريح الادريسي رفقة مساعديه الاقربين وعامـل الاقليم وباشا مدينـة زرهـون والشرفـاء والاعيـان ...



معالـي الوزيـر في الضريـح الادريسـي ...

وقد قضى ابن عبد البر في تأليف كتاب التمهيد اكثر من ثلاثين سنة ، كما انه لا تكاد توجد منه نسخة كاملة في أية مكتبة ، وانما هي أجزاء متفرقة ...

وقد استوردت الوزارة مصورا على اشرطة لتسعة اجزاء من نسخة موجودة بمكتبة اسطنبول بتركيا ينقصها جزآن ، وهي نسخة مكتوبة بخط مغربي واضح ...

وقد اتخذت هذه النسخة اساسا لاخراج الكتاب واعداده للطبع رغم انها غير كاملة اعتمادا على ظن قوي في ان ما بها من نقص يوجد في الاجزاء المتفرقة الموجودة بالمكتبة العامة بالرباط ، والمكتبة الملكية العامرة ، ومجموعة الاوراق من التمهيد التي توجد بخزانة جامعة القرويين بفاس ...

وكتاب التمهيد من الحجم الكبير ، ويقع في 398 صفحة عدا الفهارس الخاصة بمواضيع الكتاب والاعلام واهم المراجع المعتمدة في التحقيق والتعليق والتراجم .

ويسرنا ان نثبت التقديم الذي كتبه معالي وزير عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية الاستاذ الحاج أحمد بركاش لهذا الكتاب القيم ورفعه الى مقام حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم الحسن الثاني نصره الله :

« الحمد لله الذي مهد لنا سبل العمل المفيد ، لاتحاف العالم الاسلامي بطبع (كتاب التمهيد ، لما في الموطأ من المعاني والاسانيد) ، والصلاة والسلام على القائل : ليبلغ الشاهد الغائب فرب مبلغ أوعى له من سامع ، وعلى آله وأصحابه وكل من لهم بالاحسان تابع .

أما بعد ، فاليك يا أمير المؤمنين ، وحامي حمى الوطن والدين ، ورافع راية العلم بين المسلمين ، أقدم ثمار غرسك الوارف الظلال ، ليجتنيها طلاب المعرفة أجيالا بعد أجيال .

فهذا يا مولاي كتاب التمهيد ، وبروزه اليوم للعالم الاسلامي فتح جديد ، لانه ذخيرة عظمى في علم الحديث وفقهه ورجاله . وقد ادخره الله تعالى لجلالة الحسن الثاني ليكون طبعه في زمانه من أجل أعماله .

ومنذ عهدتم الي يا مولاي ببعث التراث الاسلامي المجيد ، وقسم الشؤون الاسلامية بوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية مجند للبحث والتنقيب ، لتلبية رغبة جلالتكم ، فقد أشخصت عالما لمكتبة اسطنبول بتركيا استطاع ان يصور تسعة أجزاء من نسخة مكتوبة بخط مغربي ، وكلفت الاستاذين مولاي المصطفى بن أحمد العلوي والسيد محمد عبد الكبير البكري بالسهر على انجاز الجزء الاول ، ويسرت لهما أسباب العمل والاتصال بالخزانة الملكية العامرة ، والمكتبة العامة بالرباط ، كما أننا توصلنا كذلك من سعادة سفيرنا السابق بالعراق ، الاستاذ السيد عبد الهادي التازي بشريط هام جلبه لنا من العراق ، سيفيدنا كثيرا فيما نحن بصدده ، واننا اذ نجزل له الشكر نثني أحر الثناء على الجهود التي بذلها الاستاذ مولاي المصطفى العلوي ورفيقه السيد محمد عبد الكبير البكري ، وعلى ما قامت به المطبعة الملكية من جهود ، ونرجو أن نتمكن من طبع سائر الاجزاء حتى يتم الكتاب في مدة قريبة بحول الله .

مولاي ، انني اذ أتقدم الى سدتكم العالية بالله ، بالجزء الاول من كتاب (التمهيد) أشهد الله عز وجل أن هذا الكتاب وغيره سيثني عليك . فقد أرضيت الله في كتابه ، وأرضيت رسوله في سننه ، وها أنت يا مولاي بما خصك الله به من تبحر في العلوم ، وقوة في الايمان ، يحلى عقد ذكرك جيد الزمان ، وتصل حاضرك بماضي والدك ، مفخرة ملوك الاسلام ، وبطل التاريخ ومعجزة الدهر ، جلالة مولانا محمد الخامس رضي الله عنه وأرضاه ، وجعل جنة الفردوس مثواه .

مولاي ، أعز الله هذا الدين بعزك وأمجادك ، وأقر عينك بسمو ولي عهدك وسادتنا الامراء أولادك .

أحمد بركاش

مجلة « الارشاد »

صدر العدد الثاني من مجلة الارشاد التي تصدرها وزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية حافلا بالدراسات الاسلامية المبسطة السهلة التي تخدم الاسلام واللغة العربية وترفع مستوى الطبقة المبتدئة والمتوسطة من اعوان وجنود وتجار وعمال داخل المغرب وخارجه .

وقد اشتمل العدد الثاني من مجلة « الارشاد » على المواضيع الآتية :

تفسير سورة المطففين : للاستاذ عبد الله كنون .
الاسلام دين الاخاء : للاستاذ عبد الرحمان الدكالي
أهداف الدعوة الاسلامية : للاستاذ الحسن الزهراوي
ان الدين عند الله الاسلام : للاستاذ محمد العربي الهلالي
حاجة الناس الى بعثة الرسل : للدكتور تقي الدين الهلالي
حياة الرسول المدنية : للاستاذ حسن السايح
الامراض النفسية وعلاجها : للاستاذ محمد عبد الكبير

البكري . **شرح حديث شريف** : للاستاذ محمد الطنجي **أبقيت لهم الله ورسوله** : للاستاذ عبد القادر الصحراوي **الاسلام والانسان** : للاستاذ عبد الكريم الفيلالي **ماذا نتعلم من الصلاة** : للاستاذ احمد عبد الرحيم عبد البر **وجوب طلب العلم** : للاستاذ عبد الرحمان القباج . **قصة اسلام سلمان الفارسي** : للاستاذ اسماعيل الخطيب **الاسلام دين الوحدة العالمية** : للاستاذ عبد الرحمان الكتاني . **من أعلام الاسلام** : للاستاذ خليفة المحفوظي **عظماء ديننا .. من هناك ومن هنا** : للاستاذ محمد بن احمد شماعو . **من أجل دينك** : للاستاذ ابي عمر .

ـ النشاط الفلاحي ـ

لقد اسفرت الجولة التي اجريت اخيرا عبر الاراضي الشاسعة التابعة لنظارات القرويين والمرستان وفاس الجديد عن النتائج الاتية : وذلك بواسطة لجنة مؤلفة من مبعوث الوزارة بصفته رئيس قسم الفلاحة والخبراء الفلاحين التابعين للنظارات الآنفة الذكر : ادريس اللكوت وأحمد الصفار وبحضور ناظري القرويين ، والمرستان .

اولا : تأكد نجاح بنسبة تفوق تسعين فى المائة جميع الاشجار من انواع الزيتون واللوز والكليتوس المغروسة مباشرة ، وفيما يلي اسماء ومساحات الاراضي التي شملها هذا التشجير والتي توجد على مقربة من فاس :

ارطل بناني	10،00،00
عقبة الدقيق	16،56،00
عقارات	70،00،00
وادي العرص والغابة	15،00،00
سدرة امليك	17،00،00
حبة احلاوة	8،00،00
عين السانية	7،25،00
بوراشح	46،00،00
دوم العبودي الكبير والصغير	22،00،00
اوطى مسفر الكبير والصغير	13،00،00
ابن الطناجي	96،00،00
مكلوخة الصفرى	70،00،00
ظهر مخنوخ	25،00،00
النزالة	51،00،00
اللويزات	51،48،00
دوم داود	43،00،00
	56.1هـ.29آر؛00

ثانيا : تحققت اللجنة الآنفة الذكر من توقيف السيد اللكوت الخبير الفلاحي المكلف بالاشراف المباشر على عملية التشجير فى سائر الميادين التي يعمل فيها كالحرث بين الاشجار والتسميد وتلقيح الاشجار والنباتات الطفيلية وتحويط الاراضي الحبسية بالنباتات ذات الاشواك .

ثالثا : تلقت اللجنة بكامل الارتياح اقتراحات النظار الثلاث الرامي الى اتساع نطاق تربية الاشجار فى المطارح ومتابعة غرس اشجار الزيتون واللوز فى الاراضي الفارغة والصالحة لذلك .

رابعا : تقرر كذلك اثناء هذه الجولة تموين سائر النظارات الاخرى المحتاجة الى النقلات من المطارح المذكورة ، ويتعين الامر على الخصوص بنظارات تازة ووزان والعرائش، والجدير بالملاحظة ان نظارة القرويين وحدها تتوفر الان على اكثر من 100،000 نقلة من الزيتون و 80،000 نقلة من اللوز .



* « الى الاسلام من جديد » عنوان كتاب ضم محضرات كتبت والقيت فى مناسبات مختلفة تختلف فى الزمان والمكان ، والعنوان والالوان ، وتجتمع فى غاية واحدة، وهي ايقاظ الشعور الديني فى المسلمين، واعادة الثقةالى نفوسهم بمركزهم ومبدئهم، وغايتهم فى الحياة، ورسالتهم للعالم البشري .

الف هذا الكتاب السيد ابو الحسن علي الحسيني الندوي امين ندوة العلماء العام بلكهنؤ ــ الهند وعضو المجمع العلمي العربي بدمشق .

* « المراة بين الشرع والقانون » كتاب من الحجم المتوسط الفه الاستاذ السيد محمد المهدي الحجوي ، وهو عبارة عن رسالة وجيزة لكل فتاة ناهضة لا شرقية ولا غربية ولكن حنيفة مسلمة ، ويتضمن الكتاب بحثا هاما عن المراة المسلمة باللغة الفرنسية .

* اصدر المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى العالم العربي ، نشرة تتضمن « نتائج الاستفتاء حول اللغة العربية » ، وهو الاستفتاء الذي قام به المكتب فى كل الوطن العربي مع كثير من الشخصيات العلمية والفكرية

* صدر عن مركز الدراسات المغربية الذي أنشاه اساتذة معهد نابولي الشرقي الجامعي كتاب «دراسات مغربية». ويتم الكتاب فى 250 صفحة، يشتمل على تسعة فصول يتناول اولها « مقدمة كتاب روجار بلادريس » ، والفصل الثاني بحث للمستشرق لويكي حول كتاب « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » للادريسي ، وهناك ابحاث اخرى عن ليبيا ، وتونس ، والجزائر ، ووثيقة اباظية قديمة حول القرآن ، وهرب الشهاب أحمد الحجري الاندلسي الى المغرب .

* اصدرت الكاتبة المغربية فاطمة الراوي ، قصة الجزء الاول من كتاب « التمهيد لما فى الموطا من المعاني والاسانيد » . وهو من تاليف الامام الحافظ ابي عمر يوسف بن عبد الله ابن محمد بن عبد البر النمري الاندلسي . قام بتحقيقه وتصحيحه الاستاذان مصطفى ابن احمد العلوي ، ومحمد الكبير البكري .

* « انها الحياة » عنوان قصة طويلة اصدرها في كتاب السيد اسماعيل البوعناني ، وطبعت بالرباط .

* اصدرت الكاتبة المغربية فاطمة الرواي ، قصة مطولة بعنوان : « غدا تتبدل الارض » ، والجدير بالذكر ان هذه القصة فازت بالجائزة الاولى الادبية للاتحاد المغربي للشغل .

* صدر العدد الثاني والثالث لشهري ماي ، ويونيه ، من مجلة « الرائد » شاركت فى تحريره صفوة من البحاث والادباء المغاربة .

* اقيم بطنجة تابين للمرحوم السيد محمد الريفي ، تحت اشراف الاستاذ السيد عبد الله كنون .

* اصدر الكاتب التشيكي ايفان هربيك ، كتابا عن المغرب ، يعرض فيه المقدمات المغربية فى جميع الميادين والنشاطات ، والادوار التي لعبها المغرب عبر تاريخه .

* زار المغرب مؤخرا الاستاذ الصواف ، احد كبار علماء العراق ، واتصل بالاوساط الثقافية .

* كما زاره الاستاذ فاضل الجمالي ، الذي يعمل استاذا بالجامعة التونسية . والدكتور الجمالي ، يزور المغرب للمرة الثانية فى سنة 1956 عند ما حصل المغرب على استقلاله ، وقد رحبت بمقدمه وفى هذه المرة الاولى الاوساط الفكرية والثقافية بالمغرب .

* احرزت الفرقة المغربية خلال المهرجانات الدولية للفنون الشعبية بالحمامات على الجائزة الاولى، وهي عبارة عن ميدالية ذهبية . وحازت السينفال على

الجائزة الثانية ، وبعدها تشيكوسلوفاكيا ، والمانيا ، والنمسا ، واسبانيا ، وفرنسا ، وايطاليا . اما الجائزة الاولى للفنون الشعبية ، ففاز بها الاتحاد السوفياتي ، وجاء بعده في الترتيب : بلغاريا ، والجزائر ، وتونس .

* خلال التدريب الذي دام نصف سنة في معهد باني حتبة بتونس ، لتكوين الصحفيين ، أحرز ثلاثة متدربين مغاربة على درجات ممتازة : فقد فاز بالرتبة الاولى لسان الدين داود ، وبالرتبة الثانية ابو بكر التازي ، وبالرتبة الثالثة نور الدين بن الحاج .

* أحيت جريدة « العلم » الذكرى الاولى لوفاة الاستاذ المرحوم مصطفى الصباغ ، الذي ذهب ضحية حادث سيارة بتاريخ 23 يوليو من السنة الماضية .

* شارك المغرب في المؤتمر القضائي العربي حول فلسطين الذي عقد بالجزائر . والوفد المغربي كان يتركب من الاساتذة : حماد العراقي ، والحسن الكتاني ، وابراهيم قدارة .

* بدعوة من الحكومة البولونية ، توجه الوفد المتخرج من مدرسة المناجم بالرباط الى بولونيا في رحلة دراسية .

* عين الاستاذ السيد احمد الاخضر ، مديرا للمركز الجامعي للبحث العلمي ، خلفا للسيد الناصر الفاسي .

* احرز الرسام المغربي احمد يوسف بالجائزة الثانية في معرض تطوان ، الذي نظمته القنصلية الاسبانية هناك .

* بدعوة من الحكومة السوفياتية ، توجه السيد المهدي بن بوشتة كاتب الدولة لدى الوزير الاول في الشبيبة والرياضة الى موسكو للحضور في المهرجان الرياضي الخاص بالعاب جمهوريات الاتحاد السوفياتي .

* سيحتفل في اسبانيا بذكرى مرور 840 سنة على ميلاد الفيلسوف العربي ابي الوليد ابن رشد الذي كانت وفاته عام 1198 ، بعد حياة استمرت 82 سنة . وبهذه المناسبة اصدرت وزارة البريد الاسبانية طابعا بريديا يحمل رسم الفيلسوف المذكور .

* 180 استاذا واداريا في الجامعة الامريكية ببيروت ابرقوا الى الرئيس جونسون مطالبين بتأييد حق العرب ومحذرين من التحيز . كما حث رئيس الجامعة صموئيل كيركوود في رسالة بعث بها الى السفير الامريكي في بيروت على ان يوفر كل المعلومات اللازمة والاستشارات للمسؤولين في توجيه سياسة الولايات المتحدة وان ينظر بعين الاعتبار والاهتمام الى وضع شعوب البلاد العربية . وكذلك ابرق بهذا الصدد الى الدكتور كالفن بلميتون رئيس مجلس امناء الجامعة في امهرست ماساتسوسيس .

* صدر في منشورات العيد المئوي للجامعة الامريكية ببيروت كتاب « تهذيب الاخلاق » لابي علي احمد بن محمد مسكويه ، تحقيق الدكتور قسطنطين زريق في 248 صفحة من الحجم الكبير .

* منحت جائزة سعيد عقل الشهرية وقدرها الف ليرة عن شهر مايو للبحاثة جوزف شامي على كتابه باللغة الفرنسية « في فينيقية » .

* كلفت الحكومة اللبنانية عضو محكمة العدل الدولية في لاهاي الدكتور فؤاد عمون وضع دراسة عن خليج العقبة باعتباره مياها اقليمية لمصر والسعودية .

* دعا الشيخ بيار الجميل رئيس الكتائب اللبنانية الى القيام بحملة توعية على مختلف المستويات للرأي العام العالمي ، وتسخير مختلف الامكانيات في سبيل ذلك ، لان الرأي العام في كل دولة من الدول مضلل ويجهل كل شيء عن العرب وقال الجميل : « ان الحق الى جانبنا في قضية فلسطين وهو اقوى من الصواريخ والمدافع » اذا استطاعت الدول العربية اظهاره وايصاله على حقيقته لشعوب العالم ، وقال الجميل ان لدى لبنان مليون مغترب في امريكا ومليونا آخر موزعين على مختلف انحاء العالم ، ويجب علينا ان نستغل هذه الطاقة لتبديد الدعايات المشوهة للموقف العربي في الشرق الاوسط .

* عاد الى بيروت البحاثة يوسف اسعد داغر بعد غياب عدة اشهر في الخرطوم كان فيها منتدبا من اليونسكو كخبير للتوثيق التربوي لدى وزارة التربية في السودان .

* استأنفت مجلة « شعر » صدورها عن دار النهار للنشر في بيروت وصدر العددان 33 — 34 عن

شتاء ـ ربيع 1967 . والعددان في مجلد واحد حافل بالشعر والابحاث والنقد باقلام جمهور من خيرة الشعراء .

※ صدر عن دار الكاتب العربي في بيروت كتاب « تاريخ العرب في اسبانيا ـ عصر المنصور الاندلسي » للدكتور خالد الصوفي ، والمنصور الاندلسي اسم اشتهر به الحاجب المنصور بن ابي عامر وهو من اغنى الشخصيات في التاريخ العربي ، ويعتبر عصره من اهم العصور في تاريخ الاندلس .

※ « اصداف الصمت » مجموعة شعرية تصدر قريبا لرياض فاخوري تضم بعض قصائد الكفاح ، وخصوصا فيما يتعلق بفلسطين .

※ بمناسبة الذكرى السادسة لمبايعة الشاعر بشارة الخوري الاخطل الصغير أميرا للشعر العربي قام وفد من وزير التربية ووزير الانباء ونقيب الصحافة ونقيب المحررين بزيارة للاخطل الصغير في منزله حيث استقبلهم مع الشاعر سعيد عقل رئيس لجنة تكريمه .

※ عاد الى بيروت الدكتور فيكتور غريب من باريس بعد ان نال الدكتوراه من السوربون على اطروحته باللغة الفرنسية « الرومانطيقية في الشعر العربي حتى سنة 1945 » وقد اثبت فيها ان الرومانطيقية العربية نابعة من التراث العربي وليست متأثرة كلية بالرومانطيقية الغربية . وكانت لجنة المناقشة برئاسة البروفيسور بلاشير .

※ صدر في منشورات عويدات ببيروت في « سلسلة الفكر الجامعي » الكتب التالية : « تاريخ الرواية الحديثة » تأليف البيريس ، ترجمة الاديب السوري جورج سالم في 480 صفحة حجم كبير . « مدخل الى علم السياسة » تاليف جان مينو ترجمة جورج يونس في 432 صفحة حجم كبير . « المنطق » للدكتور جميل صليبا في 628 صفحة حجم كبير .

※ توفيت في بيروت السيدة الجليلة غالية شهبندر ارملة المرحوم عبد الرحمن شملي ووالدة الفنان الاستاذ مختار شملي مدير اعلانات المختار .

※ حمل الفيلسوف البريطاني بيرتراند راسل بعنف في بيان اصدره على اسرائيل ووصفها بالدولة المعتدية كما استنكر بشدة اعتداءها على الدول العربية ورفضها الانسحاب من الاراضي التي تحتلها ، وقال راسل ان على الذين يعطفون على اليهود بسبب اعمال الاضطهاد التي ارتكبها النازيون ضدهم عليهم ان يتمسكوا بالمبدأ الذي يستنكر سياسة الغزو العدواني والاستيلاء على اراضي الغير .

※ اعد الشاعر السوري عدنان مردم بك مسرحية جديدة للطبع عنوانها «العباسة » وكانت آخر مسرحية شعرية له عنوانها « غادة افاميا » صدرت في منشورات عويدات ببيروت .

※ « نهاية الاستعمار » قصة للكاتب الجزائري محمد ديب ، ترجمها عن الفرنسية الاديب السوري جورج سالم الذي تخصص مع الاديبين السوريين الدكتور سامي الدروبي وفريد انطونيوس بترجمة آثار محمد ديب . نشرت القصة في الكتاب السنوي الذي أصدرته دار المعلمين العامة في حلب .

※ نالت الاستاذة العراقية باكزة رفيق حلمي الدكتوراه بدرجة شرف من جامعة القاهرة في موضوع « النحو المقارن باللغات السامية » وهو اول بحث من نوعه يحصل به صاحبه على هذه الدرجة العلمية .

※ الجزء الثالث من كتاب معجم اللغة العامية البغدادية للشيخ جلال الحنفي سيصدر قريبا في بغداد.

※ اعد الباحث العراقي السيد جمال الدين الالوسي دراسة مستفيضة عن الامير العربي الشاعر « اسامة بن منقذ » مستوحاة مما ظهر مؤخرا من اثاره.

※ الرسالة المتبادلة بين علامتي العراق محمود شكري الالوسي والاب انستاس ماري الكرملي فرغ الباحث العراقي كوركيس عواد من تحقيقها واعدادها للنشر خلال هذا العام .

※ « تحية الشارب وعجالة الراكب » مجموعة من الرباعيات لقاضي القضاة نظام الدين الاصفهاني يقوم الان الدكتور كامل مصطفى الشيبي بتحقيقها ، وستنشر قريبا في بغداد .

※ صدر في بغداد ديوان حسن عبد الباقي الموصلي (1100 \ 1157 هـ) تحقيق الدكتور محمد صادق الجليلي .

* الدكتور عبد العزيز الدوري رئيس جامعة بغداد والدكتور عبد الجبار المطلبي الملحق الثقافي العراقي في القاهرة يحققان مخطوطة نادرة عن تاريخ العراق في ايام العباسيين وهي من أهم المخطوطات التي تفسر الاحداث الهامة في تلك الفترة الهامة من تاريخ العـــراق .

* صدر العدد الاول من مجلة « الندوة » وهي ملحق مجلة « الكتاب » التي تصدرها جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين مرتين في الشهر ، ويراس تحريرها الدكتور يوسف عز الدين .

* يصدر قريبا في سلسلة التراث التي تصدرها وزارة الارشاد في بغداد ديوان « ليلى الاخيلية » وقد جمعه وحققه خليل ابراهيم العطية وجليل العطية، وقد اعتمدا في جمعه على أكثر من 200 مصدر .

* اعلن مساعد مدير دائرة الاثار الاردنية ان الدائرة لم تتمكن من انقاذ شيء من الثروة الاثرية التي يحتوي عليها المتحف الفلسطيني في مدينة القدس ، واهمها مخطوطات البحر الميت التي لا تقدر بثمن .

* صدر في عمان بالاردن كتاب « تاريخ الصحافة العربية نشأتها وتطورها » تأليف محمد صالحه وسميح ابو مغلي ، ويتضمن فصولا تتناول الصحافة فنا وتاريخا في كل من البلاد العربية .

* « التنشئة الاجتماعية في الاسلام » عنوان المحاضرة التي القاها محمد امين المصري في نادي الوحدة الرياضي والثقافي بمكة المكرمة . كما القى سعدي موسى مدرس التربية وعلم النفس في معهد المعلمين بالرياض محاضرة بقاعة معهد التربية المنزلية المثالية بعنوان « مشكلات الطفولة » . وتحدث سعود السياري « حول انحراف الشباب » بقاعة نادي الاعتماد الرياضي والاجتماعي .

* « القافلة الصاعدة » عنوان الكتاب الذي الفه باللغة الانجليزية عبد الحكيم غيث ، وقامت باصداره شركة المدينة المنورة للنشر بجدة . ويعرض المؤلف في كتابه جوانب الحياة الحديثة في السعودية . ويقع في 250 صفحـــة .

* « نظرات في الموسيقى والمسرح » تأليف محمد عبد العزيز العقربي ، ويقع في 158 صفحة ، صدر في منشورات اللجنة العليا لرعاية الفنون والآداب بوزارة الاعلام والثقافة الليبية .

* صدر في تونس كتاب « تحفة اولي الالباب في صناعة الخط والكتاب » تاليف شيخ الخطاطين عبد الرحمن بن يوسف الصائغ المتوفى سنة 845 هـ . وقد حققه وقدم له وعلق عليه الاديب العراقي هلال ناجي معتمدا في تحقيقه على أربع نسخ خطية . ويعد هذا الكتاب من انفس الرسائل في موضوعه .

* اصدرت مجلة « البيدر » في بيروت عددا خاصا بذكرى المؤرخ عيسى اسكندر المعلوف العاشرة ، وهو سجل حافل بمآثر الفقيد الكبير التاريخية والعلمية والادبية . وقد زود نجله الشاعر رياض معلوف « البيدر » بجميع المعلومات عن والده ومكتبته وأفراد عائلته النوابغ .

* اعلنت جوائز المجمع اللغوي الادبية في القاهرة عن الموسم الحالي 66 ــ 67 . الغيت الجائزتان الاولى والثالثة بينما حصل سيد احمد على الجائزة الثانية . كان موضوع المسابقة « التاريخ لمجلة عربية ذات اثر بارز في الادب والثقافة » كتب الفائز بحثه عن مجلة « الرسالة » المصرية .

* توفي في القاهرة الاديب الكبير محمد فريد ابو حديد عن 74 عاما ، امضى نصف قرن منها معلما رائدا من رواد الادب . من أهم مؤلفاته : صحائف من حياة . ابنة الملوك . مقتل سيدنا عثمان . ميسون الغجرية . صلاح الدين الايوبي وعصره . خسرو وشيرين . سيرة عمر مكرم . الملك الضليل . المهلهل سيد ربيعة .

زنوبيا . الام جحا . عبد الشيطان . جحا في جنبولاد . عمرون شاه . كريم الدين البغدادي . نبؤة منجم . انا الشعب . أزهار الشوك . ابو الفوارس عنترة . الوعاء المرمري . سهراب ورستم . كانت الدولة قد كرمت أبا حديد عند ما أهدته عام 1963 جائزة الدولة التقديرية في الآداب .

* « ابن شهيد الاندلسي : حياته وشعره » عنوان الرسالة التي نال بها حازم عبد الله خضر (العراقي) درجة الماجستير من كلية اداب عين شمس .

* بنت الشاطيء اعدت كتابا عنوانه « الابعاد التاريخية لمعركتنا مع اسرائيل » سيصدر عن دار الكتاب العربي بالقاهرة .

* الشاعر احمد رامي يشكو مرضا نفسيا يعالجه الان بالقاهرة الدكتور احمد عكاشة .

* التأثيرات المتبادلة بين الكاتب اللبناني ومجتمعه خلال ربع القرن الاخير » عنوان الندوة التي عقدتها مجلة « الرحمة » في قاعة محاضرات وزارة التربية ببيروت ، وساهم فيها : الدكتور جميل جبر ، حسين مروة ، الدكتور سهيل ادريس ، الاب ميخائيل معوض ، ادار الندوة واشترك فيها الدكتور ميشال عاصي .

* تدرس مؤسسة التاليف والنشر بوزارة الثقافة بالقاهرة موضوع استئناف العمل في القاموس الانجليزي العربي ودائرة معارف الفكر الانساني على ضوء الامكانيات الحالية للمؤسسة . صرحت الدكتورة سهير القلماوي ان المؤسسة عازمة على بدء العمل في المشروعين في اقرب فرصة .

* مسابقة في الخط العربي بين الخطاطين المصريين الكبار ستعرض الاعمال الفائزة فيها في معرض فن الكتابة الذي تنظمه اليونيسكو في نيويورك اول اكتوبر المقبل .

* اقامت رابطة الادب الحديث بالقاهرة ندوة تحدث فيها الشاعر عبد السلام شهاب عن الموسيقار زكريا احمد شاعرا ومؤلفا للاغاني .

* علي ادهم سيشرف على سلسلة « اعلام العرب » بدار الكتاب العربي بالقاهرة . ويشرف الدكتور عبد الحميد يونس على مجلة « الفنون الشعبية » .

* صدرت في القاهرة الكتب التالية : ثورة مصر سنة 1919 للدكتور عبد العزيز رفاعي 320 صفحة حجم كبير . سيف بن ذي يزن لفاروق خورشيد 500 صفحة . ايام لها تاريخ لاحمد بهاء الدين 240 صفحة . سارة لعباس محمود العقاد طبعة جديدة . قصة الاكراد في شمال العراق للعقيد امين سامي الغمراوي . مصر والمسالة المصرية من 1876 الى 1882 للدكتور احمد عبد الرحمن مصطفى 320 صفحة حجم كبير . فلسفة الوضعية المنطقية والتربية للطفي بركات احمد تقديم الدكتور ابو الفتوح رضوان . ادارة المحفوظات تنظيمها ورفع كفاية العاملين فيها لاحمد محمد الشامي 323 صفحة حجم كبير . اريستوفانيس عصره وعمله المسرحي لعلي نور 142 صفحة حجم كبير . عند العرب لمصطفى لبيب عبد الغني ، تقديم الدكتور مصطفى شفيق بروتاجوراس محاورة لافلاطون ، ترجمها للانجليزية بنيامين جويت ، ترجمة ودراسة محمد كمال الدين علي يوسف ، مراجعة الدكتور محمد صقر خفاجة . الله .. والحرية مقالات في السياسة والاجتماع لخالد محمد خالد . علم البيان دراسة تاريخية فنية في اصول البلاغة العربية للدكتور بدوي طبانة ، استاذ البلاغة والنقد الادبي بجامعة القاهرة . سجع الحمام في حكم الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه ، جمع وضبط وشرح علي الجندي ومحمد ابو الفضل ابراهيم ومحمد يوسف المحجوب . كوندرسيه من اهم فلاسفة القرن الثامن عشر للدكتور عاطف وصفي . تجديد الذات لجون جاردنر ، ترجمة احمد حمودة . معنى الديمقراطية لصول ك . بادوفر ترجمة جورج عزيز . معركة العلمين بمناسبة الاحتفال بذكراها الـ 65 للسيد فرج . مشروع للسلام الدائم لايمانويل كانط ترجمة الدكتور عثمان امين . شوقي وحافظ لطاهر الطناحي . كومديات بلاوتوس ترجمها عن النص اللاتيني امين سلامة 352 صفحة قطع كبير . بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم جزءان . احمس الاول مسرحية تاريخية لعادل الغضبان طبعة ثانية 176 صفحة .

* صدر في بغداد ديوان « ابي بكر الشبلي » الذي قام بجمعه وتحقيقه ، والتعليق عليه الدكتور كمال مصطفى الشيبي .

* اعيد في طهران ، طبع دائرة المعارف لمحمد فريد وجدي . وقد صدرت في عشر مجلدات .

* يعد الدكتور عبد الرحمن بدوي اول مصري يشغل منصب استاذ زائر في السوربون . وقد القى حتى الان ثلاثين محاضرة عن اثر التراث اليوناني في الفكر العربي ، والدور الذي قام به العرب في صياغة هذا التراث ونقله ، والاضافة اليه ، كما القى عدة محاضرات عن التصوف الاسلامي .

* اكتشفت هيئة التنقيب البريطاني العاملة في تل الرماح 150 لوحا من الطين المشوي ، منقوشة بكتابات بابلية قديمة مهمة ، تتضمن معلومات تاريخية

واقتصادية ، تعود الى بداية الالف الثاني ق . م . وتعطي هذه الالواح الاضواء على تاريخ العلاقات بين ملوك اشور القدماء ، وبابل ، وبلاد ماري ، في سوريا على الفرات الاوسط .

* صدر عن دار المكشوف ببيروت كتاب « نبي اورفليس » يدرس جوانب فكرية للاديب اللبناني الخالد جبران خليل جبران . وهو من تاليف الاستاذ شكر الله ربح .

* « ثورة في عالم الانسان » كتاب يصدر للاستاذ كمال جنبلاط .

* الاستاذ ادوار البي ، مؤلف مسرحية « من يخاف فريجينيا وولف » ، نال جائزة توليتزر الامريكية ، وذلك على مسرحيته الجديدة « ميزان دقيق » .

* الكاتبة الامريكية آني اوتو ، وهي من اصل لبناني ، تعد كتابا عن جبران خليل جبران .

* ارنست همينغواي ، ما زال مصدر غنى للادب العالمي ، حتى بعد مرور 6 سنوات على مصرعه . آخر كتاب صدر عنه « الخط القريب » .

* « مصيدة الفئران » — المسرحية البوليسية الشهيرة لمؤلفها انماثا كريستي ، تقدم على احد المسارح البريطانية منذ سنة 1952 . ومنذ ايام احتفلت الفرقة بمناسبة تقديم هذه المسرحية 6000 مرة ، شهدها اكثر من مليون نسمة .

* تصدر قريبا عن دار الاداب ببيروت مجموعتان شعريتان للشاعرين ادونيس ، وبلند الحيداري .

* « عصافير النار » مجموعة شعرية ، صدرت مؤخرا للشاعر اللبناني انطوان جبارة .

* صدر مؤخرا الجزء الاول من الاجزاء التسعة لمجلة «تاريخ الانسانية » باشراف اليونيسكو .

* قرر الاتحاد الدولي لناشري الصحف والمطبوعات منح « القلم الذهبي للحرية » لعام 1967 ، الى السيد مختار لوبيز ، مدير جريدة «أندونيسيا رايا» التي تصدر في جكارتا ، تقديرا لما بذل من مجهودات طوال عشرين سنة ، في سبيل حرية الصحافة ، وحقوق الانسان .

* نشر الاتحاد الدولي لخريجات الجامعة ، تقريرا يستفاد منه أن عدد النساء المؤهلات علميا ، او المتخرجات في الجامعة ، ما زال اقل بكثير من ان يتعادل مع نسبة الفتيان حتى في البلاد المتقدمة .

* « طريق النصر في معركة الثار » كتاب صدر للواء الركن محمود شيت خطاب ، يحلل فيه أسباب هزيمة الجيش العربي في فلسطين .

* صدر للاستاذ محمد مصباح حمدان كتاب « الاستعمار والصهيونية العالمية » يتضمن تاريخ العبرانيين ودياناتهم ، وعلاقة الغرب بالصهيونية ، والمراحل التي مرت منها قضية فلسطين .

* « الموقع الاستراتيجي العربي » كتاب صدر للاستاذ هيثم الكيلاني عن وزارة الثقافة والارشاد السورية .

* علم من دمشق ان وزارة الثقافة والارشاد القومي ، قد اطلعت الادارة الثقافية للجامعة العربية أنها تؤيد ترشيح الكاتبين المصريين : الدكتور طه حسين، وتوفيق الحكيم ، لنيل جائزة نوبل للاداب لهذه السنة.

* شن الكاتب والروائي الفرنسي جورج أرنو هجوما عنيفا على جان بول سارتر ، وسيمون دمي بوفوار ، وكلود لانسمان بسبب دعمهم للعدوان الصهيوني على الوطن العربي . وتقول الاخبار ، ان سارتر فقد في الوطن العربي 97 في المائة من قرائه ، وفي فرنسا نفسها عددا كبيرا من المعجبين .

* تصدر تباعا أجزاء من القاموس العربي الالماني الذي يطبع في فيسبادن باشراف الدكتور جيش شريجلة ، والدكتور فهمي أبو الفضل . وقد صدرت كراسته الثانية حتى الان ، وهي في حرف الالف .

* صدر حديثا ديوان شعر جديد للشاعر عبده بدوي بعنوان « كلمات غضبي » .

* اصدر رئيس تحرير مجلة « الكويت » الاستاذ عبد الله الطائي ديوانه الاول بعنوان « الفجر الزاحف »

※ « الارنب الاسود » ـ مسرحية جديدة للاستاذ عبد الله الطوخي ، صدر في بغداد في هذا الاسبوع .

※ قام الاستاذان خليل العطية وعبد الله الجبوري من العراق بتحقيق ديوان مسكين الدارمي .

※ صادق المجمع العلمي العراقي على طبع كتاب « الامثال البصرية » وهو من تأليف السيد عبد اللطيف الدليشي .

※ صدر عن وزارة الارشاد القومي العراقية كتاب « القزويني وشرح التلخيص » من تأليف الدكتور احمد مطلـــــــوب .

※ الاستاذ ناجي معـــروف ، اصدر خمســة من بحوثه التاريخية ، وهي : « حياة اقبال الشرابي » و « المراصد الفلكية في بغداد » و « مدارس واسط » و « مدارس مكة وتخطيط بغداد » .

※ عين وزير الثقافة في الجمهورية العربية المتحدة تعيين خمسة أعضاء مراسلين من المجمع العلمي العراقي ، في المجمع المصري ، وهم : الدكتور سليم النعيمي ، نائب رئيس المجمع العلمي العراقي ، واللـواء محمـود شيت خطاب ، والاستاذ محمد تقي الحكيم ، والاستاذ محمد شفيق العاني ، والدكتور عبد العزيز الدوري .

※ الاستاذ أنور الجندي ، أصدر مؤخرا كتـاب «مفكرون وادباء من خلال آثارهم » .

※ صدر في بيروت كتاب « فن القصة والمقامـة » للدكتور جميل سلطان ، وكتاب « المدخل الى فلسفـة ابن سينا » للاستاذ تيسير شيخ الارض .

※ صدرت في الكويت مجلتـان جديدتان همـا : « أجيال » و « حياتنا » ، كما صـدرت فيها جريـدة بعنوان : « اليقظة » .

※ كتاب « صلاح الدين الايوبي ـ قصة الصراع بين الشرق والغرب » صدر للكاتب قدري قلعجي .

※ في سلسلة أعلام العرب التي تصـدر بالقاهرة ، صدر كتاب من تأليف على الحديدي ، بعنوان « سامي البارودي » ضمنه بعـض القصائـد التي لم تعـرف للبارودي .

※ في سلسلة كتاب « الهـلال » صدر بالقاهـرة كتاب « صور وظلال من حياة شوقي وحافظ » للمرحوم طاهر الطناحي .

※ صدر في العراق كتاب « حل الالغاز في النحـو لابن هشام الانصاري » ، حققه وعلـق عليه ، ونشـره السيد جعفر مرتضى العاملي .

※ يصدر قريبا في منشورات عويدات بيـروت : « المذاهب الادبية الكبرى في فرنسـا » تأليف فان تيغيم ترجمة فريد انطونيوس ، ويقع في 400 صفحة تقريبـا من الحجم الكبير . و « معجم الادب المعاصر » تاليف بييردو بواديفر ، ترجمة بهيج شعبان ، ويقـع في 700 صفحة تقريبا وفي حجم كبير .

※ « نهر السيوف الظامئة » عنوان ملحمة جديدة للدكتور ميشال سليمان ، تصـدر قريبـا في بيـروت وتتناول قضية فلسطين بكل ابعادها بشكل جديد .

※ « مدخـل الى علم الاخـلاق » صـدر عن دار المكتبة العصرية في بيروت وصيدا تأليف ولتـر لتمبان ترجمة انعام المفتي ، مراجعـة عبد الملـك الناشـف . والكتاب يعالج شؤون الحياة الحديثة محاولا ابراز معنى جديد لرغبات الانسان في بحثه الشـاق عن السعـادة ورغبته في ابتكار مقاييس يقيس بها سعيـه الى المال والسلطة ووجوه النشاط الاخـرى . الكتاب في 228 صفحة حجم كبير .

※ « الحركة اللغوية في الاندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف » تأليف البير حبيـب مطلق ، صـدر عن دار المكتبـة العصريـة في صيـدا وبيروت . ويقع في 430 صفحة حجم كبير .

※ ستكرم مدينة زحلة في لبنان هذا العام اميـر الشعراء احمد شوقي باقامة تمثال له في واديها ، هـذا الوادي الذي خلده شوقي بقصيدته المشهورة « يا جارة الوادي » التي لحنها وغناها محمد عبد الوهاب . صنع التمثال المثال اللبنانـي ، امين رزق ، ودفع تكاليفـه صاحب كازينو عرابي ، الذي حدد مكان اقامته في وادي العرايش .

* واخيرا صدر ديوان « امام الباب المغلق » للشاعرة فدوى طوقان عن دار الاداب ببيروت . وكانت خواطر الاصدقاء قلقلة على الشاعرة التي تقيم لوحدها في نابلس . وقيل بانها بقيت في نابلس .

* قال نظير زيتون عضو المجامع اللغوية العربية في مقال نشرته له مجلة « الضاد » الحلبية : « ... شاء الجبروت الادبي ، لاديب العرب امين نخله النازل كوكبا وقادا في برجه العاجي ، ان ينقض على جبران الخالد ويجرده من كل مواهبه الفكرية وعبقرياته الفنية ويضعه في مرتبة كاتب عادي « لطيف التفكير ، لطيف الخيال ، لطيف الحاشية » فنشر سؤالا عزاه (الى قارىء في الكويت) يستفهم فيه عن رايه في جبران العظيم ، فجاء رايا فطيرا فطر الخبز اليهودي في الفصح ، وهزيلا هزال السبع العجاف التي ابتلعت السبع السمان .. ونحن وان كنا نكن حبا واعجابا ، فان للحقيقة عندنا قداستها التي هي اعلى منزلة من الحب والاعجاب . قال أديب العرب مخاطبا السائل الكويتي (مجلة الاسبوع العربي ، العدد 399) « ان رأيي فيه لا يرضى خاطرك ولا خاطر المتادبين الناشئين » ونحن نعتب ونقول : ولا يرضى على الاخص خاطر الادباء المتبحرين المتبصرين الذين يرون في جبران خليل جبران عملاق فكر وادب وفن . ويتابع نظير زيتون رده وتعليقه الى ان يقول : ان جبران كاتب نابغة أصيل ، وقد ابت عليه عبقريته الرائدة ان يسير في ركاب الجاحظ وابن المقفع وابن الاثير والصاحب وسواهم من أعلام النثر العربي فابتكر لنفسه اسلوبا جديدا في معان والوان وتعابير مستحدثة مشرقة لا تأنس بها طبعا أذواق المتشبثين بالحرف المحنط والصيغة التقليدية الجامدة البعيدة عن روح الحضارة والعصر . ولنا في مقالته « لكم لغتكم ولي لغتي » ما يغني اللبيب عن البحث في هذا الموضوع .

ويختم زيتون دفاعه المجيد المركز قائلا : وانما مجد جبران مجد لوطنه وابناء امته ، فعلام نجحد الفضل ، وعلام التجاهل والجهل ، وعلام نطلق الاحكام التعسفية ولا نهتدي بنور العقل ؟

* علمنا بوفاة العلامة الاستاذ نظير زيتون عضو المجامع اللغوية العربية الذي توفي في حمص على اثر اصابته بمرض اليرقان .

* صدرت في بغداد الكتب التالية : الجزء الاول من كتاب « العين » اول معجم في اللغة العربية للخليل بن احمد الفراهيدي ، تحقيق الدكتور عبد الله درويش . الجزء الثالث من ديوان الشاعر الشعبي الملا عبود الكرفي جمعه وقدم له حسين حاتم الكرفي . « حل الالغاز في النحو » لابن هشام الانصاري حققه وعلق عليه جعفر مرتضى العاملي . « الغريب والبحر » مجموعة شعرية لمؤيد العبد الواحد . « عطر وحجر » للباحث الفولكلوري عبد الحميد العلوجي .

* طلب خليل العطية من المجمع العلمي العراقي مساعدته على طبع ديوان توبة بن الحمير الخفاجي بعد ان حققه على نسخة حصل عليها من استانبول .

* يقوم الدكتور عبد الرزاق محيي الدين رئيس المجمع العلمي العراقي بتحقيق قسم من مقامات ابي حيان التوحيدي الذي سبق ان نشر قسما منها في مجلة المجمع .

* يعكف الباحث العراقي عبد الستار الجواري على تحقيق جزء من كتاب « الزهرة » لابي بكر محمد ابن داود الظاهري عثر عليه مؤخرا .

* الدكتور سليم النعيمي عضو المجمع العلمي العراقي يحقق الان مخطوط « الروض النضر » على نسختين مخطوطتين ويكشف الكتاب صفحات مجهولة من تاريخ العراق في القرنين الاخيرين .

* صدر حديثا في عمان كتاب « مخطوطات البحر الميت » للمؤرخ المعروف محمود العابدي رئيس دائرة الثقافة والفنون الاردنية . وقوبل هذا الاثر القيم بتقدير واعجاب المثقفين وهواة الاثار .

* توفي في عمان السيد عبد الرحمن العامري عم الباحث المفكر معالي محمد اديب العامري .

* قامت بعثة من ادارة الاثار بوزارة المعارف السعودية بجولة للتنقيب عن الاثار في عدد من المدن في المملكة حيث عثرت على بقايا مدن ونقوش وكتابات يرجع تاريخها الى ما قبل الاسلام وبعده . وقد عادت البعثة الى الرياض ، وتعد الان تقريرا عن اعمالها واكتشافاتها . ويرأس هذه البعثة محمد البراهيم احد الشباب السعوديين الجامعيين المتخصصين في الاثار .

* « بادن باول » مؤسس الكشافة العالمية تأليف عبد الله القنيعير المحرر بجريدة المدينة المنورة . صدر عن مكتب الفكر في جدة .

* صدر حديثا لعمر بن اسماعيل المعيد بكلية الاداب بالجامعة الليبية ببنغازي كتاب « انهيار حكم الاسرة القرمانلية فى ليبيا 1795 \ 1835 .

* الاديب الليبي عبد الله القويري ينهمك خلال اجازته فى تونس فى طبع مجموعته القصصية الجديدة « تمر وزيت » .

* صدر عن الدار التونسية للنشر دراسة مستفيضة باللغة الفرنسية عن العائلة التونسية للمستشرق المعروف الاب دمر سمان .

* « الابعاد التاريخية لمعركتنا مع اسرائيل » كتاب يصدر قريبا فى القاهرة للدكتورة بنت الشاطيء .

* « الحكمة فى شعر المتنبي » عنوان رسالة الماجستير التي قدمها السيد يسري محمد سلامة وجرت مناقشتها بكلية الاداب بجامعة القاهرة .

* من القاهرة ، انه تقرر الغاء مهرجان الشعر العربي السادس .

* صدر حديثا بالقاهرة « الافريقيون والعرب » احدث مؤلف عن افريقيا (220 مليون نسمة) تاليف الدكتور احمد سويلم العمري .

* « النديم » اسم مجلة زجل وفكاهة ستصدرها ادارة الثقافة الجماهيرية بالقاهرة ، ويشرف على تحريرها مكتب مؤتمر الزجل والزجالين .

* نوقشت بكلية الاداب بجامعة القاهرة رسالة الدكتوراه التي قدمها محمود عبد القادر وعنوانها « اساليب الثواب والعقاب التي تتبعها الاسرة فى تدريب الطفل واثرها فى شخصية الابناء » .

* توفى فى القاهرة المؤرخ المصري محمد العطار (86 سنة) وحفيد الشيخ العطار (شيخ الاسلام) .

* اجل عميد الادب العربي طه حسين موعد عودته الى القاهرة من ايطاليا الى اول اكتوبر بناء على نصيحة الاطباء .

* سجل التلفزيون الفرنسي حديثا مع الشيخ حسن مامون شيخ الازهر قال فيه ان المسلمين يتعايشون مع المسيحيين ومع اليهود (الصادقين) في اخوة ومحبة ومساواة فى الحقوق والواجبات فى اطار التشريع الاسلامي .

نوقشت بكلية الاداب بجامعة عين شمس رسالة الدكتوراة المقدمة من محمد اسماعيل الندوي بعنوان : « المعاجم العربية فى الهند » .

* المخرج الكبير محمد كريم يرقد الان فى بيته بالقاهرة يعاني من حالة انهيار عصبي وصل تأثيره الى قاع العين .

* اعلن رينيه ما هو المدير العام لليونسكو ترقية حناسابا المستشار القانوني للمنظمة الى منصب مساعد المدير العام . وهو مصري ، عمره 58 سنة ، التحق باليونيسكو نقلا من سكرتارية الامم المتحدة منذ عام 1950 . وسيعهد اليه بالمستويات الدولية والشؤون القانونية .